يوليو (تموز) ١٩٨٤ ـ شوال ١٤٠٤

المختار

من ريدرز دايجست

قصة الطفلة و الذئب

(ص ٥٢)

ثمانية ابطال صغار ٨
"لست مجنوناً ... انت مريض" ١٤
حب مدى العمر ١٨
لعبة الانتخابات الاميركية ٢١
اعادة الاعتبار الى الطب القديم ٢٦
سحلية في الدار ٣٣
الحرير نسيج الغواية ٣٦
المشلول ٤٢
احذر الريح يا بني ٤٦
الزكام محارب لا يقهر ٥٦
وداعاً ايها الكولونيل ٦١
ماذا نعرف عن الفطر؟ ٦٥

التنويم المغنطيسي يطيل العمر

(ص ٨٥)

الوسام ٦٨
لاداخ فردوس ارضي ٧٢
الصبي والسنونو ٨٠
عجائب سبع ٩٠
ماذا تفعلين اذا فقدت جنيناً؟ ٩٦
مدرسة الحياة ١٠٣
نحن النساء ١٠٨
كتاب الشهر: اربعاء الرماد ١١٥

ك. هيبورن نجمة مدهشة

(ص ٤٨)

اكتب واربح ١ ـ حديقة افكار ٧ ـ دائرة المعارف ٣١ ـ الضحك ٧٩ ـ حكايات ٩٥ ـ القسيمة ١٠٢ ـ تأملات ١١٤ ـ الطب ١٤٣

لبنان ٦٠٠ق ـ سورية ٧٠٠ق ـ الاردن ٧٠٠ف ـ الكويت ٧٠٠ف ـ الامارات العربية المتحدة ٩د ـ قطر ٨ر ـ البحرين ٨٠٠ف ـ السعودية ١٠ر ـ مصر ٥٠٠م ـ السودان ١ج ـ ليبيا ٧٠٠د ـ اليمن ٨ر ـ مسقط ٨٠٠ب ـ العراق ٨٠٠ف ـ تونس ٦٠٠م ـ المغرب ٥د ـ الجزائر ٧د ـ فرنسا ١٠ف ـ انكلترا ١ج ـ اليونان ١٣٠د ـ كندا وأمريكا الشمالية ٢,٥٠د

AL MUKHTAR min Reader's Digest July 84 No 68

اداء عالمي يلائم رقي الدرجة الاولى

إمكانية ريموت كونترول يعمل بالأشعة تحت الحمراء. أداء رائع للبث التلفزيوني العالمي.. كل تلك المزايا العديدة تجدها في التلفزيونات ذات الأنظمة السبعة... لك من شارب.

استمتاع بالعروض التلفزيونيه والأشرطة واسطوانات الفيديو

7-SYSTEM

تستطيع التحكم بتلفزيونك ذي الانظمة السبعة من شارب عن طريق جهاز الريموت كونترول الذي يعمل بالأشعة تحت الحمراء وتمتع بالراحة والاسترخاء امام تلفزيون يلائم رقي الدرجة الاولى.

أضف الى ذلك تفاوق الانظمة السبعة مقارنة بكل مستوى اذاعي فني يستخدم في عالمنا اليوم فبه ستحوز على الاداء الراقي. استلق على كرسيك وتحكم بتلفزيون شارب الجديد ذي الأنظمة السبعة فهو لك أينما تريد أن تكون..

ShotVision

DV-2100SPN

تلفزيون ملون ٥١سم (٢٠ بوصة). مع ريموت كونترول قابل للانفصال يعمل بالاشعة تحت الحمراء ويقوم بأداء ١٧ وظيفة. مجهز بسماعتين ثنائيتي القناة ستيريو لصوت صافي يحتوي على فتحات لتوصيل أجهزة الفيديو. يعرض رقم القناة على الشاشة. ريموت كونترول شوت فيجن قابل للانفصال من شارب. ١٢٠٠ ١٦٠٠ DV أيضا بافيه مع وحدة ريموت كونترول شوت فيجن.

DV-262SPN

تلفزيون ملون ٦٦سم (٢٦ بوصة). مع ريموت كونترول يقوم بأداء ٢٦ وظيفة. يحتوي على فتحات لتوصيل أجهزة الفيديو. مجهز بذاكرة برمج لـ١٦ قناة.

بكل فخر نخدمك لترقى الى السعادة

SHARP شارب

شركة شارب، اليابان

لمزيد من المعلومات يرجى بالاتصال بوكيل شارب المحلي.

العربية السعودية : حسين ع. سكلوع ص.ب. ٧١٣ . جدة تلفون : ٦٤٧٩٩٧٠ ، ٦٤٧٦٦٢٥
الكويت : شركة التجهيزات الفنية المحدودة ص.ب. ٥٦٤٨ . الصفاة تلفون : ٤١٢٦٧٩/٤١٢٦٧١
الامارات : كوسموس ص.ب. ٦ . دبي تلفون : دبي ٤٣٥٩١٨ ، ابو ظبي ٣٣٥٥٥٦ ، العين ٦٥٦١٢٢ ، شارجة ٣٧٧٩٦١
البحرين : متجر روبن ص.ب. ٢٣٣ . البحرين تلفون : ٢٥٤٧٩٥/٢٥٨٣٥٨/٢٤٠١١٥
عمان : شركة عمان للالكترونيات العصرية ص.ب. ٧٠٨٨ . مطرح تلفون : ٧٠٤٤٩٤ داربسيت ، ٧٠٢٠٠٥ روي
قطر : شركة المفتاح التجارية ص.ب. ٨٧٥ . الدوحة تلفون : ٤١٣٦٨٧/٤١٣٠٧٦
لبنان : الشركة التجارية العامة ش.م.ل. ص.ب. ١١-٤٩٥٥ . بيروت تلفون : ٣٩٢٥٩٨/٩ ، ٣١٦٢٢٥

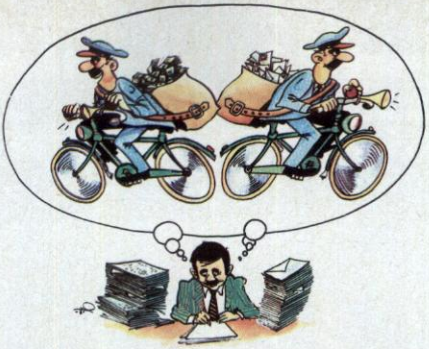

هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

اكتب و اربح

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة، تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة تلقي بعض الضوء على جوانب مختلفة من حياة مجتمعاتنا العربية. تدفع عن القصة الواحدة ٥٠ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. وتستبعد في هذا الباب النكات غير المهذبة. تدفع ٥٠ دولاراً عن النكتة الاصلية و٢٥ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية تدفع ثلاثة دولارات عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل. يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط الشروط الشروط الشروط

● كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة. ● كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك، حديقة افكار ...) ● في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد. ● ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن. ● تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية. ● لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: **مجلة المختار من ريدرز دايجست ـ شارع المقدسي ـ بناية الشرتوني ـ ص: ب ٨٧٠٧ ـ بيروت ـ لبنان.**

شاهد الشاشة الرائعَة مَع تلفزيون توشيبا "CORE"

صنع باليابان توشيبا

COLOUR TV SET CORE(FS) 219X3M

أنبوبة الصورة المتطوّرة، المربّعة المقطَع «FLAT SQUARE» في تلفزيون TOSHIBA CORE (FS) تلغي الزوايا المدوّرة لشاشات التلفزيون التقليدية لتعطيك صورة كاملة قياس ٢١ بوصة خالية من التشوّه.

وبواسطة "ريموت كونترول" يحتوي على ٢١ زرا، تتحكّم عن بعد لاسلكيا، وبطريقة شاملة ملائمة، بجهاز التلفزيون CORE (FS) المتميّز بصوت لم يسبق له مثيل، بفضل نظام مكبّرين للصوت ديناميكيين ثنائيي الاتجاه، يمكنك وَصْلُه بمكبّرات صوت خارجية، او بسماعات اذن خاصة.

يتوافق CORE (FS) مع ١١ نظاما تلفزيونيا، مما يجعله القلب المتكامل لأي نظام سَمعي بصَري في اي مكان. وسواء اخترت CORE (FS), أو أيا من اجهزة تلفزيون CORE المتقدمة ذات الشاشة ١٤ بوصة، ١٨ بوصة و٢٠ بوصة،

تتأكد لديك حقيقة ثابتة: بما أنها صنعت في اليابان ومن انتاج توشيبا... إذا هي حتما رائعة.

- أنبوبة الصورة 21''FS (FLAT SQUARE) مربعة المقطع منبسطة. ● تحكّم عن بُعد (ريموت كونترول) يحتوي على ٢١ زرا. ● MSSS (نظام صوتي متعدد الحيّز) مع مكبّرين للصوت ديناميكيين ثنائيي الاتجاه.
- سمّاعة أذن ومقابس مكبّر صوت خارجي.
- توافق مع ١١ نظاما تلفزيونيا.

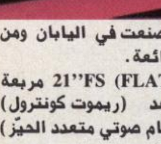

COLOUR TV SET
CORE 147X3M

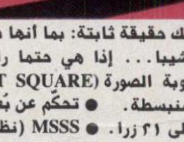

COLOUR TV SET
CORE 187X3M

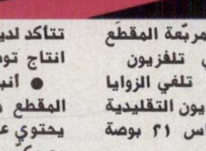

COLOUR TV SET
CORE 207X3M

Toshiba TOSHIBA

TOKYO, JAPAN

المختار

من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد، الاخراج: لولو بعاصيري.

المؤسسان دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست":
رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: آلان دوليرو. المدير العام: جورج ف. غرون.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت. التحرير والادارة: بناية حنا للمكاتب، الطابق السادس، شارع المقدسي – بيروت. ص.ب. ٨٧٠٧ – ١١، التلفون ٣٥٠٧٦٠ – ٣٥٤٤٦١ التلكس (الموقت) LE 22288

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت. الطباعة: سيكو، بيروت – لبنان. التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات.

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V. 75008 Paris. FRANCE

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية واليونانية اضافة الى العربية.

حقوق النشر محفوظة لـ"المختار من ريدرز دايجست" بموجب اتفاق خاص مع شركة "ريدرز دايجست" في نيويورك، الولايات المتحدة. يحظر النقل من "المختار" او الترجمة او الاقتباس منها في اي شكل كان جزئيا او كليا، في العربية او في اي لغة اخرى. وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة الى كل الدول العربية والافريقية. وقد اتخذت كل اجراءات التسجيل والحماية في العالم العربي والخارج بموجب الاتفاقات الدولية المعقودة لحماية الحقوق الفنية والادبية.

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

الغلاف: الصياد الكاسر (للاميركية جانيت تورنر)

AL MUKHTAR min Reader's Digest
July 84 No 68 (New Series) Vol. 6

© 1984 BY AN NAHAR P.I.S.A. LICENSEE OF THE READER'S DIGEST ASSN INC.

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٠ بلداً بـ١٧ لغة.

ليلى اتشيسُون والاسْ

(١٨٨٩ - ١٩٨٤)

ذات صباح ضبابي من شهر مايو (أيار) ١٩٨٤، ووسط زهور النرجس والزنبق التي تحوط بال"هاي ويندز"، ذلك البيت الذي بنته وأحبته - توفيت ليلى أتشيسون والاس أرملة دي ويت والاس وشريكته في تأسيس مجلة "ريدرز دايجست".

عاشت هذه السيدة ٩٤ عاماً نذرت معظمها لصنع الجمال وحفظه ونشره. فمن ضفاف النيل حيث ساهمت في انقاذ معبد أبو سنبل من المياه الغامرة في أسوان الى حديقة الحيوان في حي برونكس في مدينة نيويورك حيث تسود عالم العصافير الذي رعته عواصف استوائية حقيقية، كرست وقتها ومالها للنهوض بالفن.

وما برحت حتى سنواتها الاخيرة تختار لوحات الغلافات لكل عدد يصدر عن ال"ريدرز دايجست". وهي أشرفت أيضاً على تصميم مقر المجلة في بليزانتفيل في ولاية نيويورك وزينت جدرانه بالاعمال الفنية الرائعة ونثرت الجمال في حدائقه وممراته. وبفضلها أدخل تغيير على متحف "متروبوليتان" للفن في نيويورك، فاستحالت قاعته الكبرى وواجهته والجناح المصري فيه مراتع للجمال الخالد. فالآنية الضخمة التي تحوي على الدوام زهوراً نمت في غير اوانها وهبتها المتحف خلال حياتها وبعد مماتها والى ما شاء الله، تذكر الزوار بجمال الطبيعة الآتي.

وفوق جرف عال يطل على نهر هادسون بذلت السيدة والاس جهداً مضنياً في ترميم منزل "بوسكوبل" التاريخي ليعرض صورة طبق الاصل عن حياة الاشراف في أوائل القرن التاسع عشر. وهي عشقت الموسيقى، فقدمت الهبات السخية الى دور الأوبرا والى مدرسة جوليارد للموسيقى وتعهدت نشاطات فنية أخرى في مركز لينكولن. وأبدعت في الجمع بين حبها للزهور وحبها للموسيقى حين أصبحت المتبرعة الرئيسية لترميم حدائق كلود مونيه في جيفرني في فرنسا.

وكان والدها - مثلما كان والد زوجها - مبشراً مشيخياً. وبعد تخرجها عام ١٩١٧ في جامعة أوريغون عملت مدرّسة في جزيرة في مضيق بوجيت، ثم مرشدة اجتماعية في مصنع للذخائر الحربية خلال الحرب العالمية الاولى فمديرة للخدمات الاجتماعية في المجلس المشيخي للارساليات داخل البلاد.

وفي أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢١، بعد مضي ثلاثة اشهر على صدور العدد الاول من ال"ريدرز دايجست"، تزوجت عبقرياً خجولا يدعى دي ويت والاس. ومعاً - دائماً معاً - عاشا حلمهما الكبير: أن يخدما الناس بكل وسيلة بناءة ممكنة، ابتداء بالنشر وانتهاء بالمساعدة المادية. معاً جمعا ثروة كبيرة، ومعاً وهبا معظمها لأعمال الخير. كثيراً ما كانت تقول انها حفظت وصيتها عن ظهر قلب. وقد جاء فيها ببساطة: "أنا، ليلى أتشيسون والاس، بكامل قواي العقلية والجسدية، صرفت ثروتي كلها".

قد يكون الانجاز الاكبر للسيدة والاس مساندتها المحبة لزوجها. فهما استمتعا معاً بفرح مميز، ومارسا شعار دي ويت المفضل: "لا تنظر الى نفسك بجدية أبداً". وسوف تبقى منشوراتهما وهباتهما واهتماماتهما الانسانية شهادات تقدير واجلال لهذين الزوجين الفريدين.

الزهور كانت هناك دائماً. وعشية وفاة دي ويت والاس، حين رأته ليلى للمرة الاخيرة، تمنى لها ليلة سعيدة واعداً اياها: "سوف أقطف لك الزهر في الصباح".

اسرة "المختار"

المزيد من ناشيونال

ناشيونال تضيف مستوى جديداً من الاستعادة الصوتية الممتازة إلى تسجيل الفيديو ذي الأمانة البالغة "الهاي فيد لتي" شبه الرقمية

يتسم فيديو VHS هاي فاي الجديد، الذي تنتجه ناشيونال، برأسين إضافيين سريعي الدوران على اسطوانة الفيديو. ويعطي هذين الرأسين سرعة نسبية بين الشريط والرأس تعادل ضعف سرعة التصاميم التقليدية ذات الرؤوس الثابتة. وذلك علاوة على أفضل المواصفات الصوتية الممكنة. وباختصار فان فيديو هاي فاي ناشيونال الجديد يوفر استعادة صوتية حقيقية وأصيلة إلى حد أنكم لا بد أن تسمعوها لكي تصدقوا بانها ممكنة.

Hi-Fi

وبين المزيد - المجاني - الذي تقدمه ناشيونال زر تجميد الصورة وآخر لتقديم الصورة الجامدة، اللذان يوفران صورا خالية كليًا من الاهتزاز بفضل اسطوانة الفيديو الجديدة ذات الرؤوس الثلاثة. وذلك علاوة على مناغم بال/سيكام الشرق الأوسط. وجهاز توقيت لـ ١٤ يوماً و٨ برامج، وإمكانية التسجيل الموقوت بزر واحد مع آخر احتياطي. أما المزيد الخاص فعلاً الذي تقدمه ناشيونال فهو سمعة المتانة التي تتمتع بها منتجاتها، وامكانية الصيانة الرفيعة المستوى حيث تباع منتجات ناشيونال.

المزيد بانتظاركم لدى موزع ناشيونال الأقرب اليكم.

شاهدوا، واستمعوا إلى فيديو هاي فاي ناشيونال الجديد. ولن تصدقوا آذانكم.

المواصفات السمعية. 20Hz – 20kHz (DIN)
المدى الديناميكي. +80dB
النشاز والتشويش. 0.005% (WRMS)

رمز الثقة

National
ناشيونال

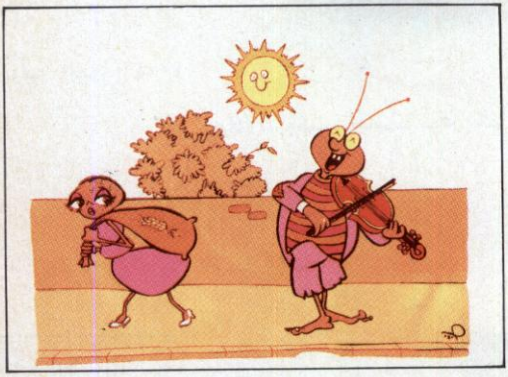

حديقة أفكار

- الوحي لا يكون صادقاً إذا أدركنا كونه وحياً ساعة نزوله· الوحي الحق يتسلل الى المرء فلا يعي اهميته الا بعد وقت·

ساموبل بطلر

- الظلم، اينما كان، يهدّد العدالة في كل مكان·

مارتن لوثر كينغ

- لنفهم اي كائن حي، ينبغي ان نلج اعماقه ونسمع دقات قلبه·

و·م·د·

- الصمت في عظيم من فنون الكلام·

وليم هازليت

- كم من رجل امتُدح لتحفظه وحيائه، في حين لم يكن حياؤه سوى قناع يستر به خوفه من السقوط في أعين الآخرين·

ج·ب· بريستلي، ناقد بريطاني

- اذا لم تقف مذهولا أمام حقيقة وجودك، فانك تتعامى عن اخطر الحقائق·

ج·ف·

- الفضيلة ليست شيئا في غياب التجربة·

مثل دنماركي

- التجاعيد هي ذاكرة الأيام·

ا·ص·

- من يتزوج لا يتخذ لنفسه شريكاً واحداً، بل ثلاثة: الآخر الذي يظن انه تزوجه، والآخر نفسه، والآخر كما سيغدو بفعل الزواج·

ر·ن·

ماساة واقعيّة

ثمانيةَ أبطالٍ صغَار

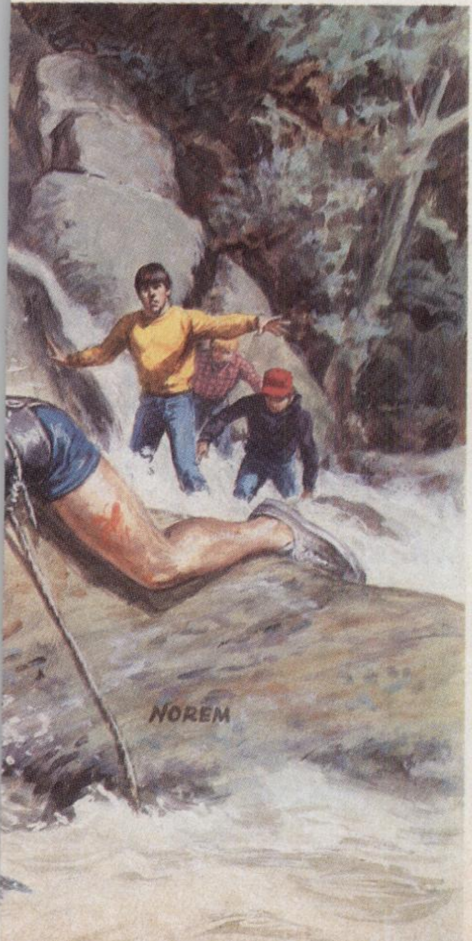

بقي الفتى خمس دقائق تحت الماء، لكن رفقاءه لم يتوانوا عن انقاذه بالخبرة المحدودة التي يملكون

ع

عندما سمع الفتية في المخيَّم صراخ ميتش أندرسون أدركوا أنّ ثمة مصيبة كبرى. وكانت الشمس الدافئة حملت إليهم وعداً بنجاح نزهتهم في قفار كاليفورنيا الوعرة بالقرب من قاعدة فورت هنتر ليغيت العسكريَّة. وكان ذلك في ٢٩ مارس (آذار) ١٩٨٣. ولكن ها هي صيحات الاستغاثة تأتي من اتجاه نهر ناسيمينتو.

وكان ميتش أحد تسعة مراهقين من بلدة كينغ سيتي الزراعية قرّروا أن ينطلقوا في تلك النزهة سيراً على الاقدام. ولما سمع بيتر اندرسون، وهو في الخامسة عشرة وأصغر التسعة، استغاثة ميتش، نظر الى رفيقه بروس ميلر الذي قال له: "ان

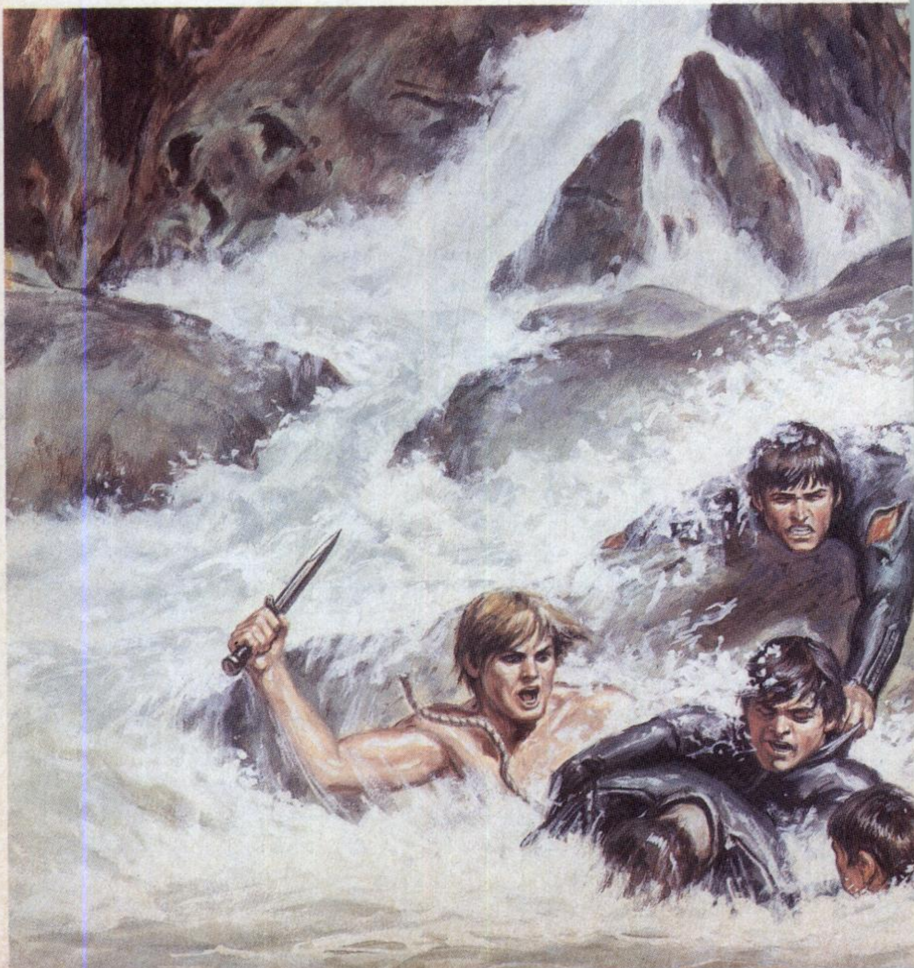

ميتش لا يفتعل المواقف. ولا بدّ من أنه في خطر." وأسرع الاثنان نحو مصدر النداء، وتبعهما كيث نوت ودارن بريانت وجيل لاثام.

وهالهم ما رأوه عن حافة النهر. فعلى بعد ١٥ متراً انحنى ميتش وريك بندر من صخرة وحاولا رفع شخص شبه غريق من المياه المزبدة التي خلفها ذوبان الثلج في مطلع الربيع.

وصرخ بروس: "انه أخي!" والواقع أن ذلك الشبح في الماء كان أخاه التوأم بريان ونادى جيل رفيقيه ميتش وريك: "ابقيا حيث أنتما، وسنأتي لنجدتكما."

ومع أن ميتش ألقى تبعة الحادث على نفسه، إلا أن الحادث حصل فجأة. ذلك أنه، قبل الغداء، ارتأى التوجه مع ريك - والاثنان من أقوى سباحي فريق كينغ سيتي - الى النهر وتسلق صخور يتدفق منها شلال هادر. وأغريا بريان بمرافقتهما. وتبع الثلاثة أصعب طريق بمعاكستهم التيار. ومن أجل سلامتهم، اقترح ميتش أن يترابطوا بالحبال على غرار المتسلقين.

وبلغوا هوّة ضيقة يلقي فيها الشلال كامل ثقله، وتقع بين صخرتين كبيرتين ولا يتجاوز عرضها المتر الواحد. وصاح ميتش بجذل: "دعونا نخترقها." واقتحم الثلاثة الفجوة من غير تفكير في الحبل الذي يشدّ أحدهم الى الآخر. وكان ريك آخرهم في الصف". وفجأة فقد ميتش السيطرة على نفسه وراح يتقلب وسط الماء. وأخيراً برز الى السطح وأطلق صيحات الاستغاثة التي سمعها زملاؤه في المخيَّم. أما ريك فضربه التيار على صخرة تشبث بها وخرج من الماء. ثم أمسك ميتش من سترته المطاطة ورفعه من التيار.

في البداية لم يستطع أي من الصبيَّين المذعورين رؤية بريان. ولكن مع انحسار الزبد قليلا شاهدا جزءاً منه فوق الماء ووجهه تحته وسبح ميتش نحو بريان وسحب الحبل، لكنه بقي عالقاً بالصخور المسنَّنة تحت الماء.

وعنئذ صرخ: "أعطوني سكيناً!"

وأجاب دارن: "لديّ سكين، لكنه في المخيَّم." وفيما ركض لاحضاره أسرع جيل وكيث وبروس لمساعدة ميتش وريك. وفضل بيتر أن يقطع النهر سباحة نحو بريان لتقديره أن تلك أسرع طريقة ممكنة وأن بريان يحتاج الى كلّ ثانية. وبلغ الصخرة في الوقت الذي ألقى إليه دارن بالسكين. وبمساعدة ميتش وكيث استطاع أن يشرط الحبل. ثم تعاون الفتية على رفع بريان الى الصخرة.

وتمدّد بريان بلا حراك وقد اكتسى وجهه لوناً أزرق وظهرت الجروح والرضوض على جسمه. وجثا بروس على ركبتيه أمام أخيه وقال: "يا إلهي، أبعد عنه الموت."

وجسّ ريك نبض بريان فلم يسمع شيئاً. ولمس الشريان السباتي في عنقه فلم يجد حراكاً. ووضع اذنه فوق قلبه الذي بدا هامداً.

وقال بيتر لنفسه: "يا إلهي، ما الذي يجب فعله؟"

وللحال تذكر الفتى ذو السنوات الخمس عشرة دورة الانقاذ التي

حضرها مع ميتش وجيل وريك وتلقوا خلالها التدريب على إنعاش القلب والرئتين في ظروف الغرق والنوبات القلبية المفاجئة. واستحضر في ذهنه كلمات المدرّبة بوني ليهار: "ينبغي رفع الغريق من الماء وإمداده بالنفَس الاصطناعي وتدليك القلب قبل مضيّ أربع دقائق على الحادث، وإلا قضى أو استحال شفاؤه."

وباشر ميتش العمل. أكبّ على ركبتيه ودفع رأس رفيقه الغريق الى الوراء وشدّ فمه على فمه باحكام. وراح يأخذ أنفاساً طويلة ويضخها في رئتي بريان.

وكان بيتر يدرك أن النفس المحض لا يكفي، وانه يجب تشغيل قلب بريان لكي يتولى الدم نقل الاوكسيجين الى أنحاء الجسم. وركع قرب ميتش وقال: "لنباشر إنعاش القلب والرئتين. وأنا سأتولى العَدّ."

وفكّ سترة بريان المبلّلة وصلب يديه فوق صدره وراح يضغط بانتظام، مرّة كلّ بضع ثوان، لتأمين الدورة الدموية. وكلما عَدّ حتى الخمسة كان يشير الى ميتش كي يتنفس.

وبعد قليل توقف ميتش عن النفخ. فقد تقيّأ بريان، وهو أمر معهود في حال النفَس الاصطناعي وتدليك القلب. لكنّ ذلك لم يَثنِ ميتش طويلا عن استئناف عمله. فالتوقف يعرّض حياة رفيقه للخطر.

"أطلبوا النجدة" — غرزت أثلام الصخر في ركاب الفتية وسفع رذاذ الشلال البارد وجوههم. إلا أن ميتش ثابر على عمله وظلّ ينفث الهواء بمعدّل اثنتي عشرة مرّة في الدقيقة. ولم ينثنِ بيتر أيضاً على ضغط عظمة الصدر. وكانا يتوقفان بين الحين والآخر للاصغاء الى صوت من بريان. لكنه بقي بلا حراك.

ونظر بيتر الى ساعة يده. لقد بقي بريان تحت الماء اكثر من خمس دقائق، وهناك خطر كبير على حياته. وفي حال نجاح النفس الاصطناعي وتدليك الصدر فهناك مسافة خمسين كيلومتراً عبر الفيافي تفصلهم عن أقرب نجدة طبية. وصرخ بيتر: "أرسلوا أحداً لطلب المساعدة."

وقال ميتش: "الأحرى أن يذهب دوغ لأنّ في إمكانه أن يقود الشاحنة." وهبّ دارن لايقاظ دوغ شقيق جيل من نومه في المخيَّم. وانتعل دوغ حذاءه بسرعة وأخذ مفاتيح الشاحنة التي أوقفها الفتية على بعد ١٥٠٠ متر من المخيَّم.

وكونه ابن ضابط عسكري عرف دوغ أن أسرع وسيلة للانقاذ هي في المركز الطبي التابع لثكنة فورت هنتر ليغيت. لذلك ينبغي إبلاغ المركز بالامر لكي يرسل طائرة إسعاف مروحية الى مكان الحادث. وقفز الى الشاحنة وقادها نحو أقرب مزرعة، وهي تبعد ١١ كيلومتراً عبر طريق القطعان الوعرة، عله يخابر القاعدة العسكرية من هناك.

واعترضت طريقه ساقية. وراح يقود الشاحنة فوقها بتؤدة، لكنه لم يستطع الصعود من الماء. وحين توقف المحرّك لم يجد دوغ مناصاً من متابعة الطريق على قدميه.

وفي الناحية الاخرى على الصخرة نظم بيتر الصبيان فرقاً تعمل بالتناوب. وأخذ هو وجيل وريك وميتش مسؤولية التنفس والتدليك. وكان كل خمس دقائق يجسّ نبض بريان. ومع أنه لم يجد علامات أمل فانه تذكر النصيحة التي استمدّها من الدورة التدريبية، والقائلة بألا يفقد المرء أمله في هذه الحالات.

وأتى الارهاق على الفتية وجعلهم يتجادلون في ما بينهم. ونظر ميتش الى ريك وقال: "إنك تضغط بقوّة." فأجابه ريك على الفور: "هكذا لُقّنتُ أن أفعل." وبعد مضيّ ٣٥ دقيقة على العمل من غير نتيجة ملموسة عبر ريك عن أفكارهم جميعاً إذ قال: "أظن أنه قضى."

إلا أنّ أحداً لم يشأ التوقف والاستسلام، خصوصاً بعدما شاهدوا بروس شقيق بريان. وصرخ بيتر بأعلى صوته: "تابعوا عملكم."

أناس كهؤلاء — بعد خمس دقائق، أحسّ ريك شيئاً يضرب ساقه. وكان ذلك الشيء ذراع بريان. وصرخ ريك: "لقد تحرّك."

وصاح بيتر مبتهجاً: "إنه ينبض! إنه حيّ." ووضع أذنه على صدر رفيقه ليسمع صوتاً خفيفاً. وقال: "لا تكفوا عن التنفس." وكانت بوني ليهار علمتهم أن نفخ الهواء عبر الفم يجب أن يستمر حتى يستطيع الشخص المنكوب أن يزفر ١٢ مرّة منفصلة في الدقيقة. وفجأة قال بيتر: "ها هو بريان يتنفس."

وكان بيتر بين الحين والآخر يجس الشريان السباتي في عنق بريان. ووجد أن دقات قلبه تعود تدريجاً الى المعتاد. وبعدما كانت ستين ضربة في الدقيقة أصبحت سبعين فثمانين فتسعين. ورفع أجفان بريان، فارتعش بؤبؤا عينيه للنور. وهذه علامة جيدة على أن نقص الاوكسيجين لم يعطب دماغه.

أتراهم أنقذوا حياته؟ أدرك بيتر أنه من الضروري نقل بريان الى مستشفى في أسرع وقت لضمان سلامته التامّة وعدم حصول مضاعفات. ووظائفه الجسدية التي ضعفت جداً بفعل الحادث تحتاج الى عناية اختصاصيين. لكنه ورفاقه منفيون على صخرة وسط المياه الصاخبة. والامل كله معقود على دوغ.

بعد ساعة ونصف ساعة سمع الفتية هدير طائرة مروحية. وحين رأوا علامة الصليب الأحمر في أسفلها راحوا يصيحون ويلوّحون بأيديهم. لكن الطائرة عبرت فوق رؤوسهم ثمّ انحرفت وغابت عن الأنظار. وانتابت بروس نوبة بكاء.

وانقضى نصف ساعة شاهدوا دوغ بعده يركض نحو النهر وفي أثره شرطي عسكري ومعاون طبي. وقفز العسكري فوراً الى الماء وساعدته أيدي الفتية في التسلق الى الصخرة. وتبعه المعاون الطبي ريتشارد رينز. وفي تلك الاثناء عادت الطائرة وهبطت على الضفة.

وبينما الفتية ينظرون بترقب تولى رينز فحص بريان الذي بقي غائباً عن الوعي. وقال إنه يحتاج الى مساعدة طبية لاعانة نفسه الضعيف. ولكن

كيف يمكن نقله من ذلك المكان؟ الواقع أنه لا بدّ من عبور الماء مرة اخرى. وظنّ رينز أن نزول بريان الى الماء البارد قد يساعد في تحويل الدم الى القلب والدماغ. وركز عدّة طوارىء بين كتفيه ووضع ذراعه اليمنى تحت ظهره فيما حمله بيتر من ساقيه. ثم انزلوه على مهل الى الماء.

ونزلت الجماعة مرّتين تحت الماء في طريقها البطيء. لكنّ رينز أحكم يده اليسرى على أنف بريان وفمه لمنع الماء من الدخول.

ولدى اقترابهم من الشاطىء رفع طاقم الطائرة بريان من الماء ووضعوه على حمالة وأدخلوه الطائرة. وعاجله رينز بالاوكسيجين من قارورة الطوارىء. وقال للفتية: "اطمئنوا الى أن رفيقكم سيلقى أفضل عناية على أيدينا. وسنبذل خير ما نستطيع من أجله."

وبعد تحليق الطائرة روى دوغ على زملائه ما حصل له، وكيف ركض حوالى ستة كيلومترات بعد توقف الشاحنة ليبلغ أقرب منزل. ومن هناك خابر القاعدة العسكرية التي أرسلت ثلاث سيارات إسعاف على الفور. وأوقفت السيارات حيث لم تقدر على المتابعة. وكانت الطائرة المروحية وُجّهت خطأ الى طرف بحيرة ناسيمينتو الشمالي، ولكن أعيد توجيهها الى النهر.

أما بريان فقد نقل مسافة ١٩٠ كيلومتراً الى مستشفى جامعة ستانفورد في بالو آلتو حيث وُضع في غرفة العناية الفائقة. ولم يستعد كامل وعيه إلا بعد انقضاء ٤٨ ساعة. ولم تظهر عليه أي آثار جانبية أو أعطال دائمة. وتحلق أصدقاؤه حوله وهو على كرسيه المتحرّك.

وقال مدير غرفة العناية الفائقة: "الواقع أننا لم نفعل شيئاً رئيسياً من أجل بريان، فقد أنجز كل شيء قبل وصوله الى المستشفى. وهؤلاء الصبيان هم الذين انقذوا حياة رفيقهم. وإذا حدث لي شيء كهذا، ففي ودّي أن يكون حولي أناس كهؤلاء يتصرّفون برويّة."

وتجمع أهالي كينغ سيتي، وعددهم ستة آلاف، لملاقاة أبنائهم الثمانية كما يلقى الابطال. وأعلن مدير المدرسة الثانوية بيل لابلانت أنه سيفرض على تلاميذه التسعمئة جميعاً دورة في الانقاذ كشرط لتخرّجهم. وبعد أيام من الحادث غصت صفوف بوني ليهار بالطلاب حتى بات لزاماً عليها أن تدرّب أشخاصاً آخرين لمساعدتها. كما باشر مستشفى "مي" التذكاري في المدينة إعطاء دورة مجانية في الانقاذ. وبعد الحادث الذي تعرّض له بريان تخرج ثلاثمئة من أهالي كينغ سيتي غير الطلاب في دورات الانقاذ.

■ ادوين كيستر

ازعاج الديك لا يأتي من كونه يستيقظ باكراً، بل من اصراره على اعلان الامر على الملأ.

م.ك.ب.

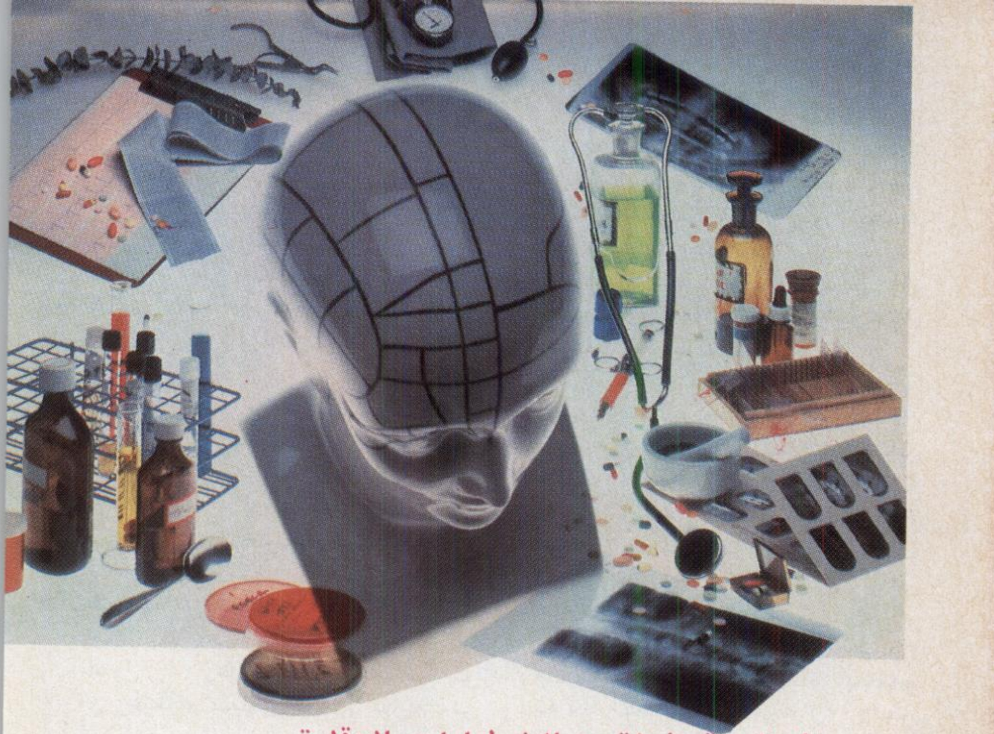

ان نسبة مذهلة من الاضطرابات العقلية تنشأ من علل جسدية قابلة للمعالجة

«لسْتَ مجنونًا أنتَ... مَريض»

ح

حين قضت زوجة روبرت سميث في حادث سيارة في شهر اغسطس (آب) ١٩٨٣، انهار هذا تحت وطأة الغم الشديد. وبعد تشييع جنازتها أخذ يغرق اكثر فأكثر في لجة من اليأس والهمود النفسي. ويتحدث هذا الموظف البالغ من العمر اثنين وثلاثين عاما عن حاله: "لم اعد قادراً على التنفس او التفكير. وفقدت شهيتي الى الطعام وأصبحت اذا أغمضت عينيَّ تتراءى لي ألوان غريبة. وكان هذا أشد ما يرعبني." لكن الاطباء لم يجدوا فيه علة جسدية.

Photo: Cicero/Fimage, Inc.

تفاقمت حاله فدخل مستشفى فير أوكس للأمراض النفسانية في سوميت، ولاية نيوجرزي. وهناك أخضعه الدكتور تشارلز داكيس لفحوص عدة. وقال الدكتور داكيس: "بدا لي أن روبرت سميث لم يكن على ما يرام جسدياً. كان ضغط دمه منخفضاً. ولدى تحليل الدم وجدنا أن محتواه من الصوديوم ضئيل بينما ارتفع البوتاسيوم الى درجة خطرة."

لاحظ كذلك أن المنطقة المحيطة بالحلمتين في صدر سميث قاتمة جداً. وأكدت استشارة طبيب اختصاصي بالغدد أن سميث يعاني داء آديسون، أي أن غدتيه الكظريتين الواقعتين فوق الكليتين انقطعتا عن انتاج الهرمونات، وهذا الخلل جعله يبدو ويتصرف كأنه مصاب بمس.

حقنه الاطباء بالهرمونات الكظرية (الادرينالينات). وعن النتيجة يقول سميث: "في صباح اليوم التالي أصبحت شخصاً مختلفاً. أخذت أتنفس بيسر وانجلى تفكيري."

جلاء الأوهام — لو عولج سميث كمريض عقلي فحسب لقضى نحبه. وقد أتيح له أن يعيش لأن الاطباء في مستشفى فير أوكس أدركوا أن العلل الجسدية قد تؤدي دوراً مهماً في الاضطرابات العاطفية. ومع تطوير مجموعة من الفحوص لكشف الخلل في عمل الدماغ والغدد، أخذ الاطباء يكتشفون أن عدداً كبيراً من المرضى، أمثال سميث، أُسيء تشخيص عللهم الجسدية واعتبرت ادواؤهم عقلية، فتبين أنهم مرضى ولكن ليسوا مجانين. يقول الدكتور ريتشارد رادا مدير مستشفى الكلية وهي مؤسسة مختصة بالعلاج النفساني في سيريتوس، كاليفورنيا: "ان المرضى الذين تبدو عليهم أعراض الكآبة والقلق والسويداء وسوء التصرف قد يكونون مصابين بالسرطان أو الصرع أو باضطراب وظيفي في الغدد أو بداء القلب او بعلل جسمانية أخرى."

ويصف الطبيبان كارتر بوتاشي ومارك غولد من مستشفى فير أوكس هذه المشاكل الجسمانية بأنها "أعظم المخادعات في علم النفس." وهما وجدا ان بعض المرضى يعانون كآبة شديدة لاصابتهم بنقص في افراز هرمون الغدة الدرقية. وغالباً ما تزيل المعالجة بهرمون الغدّة الدرقية الغشاوة العقلية التي يخلفها الهمود النفسي.

واكتشف أطباء آخرون مرضى عقليين يعانون نشاطاً مفرطاً للغدة الدرقية. وأعراض هذا الاختلال قد تشبه أعراض الفصام التي تشوش التفكير حتى يفقد العليل صلته بواقعه.

الهرمون الذي تفرزه الغدد المجاورة للدرقية قد يدفع الى الجنون أيضاً. فازدياد الهرمون يعني ارتفاع مستوى الكلسيوم، وهذا قد يجعل المرء يتصرف كمن به مس. وقلة الهرمون عينه تعني أيضاً نقصاً في الكلسيوم مما قد يجعل المرء يتصرف كأنه مدمن الخمر.

وداء السكري هو علة غدية كذلك ويمكن أن يسبب أعراضاً عقلية حادة.

فالبنكرياس الذي هو غدّة كبيرة تحت المعدة، يخفق في افراز كمية كافية من هرمون الانسولين الذي يتحكم باستهلاك الجسم للسكر والدهن. فتكون عواقب ذلك اختلالا في الشخصية أو كآبة أو عصاباً.

اختلال عقلي؟ - بعد المشاكل الغدّية، الصرع هو السبب الجسماني الأعم للاعراض العقلية. غلوريا بافان (٤٢ سنة) موظفة في احدى مدارس كونتيكت تعاني اضطرابات عاطفية منذ ١٣ سنة. وقد واظبت غلوريا على العلاج النفساني طوال ست سنوات ازدردت خلالها مقادير كبيرة من الحبوب المهدئة. ثم التقت الدكتور ديفيد غروس، الاستاذ المساعد لعلم النفس في جامعة يال ومدير دائرة الاستشارات النفسانية في المركز الصحي التابع لمستشفى واتربري في ولاية كونتيكت. وحين كشف تخطيط دماغي عدم انتظام النبضات الكهربائية في دماغ غلوريا وصف لها عقار "ديلانتين" المضاد للتشنجات العصبية. وهي تقول الآن: "في غضون سبعة أشهر ونصف شهر تحسنت حالي بنسبة ٩٠ في المئة وأصبحت أحيا حياة عادية."

ويشير الدكتور غروس الى أن الاطباء النفسانيين ظلوا طوال السنوات العشرين الأخيرة يتجاهلون الجانب الجسماني في العلل العقلية: "اعتقدنا أن المرء يمكنه أن يفعل ما يشاء اذا وطد ارادته. ولكن اذا كان المرء معتلا جسمانياً، فلن تقوى ارادته على تصحيح اعتلاله."

قبل مدة وجيزة أخذ الاطباء يكتشفون العديد من الناس المصابين بسرعة نبض غريبة مترافقة مع قلق ونوبات ذعر. وفي كثير من هؤلاء المرضى وجد الاطباء أن الصمام التاجي الذي يفصل بين الاذين والبطين في الجهة اليسرى من القلب لا يغلق على نحو صحيح.

كادت امرأة في الثامنة والثلاثين من هيوليت، نيويورك، ان تصاب بالجنون بفعل نوبات ذعر كانت تنتابها، وتقول: "الاشياء التي تخيف الآخرين قليلا كانت ترعبني." ولم تجد جهود طبيبين نفسانيين طوال خمس سنوات من المعالجة في تخفيف هذه الاعراض. لكن الدكتورة اليزابيت موس من مدينة نيويورك اكتشفت العلة في صمام القلب. وتقول المرأة: "بعدما أوضحت لي الدكتورة موس ما كان يحدث لي تضاءلت مخاوفي. وأعطيت عقار انديرال المهدىء للجهاز العصبي، وللحال عدت قادرة على الاهتمام بشؤوني."

أما السرطان فهو داء جسماني آخر غالباً ما يكشف عن نفسه أولا في أعراض عقلية. ويصح هذا خصوصاً على سرطان البنكرياس الذي قد يسبب كآبة حادة وأرقاً. هذا النوع من السرطان يقضي على ضحاياه خلال سنة واحدة من اكتشافه لأنه غالباً ما يبلغ مرحلة متقدمة من تطوره قبل أن يتمكن الاطباء من التعرف على أعراضه الجسمانية. لكن الطبيب النفساني اليقظ، كما يقول الدكتور غولد في مستشفى فير أوكس،

يستطيع انقاذ حياة الناس من طريق تشخيص السرطان في مرحلة مبكرة.

المتقدمون في السن هم أكثر تعرضاً للارهاق الناجم عن المشاكل الصحية. في احدى الدراسات التي أجريت في الولايات المتحدة وجد الاطباء أن واحداً من كل أربعة أشخاص تجاوزوا الخامسة والستين من العمر ويعانون عللا نفسانية هم في الواقع مصابون بأدواء جسدية خفية تسبب لهم اضطرابات عقلية (ثمة عدد مماثل مصابون بمشاكل جسمانية تزيد سوء حالهم العاطفية). كما أن المتقدمين في السن يتناولون الكثير من العقاقير التي تسبب لهم أعراضاً جانبية، خصوصاً الخرف الكاذب. وفي كثير من الحالات، حين يوقف الطبيب دواء معيناً أو يعدّل مستوى الجرعات، تزول الاعراض النفسانية. وبينت دراسة أمريكية اخرى أن زهاء ثلاثة في المئة من الذين يتناولون بانتظام عقاراً وصف لهم تظهر لديهم أعراض اختلال عقلي.

الى أين يفضي هذا كله؟

يعتقد كثير من الاطباء النفسانيين أن العلاج النفساني يجب ألا يبدأ الا بعد فحص جسماني شامل. فاذا شعرت أنت، أو شعر أحد أفراد عائلتك، بأعراض الكآبة أو القلق أو نما لديكم أي نمط شاذ في التصرف، هاك ما يوصي به هؤلاء الاطباء:

١. اذا كان ظهور الاعراض العقلية مفاجئاً، أي في غضون أيام او أسابيع، فيجب أن يساورك الشك في أن وراء ذلك علة جسمانية. لا تنتظر زوالها قبل أن تبادر الى استشارة الطبيب.

٢. اطلب من طبيب العائلة أن يحيلك على اختصاصي بالتشخيص، ويستحسن أن يكون هذا في مركز طبي أو نفساني له اتصال بخبراء آخرين وتتوافر فيه فحوص تشخيصية حديثة.

٣. لا تشعر بالحرج في الافصاح لأطبائك عن العقاقير التي تتعاطاها. فان الكثير من العلل النفسانية ينشأ عن تعاطي أدوية غير شرعية أو عن سوء استعمال الوصفات والعقاقير التي تباع من دون وصفة طبية. دع الطبيب يشاركك في كل ما تعرف.

٤. اذا أدى بك الأمر الى طبيب نفساني، حافظ على اتصالك باختصاصي التشخيص فالاعراض الجسمانية التي لا تكتشف في بداءة الامر يمكن أن تظهر في الفحص اللاحق.

■ ايرل اوبيل

حساب هندي

سأل ولد هندي أباه عن معنى الجملة الآتية: "أكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ١٧ لغة"، فأجاب الوالد بعبارات حسابية حسية: "تصور بناية من ٣٥ طبقة، تبلغ كل منها علو جبل افرست، تدرك عدد النسخ الذي يباع شهرياً من الطبعات المختلفة لهذه المجلة."

ر.س.

ان نار الحب قد تهمد بعد وقـت،
لكـن تلـك العـلاقـة الحميمة بين الزوجين
يمكن أن تزداد عمقاً يوماً بعد يوم

حُبٌّ لمدى العُمُر

يتساءل المرء عما يحدث في حياة زوجية انقضى عليها زمن. ترى أيبقى للحب والجنس معنى؟ ألا يفقدان جمالهما مع التكرار؟

تقول امرأة مرّ على زواجها خمس عشرة سنة: "هذا وقف على ما نعنيه بالجمال. ولا شك في أن الحاجة الى الالتصاق الدائم بالآخر التي تميز مرحلة الحبّ الاولى، تزول مع الوقت. لكنّ الحبّ لا يفقد جماله من نَواح أخرى. ولكم يسعدني اليوم أن أعرف أنّ الشخص الذي يحبني بات يعرفني على حقيقتي."

من أهمّ مباهج الالفة ذلك الحسّ بالامان الذي تحمله. والمرء يتعلم أن

Condensed from «Giving Time a Chance: The Secret of a Lasting Marriage,» copyright © 1983 by Ronna Romney and Beppie Harrison. Photo: Photofile

يثق بالشخص الذي سلّطه على جسده ومشاعره والذي يمكنه في حضوره أن يتخطى العقبات.

يُضاف الى ذلك أن ثمة تاريخاً مشتركاً من الحبّ. وهو كذلك مصدر أمان. وتقول زوجة: "هذه الحَسَنة الكبرى للزواج وهي التي تجعل الجنس يبدو وسيلة وليس غاية."

وفي حين يطغى الجنس على كل شيء آخر في المراحل الاولى للحب والزواج فان المودّة العميقة هي التي تطغى في وقت لاحق. ومن أشدّ لحظات الزواج أنساً تلك التي يمضيها الزوجان في الكلام وقد تغلبا على صعوبات العالم بعدما بدا أنها جرّدتهما من كل شيء.

وتتذكر زوجة يوماً كانت تؤمل فيه الحصول على وظيفة بعد بقائها سنوات في البيت لرعاية ابنتيها. لكنّ المنافسة على تلك الوظيفة كانت حادّة، وجاءت النتيجة في مصلحة امرأة اخرى. واتصلت الزوجة بمكتب زوجها: "طلب مني أن أوافيه على الغداء. ورحنا نتكلم بلا انقطاع. وأخبرته أموراً عن نفسي لم افكر يوماً أن أرويها لشخص آخر. وتكلم عن زواجنا وعن ابنتينا. وأحسستُ أني ذهبتُ إليه كياناً محطماً، لكني رجعتُ كياناً سليماً بعدما لملم أجزائي وأعاد صياغتها. وعندما أتذكر ذلك الغداء أجده لا يقلّ أنساً عن ممارسة الجنس."

إنّ لبّ المودّة هو المعرفة العميقة المتبادلة. وحصول هذه المعرفة يستغرق سنوات. والازواج الذين يعملون في هذا الاتجاه، فيصغي أحدهم الى الآخر ويشاركه في السرّاء والضرّاء، لا يلبثون أن يتوصّلوا الى المودّة التي تغدو عنصر زواجهم الرئيسي الجامع مع كل شيء آخر حوله. وهذه المودّة يجب أن تكفل التغلب على السعي الى الجديد لا لشيء سوى كونه جديداً.

إنّ الوجوه تتغضّن والأجساد تمتلىء والحماسة تنحسر ومعظم الناس يتعرّفون على المزيد من الامراض الثانوية مع تقدمهم في السنّ. أما الحبّ العميق الباقي فيقبل هذه الحقائق جميعاً ويتصالح معها. والذي يجمع المحبين ليس الامور الطارئة، بل الحقائق الداخلية.

وإذا بدت الحاجة الجسدية الى الآخر أقلّ إلحاحاً مع الوقت، فهذا لا يعني زوالها. ولنذكر أن الجنس، كالامور الاخرى، يمكن أن يغدو أفضل مع الوقت، إذ تزيد مهارة المرء في هذا المجال مع الممارسة.

وهناك متعة خاصة يستمدّها الازواج من الجنس عندما تكون متطلبات الحياة على أشدها لديهم. ففي معمعة العمل والارتباطات الكثيرة وتربية الاولاد والقلق على المستقبل قد يجد الزوجان ملاذهما الامين في الجنس.

وتقول امرأة مرّت على زواجها اثنتا عشرة سنة وأنجبت ولدين: "أجمل ما في خبرتي الجنسية اليوم يحصل حين ينام ولدانا ونجلس على أريكة الدار ونتداعب كطفلين."

ويقول رجل متزوج منذ تسع سنوات ولا أولاد له: "أجمل ما في الجنس أنه يرفع ضغوط الحياة اليومية."

وتقول زوجة أنجبت ثلاثة أولاد خلال سبع سنوات من حياتها الزوجية: "الجنس في خبرتي مرتبط بمفهوم العودة الى الذات٠ فعندما آوي الى السرير مع زوجي أتحرّر من روابط العالم كلها وأصير نفسي من جديد٠"

والخصوصية المشتركة بين الزوجين يتبدّل محتواها بتبديل الاشخاص والظروف٠ إلا أن الزواج الطويل يتيح للجنس أن يتجلى في جميع أطواره٠

هذا لا يعني أن طول الحياة الزوجية يضمن محو المشاكل٠ لكن الالفة العميقة من شأنها أن تحيل المشاكل على الظل كلما برزت٠ وفي دراسة أجراها باحثون من جامعة بيتسبورغ في ولاية بنسلفانيا الأمريكية على أزواج وصفوا حياتهم الزوجية بأنها مكللة بالنجاح، ونُشرت عام ١٩٧٨، جاءت النتائج تؤكد ما أثبتته دراستان سابقتان، وهو أن هناك مشاكل جنسية كثيرة حتى في أكثر الزيجات نجاحاً٠ غير أن معظم الذين شملتهم الدراسة قالوا ان حياتهم الجنسية مرضية لأنهم ينظرون إليها في ضوء الحب والالفة٠

ويرى بعض المعالجين النفسيين أن علاج الازواج الذين يشكون عدم الاكتفاء في علاقاتهم الجنسية ليس تلقينهم أساليب جديدة لممارسة الجنس بمقدار ما هو توجيه أنظارهم نحو ذلك المحور العميق الذي هو الودّ والالفة والعمل لتحقيق أهداف مشتركة٠

ومن أهمّ ما يمكن فعله الابتعاد قليلا عن العالم وهمومه والعودة الى الذات٠ وفي هذا بعض استعادة لحرارة الحب الاولى٠ وتقول زوجة: "ينبغي أن تجدا الوقت لتكونا معاً، بعيداً عن العالم، حتى وإن ذهبتما الى فندق في البلدة التي تقطنانها٠ وما لم يحصل هذا الأمر، فلن تتوقّفا عن رؤية الغبار تحت السرير والاواني المتسخة في المطبخ والحقيبة في المدخل٠ والأجدى أن تترك تلك الاشياء حيث هي٠"

وإذا تمكن الزوجان المتعبان من أن يخلفا كل شيء وراءهما، ففي استطاعتهما استئناف حياتهما برغبة متجدّدة واندفاع خلّاق عبر الزمن الذي اختارا أن يختبراه معاً٠

هذه هي اللحظات التي تُكسِب الزواج التماسُك وتتيح للزوجين اللذين التزما عبور الزمن معاً أن يجمعا كنزهما الخاصّ الثمين٠ وربما وجدا بعض هذا الكنز في غرفة هادئة لحظة وقوف الفجر على نافذتها، وبعضه في مطعم وهما يشبكان يداً بيد تحت الطاولة، وبعضه لحظة لقائهما النهم بعد فراق٠ هذه التجارب كلها تمنح الزوجين فرصة ثمينة للحُبّ٠

■ رونا رومني وبيبي هاريسون

سبب معقول

أنب ربّ عمل احد الموظفين لتأخره الدائم في المجيء صباحاً، فقال الموظف: "لقد درّبْتَني على ألا أرفع نظري الى الساعة هنا في المكتب، حتى بت لا أنظر اليها في المنزل ايضاً٠"

ج٠ف٠

كثيرون في العالم يجهلون ميكانيكية عملية انتخابات رئيس الجمهورية في الولايات المتحدة. وهي مسألة تبدو معقدة للأجنبي لكنها تميز نظاماً سياسياً قد لا يكون له مثال في أي بلد آخر

لعبة الانتخابات الامريكية

كان الايرل هاليفكس، السفير البريطاني المعتمد لدى الولايات المتحدة في الاربعينات، يواجه مشكلة هي عدم فهمه النظام السياسي الامريكي. ويذكر المعلق السياسي والتر ليبمان ان ذلك السفير "كان يطلب إعادة شرح الامور له كلما حان وقت الانتخابات."

والحق ان ارتباك هاليفكس لا يفاجيء الغرباء عن الولايات المتحدة. فعملية الانتخاب الامريكية طويلة جداً ومعقدة جداً وتبدو في تغير مستمر، وكثيراً ما تؤدي الى نتائج غير متوقعة مثال ذلك ان جيمي كارتر الذي لم يكن معروفاً في الولايات المتحدة انتخب في العام ١٩٧٦ رئيساً لها.ولا أظن أن لدى الامريكيين تفسيراً مقنعاً لما حدث.

إن السبيل الوحيد لفهم الانتخابات الامريكية وتقديرها حق قدرها يكمن في مراقبة الطريقة التي يساهم بها الشعب الامريكي في العملية الانتخابية، ذلك الشعب المختلف المشارب الذي يعيش في أرض واسعة ويبلغ عدده ٢٢٠ مليون نسمة. والشعار المعتمد في الولايات المتحدة هو ان الفوز لا يكون الا من نصيب شخص واحد.وهذا الشعار تحييه الانتخابات التمهيدية والمؤتمرات الحزبية واللقاءات والانتخاب النهائي.

من السهل جداً أن ينسى المرء المساحة الهائلة للولايات المتحدة فيطبق عليها مقاييس أوروبية. فالمعلق السياسي لا يمكنه مثلا أن يكتب في اثر احد الانتخابات الامريكية "ان عدد المقترعين كان قليلا بسبب هطول المطر في يوم الاقتراع." فهذا الكلام لا يختلف عن قوله في تعليل الأمر: "ان الشمس كانت مشرقة في الصين" أو "إن الثلج كان يتساقط في الاتحاد السوفييتي." فالولايات المتحدة كبيرة جداً، ومع ان شعبها واحد فهو مختلف الأهواء.

في الولايات المتحدة حزبان رئيسيان هما الحزب الجمهوري والحزب الديموقراطي. ويرمز الفيل الى الاول بينما يرمز الحمار الى الثاني. وقد تبدو الاحزاب الامريكية غير مألوفة بالنسبة الى مواطن بلد ذي نظام برلماني. فالاحزاب في الانظمة البرلمانية تنزع الى مركزية واسعة ومنضبطة. إلا أن الاحزاب الامريكية يعوزها التنظيم الدقيق الى حد يصعب معه على الاجنبي معرفة كُنهها. وعلى رغم ذلك فليس في وسع أحد أن يصبح رئيساً للبلاد أو أن يكون ذا أثر في الحياة السياسية الا بواسطة هذه الاحزاب.

لدلك يتحتم على من يصبو الى الرئاسة أن يفوز أولا بتأييد أحد الحزبين الرئيسيين. وليس مهماً في بعض الاحيان أن يحدّد واحداً بعينه إذ انهما لا يتفاوتان، في معظم الاحوال الا في درجة التحرر او المحافظة، في حين ان الاختلافات بين الاحزاب، من أقصى اليمين الى أقصى اليسار، هي في بلدان أخرى اختلافات ايديولوجية. ففي العام ١٩٤٨ مثلا قرر أعضاء "هيئة الامريكيين الداعين الى العمل الديموقراطي"، وهي هيئة تحررية متحالفة في الغالب مع الحزب الديموقراطي، أن يدعموا الجنرال داويت أيزنهاور ليفوز بترشيح الحزب للرئاسة، وذلك لنقمتهم على الرئيس الاسبق هاري ترومان. لكن أينهاور اختار بعد أربع سنوات الوصول الى سدة الرئاسة بواسطة الجمهوريين. وكان من الممكن ان يكون هو نفسه مرشح الديموقراطيين، غير أنه أدرك أن الناخبين أرادوا اطاحة الحزب الديموقراطي.

نظام معقد ـ كيف يستطيع المرشح الفوز بتأييد أحد هذين الحزبين؟ وكيف يختار الحزب مرشحه؟

لقد اعتمد الامريكيون سبلا كثيرة غامضة قوامها المؤتمرات الحزبية والانتخابات التمهيدية غير مكترثين بامكان فقدان الانسجام الحزبي في أثناء المراحل الانتخابية وبعدم ذكر هذه المراحل في الدستور. وهي تستدعي صرف بضعة أشهر في المناورات والعمل الخفي وعمليات التصويت كي يتمكن أعضاء الحزب في مؤتمرهم العام من اختيار مرشحهم.

وربما كان الامر أكثر سهولة إذا اجتمع زعماء الحزب في غرف منعزلة تفوح منها رائحة الدخان واختاروا أفضل من يخدم الحزب ويخدم

مصالحهم الخاصة. والحق أنه كان لزعماء الحزب وأجهزته أثر كبير في الانتخابات حتى مطلع القرن الحالي. ثم أخذ الامريكيون في الولايات المختلفة يشعرون أن على الشعب المساهمة في اختيار الشخصين المرشحين للرئاسة لا الاكتفاء بانتخاب أحدهما من دون أن يكون له رأي في ترشيحه.

وما لبثت الانتخابات التمهيدية أن ازدادت انتشاراً. ففي العام الحالي دعت ٢٩ ولاية، اضافة الى مقاطعة كولومبيا (العاصمة واشنطن)، الى انتخابات تمهيدية بعضها ملزِم في نتائجه وبعضها الآخر استشاري فقط.

الا أن تعقيد هذا النظام الانتخابي لا يقف عند هذا الحد البسيط لأن هناك ضروباً مختلفة من الانتخابات التمهيدية. فالمغلقة منها مثلا تقتصر على الاعضاء المسجلين في الحزب. أما المفتوحة فقد يعمد الناخبون فيها الى شطب أسماء بعض مرشحي حزبهم وابدالها باسماء مرشحين من حزب آخر. وفي بعض الاحيان يختار الناخبون مندوبيهم الى المؤتمر العام سواء أكان هؤلاء ملتزمين تأييد مرشح بعينه أم لم يكونوا.

غير أن بعض الولايات تعوّض الانتخابات التمهيدية بالمؤتمرات الحزبية. فالمؤتمرات الديموقراطية مثلا تزيد هذه السنة على ثلاثين في أرجاء مختلفة من البلاد. وفي بعض الاجتماعات يختار أعضاء الحزب العاديون أو الفاعلون منهم مندوبيهم الى المؤتمر العام. لكن هؤلاء المندوبين لا يعبرون دائماً عن رأي الجمهور إذ يخضعون أحياناً لتأثير زعماء الحزب.

عبقرية انتخابية - تبدأ هذه العملية المعقدة قبل الانتخابات الفعلية بتسعة أشهر، وتنطلق من المؤتمرات الحزبية في ولاية إيوا (عدد سكانها أقل من ثلاثة ملايين نسمة) ومن الانتخابات التمهيدية في ولاية نيوهامشير (عدد سكانها أقل من مليون نسمة). ومع أن سكان هاتين الولايتين لا يشكلون سوى اثنين في المئة من سكان الولايات المتحدة، فقد يكون للنتائج فيهما أثر بارز في اختيار المرشحين.

هذه السنة انتصر غاري هارت على والتر مونديل، أبرز مرشحي الحزب الديموقراطي، في ولاية نيوهامشير مما أضعف قوة مونديل الانتخابية. وفي العام ١٩٨٠ تقدم رونالد ريغان جميع مرشحي الحزب الجمهوري لدى فوزه في هذه الولاية بعدما كان جورج بوش أعاق تقدمه في ولاية إيوا. أما جيمي كارتر الذي كان دخيلا على الحياة السياسية في العام ١٩٧٦ فقد فاز في كلتا الولايتين.

تكمن عبقرية هذا النظام الانتخابي في إعطاء الولايات الصغيرة أهمية كبيرة في مرحلة مبكرة من الانتخابات. ولولا ذلك لاقتصر التأثير الانتخابي على بضع مدن مكتظة بالسكان. وهذا النظام يفسح في المجال أيضاً لكل منطقة أن يكون لها أثر في الانتخابات. فالحملة الانتخابية تنتقل من إيوا في الغرب الاوسط ونيوهامشير في الشمال

الشرقي الى الغرب والجنوب والجنوب الغربي. أما الولايات الكبرى كولايات ميشيغان ونيويورك وبنسلفانيا وإلينوي وتكساس وكاليفورنيا فلا يبرز أثرها إلا في طور لاحق.

ومن المظاهر الخفية لهذه العبقرية أن الولايات الصغيرة التي تنتخب في مرحلة مبكرة قد تدفع الى الامام أحد المرشحين المغمورين. أما الولايات الكبرى التي تملك معظم الاصوات في المؤتمر العام فيمكنها أن تهزم مرشحاً من بين الذين برزوا فجأة إذا لم تجده ملائماً.

والواقع أن هذه الطريقة تبقى هي الفضلى في بلد واسع ومتنوع كهذا. وفي ضوء الاتساع والتنوع يمكن فهم العملية برمتها ومن ضمنها طول الفترة الانتخابية.

لقد ازدادت حديثاً أهمية الانتخابات التمهيدية والمؤتمرات الحزبية الى حد بات من المألوف أن يحضر مرشح معين، في كلا الحزبين، مؤتمر الحزب العام وقد أتى بعدد من المندوبين يؤمن ترشيحه في دورة الاقتراع الاولى. وبات اليوم أقرب الى المستحيل ان يسمح أي من الحزبين باطالة عملية الترشيح لمدة أسبوعين وباللجوء الى ١٠٣ اقتراعات كما فعل الديموقراطيون عام ١٩٢٤.

والتلفزيون هو من بين المؤثرات الاساسية في الانتخابات الامريكية المعاصرة. فهو يساعد في تقرير أهمية الانتخابات التمهيدية والمؤتمرات الحزبية وفي تحديد السبل التي يدير بها المرشحون حملاتهم الانتخابية. غير أن الدور الرئيسي في انتخاب المندوبين الذين يحضرون المؤتمرات الحزبية العامة هو للحزب وليس للتلفزيون. ولا يمكن أن يكون الحمار الديموقراطي والفيل الجمهوري على خطأ.

ارادة الشعب – في أحد أيام السبت من شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٦٩ كنت أتناول الغداء في أحد مطاعم واشنطن، فاذا به مزدحم بأناس تبدو عليهم سمات العظمة. الا اني لم أتمكن من التعرف على أي واحد منهم. فقد كانوا بخدودهم الوردية وثرائهم الظاهر يختلفون عن الناس الذين تعودت مشاهدتهم في واشنطن. وفجأة أدركت أنهم حكام ومشترعون في الحزب الجمهوري أتوا العاصمة من الغرب والغرب الاوسط لمناسبة تولي الرئيس المنتخب نيكسون سلطاته الدستورية. أما الديموقراطيون فلم أجد لهم أثراً.

وتمكن ملاحظة هذا الاختلاف في المؤتمرات الحزبية العامة حيث يلجأ المندوبون الى استخدام "مفاتيح" انتخابية متباينة. والجمهوريون ينزعون الى تغليب القيم التقليدية فيما يدعو الديموقراطيون الى نصرة الفقراء والمحافظة على حقوق الاقليات.

في نهاية الصيف يختار كل من الحزبين مرشحه للرئاسة. وقد ينتمي بعض المرشحين الى "حزب ثالث" أو الى "المستقلين". غير أن هؤلاء يشكلون عادة عقبة في طريق أحد المرشحين الرئيسيين من دون ان يكون لهم حظ كبير في الفوز. ففي

العام ١٩٨٠ مثلا تسبب جون أندرسون في خفض عدد الاصوات التي نالها جيمي كارتر.

إلا أن الصراع الحقيقي يبقى قائماً بين مرشحي الحزبين الرئيسيين. ولما كانت الحملة الانتخابية الحالية تستغرق نحو تسعة أسابيع (من بداية سبتمبر/ أيلول الى الاسبوع الاول من نوفمبر/ تشرين الثاني) فهي لا تختلف كثيراً عن الانتخابات في بلدان كثيرة. فعلى المرشحين، بمساعدة أحزابهم، أن يعرّفوا الناس بأنفسهم وأن يوضحوا خطتهم في إدارة شؤون البلاد وأن يتصرفوا كرؤساء من بداية الحملة الانتخابية الى يوم الاقتراع.

والتعقيد الاخير الذي قد يكون حير هاليفاكس هو أن الشعب يبدو كأنه السبب المباشر في إيصال مرشح ما الى منصب الرئاسة. والحق أن هذا لا يطابق الواقع تماماً لأن الشعب ينتخب ممثلين له الى المجمع الانتخابي. وتجتمع هذه الهيئة بعد الانتخابات ببضعة أسابيع لتدلي بأصواتها. لكن الناخبين في ذلك المجمع يكونون التزموا تأييد أحد المرشحين بحيث يأتي تصويتهم تعبيراً عن إرادة الشعب.

وليس في هذا التعقيد الاخير انتقاص من عبقرية النظام الانتخابي في الولايات المتحدة. ففي كل ولاية عدد من الممثلين في المجمع يساوي عدد شيوخها (اثنان في كل ولاية) وممثليها في الكونغرس (يتوقف ذلك على عدد سكان الولاية). وهكذا يضمن المجمع الانتخابي أيضاً أن يكون للولايات الصغيرة دور في الانتخابات. فتراكم الاصوات في ولايات الغرب الصغيرة مثلا كان أساساً صالحاً انطلق منه الجمهوريون، ومن بينهم رونالد ريغان، في طريقهم الى النصر.

إن العملية الانتخابية هي بايجاز انعكاس لنظام البلاد الاتحادي. وقد أصاب الفيلسوف السياسي البريطاني ديفيد هيوم في قوله إن بلداً كبيراً متنوع السكان كهذا لا يمكن ان يتمتع بنظام حر الا باندماج مبدأي التمثيل والاتحادية. وهذا ما تضمنه العملية الانتخابية في الولايات المتحدة.

إن عبقرية أمريكا تكمن حقاً في القدرة على حكم أمة عظيمة ذات شعب حر. وقليلة هي البلدان الكبيرة الاخرى التي أفلحت في تحقيق إنجاز مماثل.

■ هنري فيرلي

طبيب التلفزيون

ذهبت الى منزل طبيب المحلة لاعاين جهاز التلفزيون بناء على طلبه. فوجدت جهازه القديم الذي خدم عشر سنين في حال يرثى لها. وبعد حين سألني الطبيب بلهجة مهنية رصينة: "بعد التشخيص الذي اجريته، ماذا تصف؟"
فأنعمت النظر الى الجهاز وقلت: "تشريح الجثة".

هـ.ك.

عقاقير هؤلاء "الاطباء" تشفي من الجنون والسرطان وتوفر وسائل طبيعية لمنع الحمل، ويبدو أن العلم الحديث أخذ يعيد اليهم الاعتبار بعدما تجاهلهم طويلا

إعادة الاعتبار إلى الطبّ القديم

يدير كويروكو ندوغا "مشفى جراحياً في الادغال" وهو "مكتب طبي ريفي في قرية مبولو في شمال تانزانيا. وتزخر رفوف كوخه المبني من اللبن بعلب من الصفيح تحوي عقاقير من الاعشاب وقماقم وزجاجات وظروفاً مليئة بالمساحيق والمراهم ومزائج من السوائل.

كويروكو هذا عراف. قد يدعوه بعضهم "دجالا" أو "مشعوذاً" لكن حكومة تانزانيا اختارته واعتمدته رسمياً كـ"مساعد طبي". وهو يعمل بالتعاون مع جهاز الخدمة الصحية في البلاد. وقد امتحن علماء من كلية الطب في جامعة دار السلام مهاراته التقليدية، كما تلقى تدريباً أولياً على أساليب التطبيب العصرية والرعاية

الصحية والتغذية. وعلى غرار الألوف من أنداده المحترفين في أنحاء العالم النامي يلاقي كويروكو، بصفته عرافاً، تقديراً متزايداً لدى المؤسسات الطبية الغربية وحكومات العالم الثالث.

ويجري علماء غربيون اختبارات على العقاقير القديمة المستمدة من النباتات التي يستعملها العرافون لمعالجة كل شيء، بدءاً بالطفح الجلدي وانتهاء بالأورام، باعتبارها مصادر لأدوية جديدة فعالة. ويقول الدكتور هالفدان ماهلر المدير العام لمنظمة الصحة العالمية: "لا يزال أمام الطب الحديث شأو بعيد في الاقتباس من جامعي الاعشاب. فكثير من النباتات المألوفة لدى العرّاف لها في الواقع القدرات الشفائية التي كانت تنسب اليها عرفاً. ويجدر بنا أن نفيد من براعات المطببين بالاعشاب التي كرستها السنون."

هذا تماماً ما تفعله الحكومات في الوقت الراهن، من بورما حتى المكسيك. وقد أقامت حكومات أفريقية عدة مختبرات للأبحاث مهمتها دراسة طب النباتات، وبدأت تدرّب العرافين وتضمهم الى أجهزة الرعاية الصحية الوطنية. كما أنشأت منظمة الصحة العالمية فريق عمل للبحث في الطب القديم، وهي تحث على ادخال الاساليب الطبية القديمة التي ثبتت صحتها على الطب العلمي الحديث. وقد اجتذب المؤتمر العالمي الأول للطب الشعبي الذي عقد في البيرو (أمريكا الجنوبية) عام ١٩٧٩ نحو ٥٠٠ عالم من ٢٥ بلداً، اضافة الى العرّافين القبليين الذين قدموا من الأمريكتين الوسطى والجنوبية.

هذا الاهتمام الجديد ليس سوى مسألة تكيف مع الحقائق العالمية. فثمانون في المئة من المليارين نسمة الذين يؤلفون العالم الثالث لا يزالون يعتمدون العقاقير النباتية في علاجاتهم. ولا يعيش ضمن مسافة معقولة من الاماكن التي تتوافر فيها التسهيلات الصحية العصرية سوى ١٠ في المئة منهم فقط. بالنسبة الى معظم هؤلاء لا يزال العرّاف هو الصلة الوحيدة بينهم وبين الدواء. انه يوفر لهم العلاج "على عتبة دارهم" وضمن امكانات الملايين من الفقراء، وفي الوقت نفسه يكون في عرفهم وافياً بالغرض.

عراف عصري – خلال اليوم الحار الطويل الذي قضيته مع كويروكو ندوغا لم يقدّم هذا الى مرضاه العلاجات المتنوعة فحسب، بل التفهم العطوف أيضاً الذي يضفي على العرّاف المعالج الثقة التقليدية والمركز السامي في مجتمعه.

يوحي وجه كويروكو الملوح أنه تجاوز الخمسين من سني عمره. وهو على خلاف معظم العرافين لم يكتسب مهارته من أبيه، بل استقى معرفته في أثناء عمله مع مطببين آخرين. عندما سألته كيف يختار العلاج المناسب طلب مني أن أراقبه وأصغي اليه فيما هو يعمل. قال لي: "عليّ أن أنظر في العلة من جميع نواحيها. لا أبحث فقط عن الداء بل أحاول أن أعالج الانزعاج الذي يمثل تهافت

الشخص كله بمقدار ما هو انهيار في جسده." كان كويروكو في تواضعه الهادىء محترفاً الى أبعد الحدود.

أول مرضاه كان طفلا أصيبت قدمه بحرق بالغ. سأل أم الطفل بأسلوب جدّي كيف ومتى سقط الطفل في التنور وكيف عالجت هي حرقه. بعد ذلك، وفيما هو يدندن لحناً لكي يهدىء الطفل، راح يغسل الجرح بالماء الدافىء الممزوج بمرهم يحتوي نسغ نبات الباوباو السائل المطهر. وبعدما لف الجرح بضماد نظيف علم الأم كيف تواصل العلاج في البيت مذكراً اياها بأن تعود اليه بالطفل بعد ثلاثة أيام اذا لم تتحسن حال قدمه. كلفت هذه المشورة التي استغرقت نصف ساعة خمسة شلنات (دولارين) بما في ذلك ثمن المرهم.

معظم مرضاه غادروا كوخه ذلك النهار حاملين عقاقير. وهو طلب من قلة منهم العودة اليه في وقت لاحق لكي يتاح له أن يهيىء النباتات المناسبة. وفي احدى الحالات شك في وجود كسر في العظم فأشار على المريض بالذهاب الى المستشفى في آروشا، وهي كبرى بلدات المنطقة، لأن الحكومة توجب أن تحال جميع "الحالات العسيرة" على المركز الطبي الاقليمي. ويقول كويروكو انه "ليس أكثر من مندوب صحي في الخط الامامي، لكنه ليس أقل من ذلك."

تراه يشير باعتزاز الى موازين الحرارة ومقاييس ضغط الدم وحبوب الاسبيرين التي تلقاها من الحكومة. وفي غضون الاسابيع التي قضاها في مستشفى آروشا تلقن كيف يتعرف على معظم الامراض المألوفة مثل الملاريا والحصبة والسل وأمراض المعدة والامعاء، كما تعلم ماذا يستطيع فعله كمرحلة أولى من المعالجة. وأهم من كل ذلك تعلم أن الطب الوقائي أجدى وأرخص كلفة الى مدى بعيد من الطب الشفائي. وفي أحد البرامج التدريبية الدورية سوف يتعلم كيف يساعد مواطنيه من طريق حملات التلقيح الوقائي بمراقبة خبير صحي زائر.

كويروكو سعيد لأنه أصبح "عصرياً"، لكنه مسرور كذلك لأنه "لن يطلب مني أبداً أن اتخلى عن أساليبي القديمة. عليّ أن أتعلم الكثير من الاطباء العصريين، تماماً كما يمكنهم هم أن يتعلموا شيئاً منا."

آمال كبيرة ـ مثل هؤلاء المطببين شقوا الطريق لاكتشاف العقاقير المخدرة: المورفين والكودين (المستخرج من زهرة الخشخاش) والديجيتاليس المنشط الاساسي للقلب (المستخرج من نبتة القمعية) والكينا الذي لا يزال أقوى دواء ضد الملاريا (يستخرج من لحاء شجرة الكينا) وأدوية كثيرة أخرى. وتقول بعض المصادر ان نحو ٨٠ في المئة من الادوية الحديثة مشتقة مباشرة أو لامباشرة من النباتات.

يقول سيري فون رايس عالم الحياة في المتحف النباتي لجامعة هارفرد، وهو مرجع في الطب القديم، "قرابة نصف العقاقير الموجودة في مخازن الادوية البدائية يمكن ان تشفي فعلا أو أن تريح المريض."

قبل سنوات قليلة تولى فريق أبحاث برئاسة الدكتور أوكو أمبوفو مدير مركز البحث العلمي في طب الاعشاب في مامبونغ (غانا) استقصاء مفعول نبتة يستعملها المطببون المحليون في معالجة الملاريا والتهابات المسالك البولية. وجد الفريق ان النبتة، وتدعى كريبتولبس سانغونولانتا، تحتوي مادة شبيهة بالكينا مع مادة مضادة للجراثيم (أنتيبيوتيك). وما ان ثبتت فاعلية هذه النبتة حتى بوشر استخدامها في عيادة الابحاث. وأوصى الدكتور امبوفو باستعمال هذه النبتة بالطريقة نفسها التي كان يعتمدها المطببون القدامى، أي في شكل جذور تنقع في الماء. وقد تحقق نجاح طبي آخر مذهل مع عشبة "راوولفيا سربنتينا" التي تنمو في جنوب آسيا. فلما كان لهذه النبتة شكل أفعى فقد استعملت جذورها المرة في بادىء الامر ضد لدغات الافاعي. وظلت طوال قرون يستخدمها المطببون القدامى في الهند، خصوصاً كعقار مهدىء. ووجد هؤلاء أن الجذر يساعد كذلك في معالجة الهستيريا وما دعوه "الخبال". وكان استخدامه في هذا المجال هو الذي لفت العلماء الغربيين اليه.

في أواسط الخمسينات أثبتت مادة قلوية في هذه النبتة، وهي مركب بيوكيميائي يعرف باسم رزربين، فاعليتها ضد تشكيلة واسعة من العلل، خصوصاً الاضطرابات العصبية والارق وحتى الامراض العقلية. وللحال غدا هذا العقار يستخدم كمهدىء في مرض الفصام (انفصام الشخصية) وأصبح أول عقار طبيعي واسع الاستعمال لتهدئة المرضى الذين يعانون اضطرابات عنيفة. وقد تبين أخيراً أن مادة رزربين فعالة كذلك ضد ارتفاع ضغط الدم وسواه من "الامراض الناجمة عن الارهاق"، حتى أضحى الأطباء يضوون في قائمة استعمالاته علة ارتفاع الضغط الشرياني التي تعتبر أعظم داء مفرد يسبب الوفاة في العالم الغربي.

كذلك أرشد هؤلاء المطببون العالم الى نبتة تدعى "فينكا روزيا" (دالية مدغشقر) التي أعطت العلم أشهر عقارين مضادين للسرطان. هذه النبتة ذات الزهر الوردي والابيض استخدمت على نطاق واسع بين القبائل في الغابات الممطرة كعلاج لداء السكري. اعتقد البيوكيميائيون الغربيون أن هذه النبتة قد تفيد في معالجة الملايين من مرضى السكري في البلدان النامية، فدرسوا خصائصها ووجدوا أن المادة القلوية التي تحتويها تشكل سلاحاً لم يخطر في بالهم ضد بعض أنواع السرطان. ومن بين الادوية الثمينة المشتقة فعلا من هذه النبتة عقارا "فينبلاستين" و"فينكرستين".

حين يستعمل عقار "فينبلاستين" مع عقاقير أخرى فانه يعطي مفعولا فائقاً ضد مرض "هودجكنس" الذي يصيب الغدد اللمفوية والطحال والكبد، اذ يمنح فترة راحة لأربعة من كل خمسة مرضى لمدة سنتين على الاقل. وحقق عقار "فينكرستين" نجاحاً مماثلا. وفي العام ١٩٦٠ كان

أمام طفل مصاب بداء اللوكيميا (سرطان الدم) احتمال بنسبة ٢٠ في المئة للحصول على فترة راحة. ولكن من طريق دمج عقار "فينكرستين" مع أدوية اخرى ارتفعت نسبة الامل الى ٨٠ في المئة.

صحة للمحرومين - يؤدي الطب القديم دوراً مهماً حتى في مجال البحث عن صيغ أفضل لعقاقير منع الحمل. ويقدّر الخبراء أن ثمة ألوفاً من النباتات المتنوعة المستعملة كموانع للحمل في مختلف أرجاء العالم، مع ان العلماء الغربيين لا يزالون غير واثقين من فهم الطريقة التي تؤدي بها معظم هذه النباتات وظيفتها.

وهناك أمل كبير في شجرة "القلب الاخضر" (أوكوتيا رودياي) التي تنمو في الغابة الماطرة في غيانا. فمنذ مئات السنين دأبت النساء في بضع قبائل على استخدام جوزة هذه الشجرة كمانع مأمون للحمل. ويقول الدكتور كونراد غورنسكي وهو عالم بيوكيميائي في كلية الطب في سانت برثولوميو في لندن: "لا نعرف اذا كانت خصوبة المرأة تتأثر بسبب وقف الاباضة أو اذا كان العقار المستمد من الجوزة يمنع الحمل كيميائياً." ولا يزال الدكتور غورنسكي منذ ١٥ سنة يعمل على عزل العناصر الفعالة المانعة للحمل الموجودة في شجرة القلب الاخضر وسواها من النباتات.

وفي حين يحاول العلماء المعاصرون الافادة من مهارات الطب القديم فان الخبراء المتدربين في الغرب يحرصون على عدم التغاضي عن حدود فاعلية هذه الاساليب. فان عرافاً مثل كويروكو يمكنه أن يوفر رعاية صحية حيوية لقرويين يعيشون خارج نطاق مسؤولية الاطباء ذوي التدريب العالي في المراكز الصحية الرئيسية في تانزانيا، الذين يستطيعون معالجة الحالات المستعصية التي تتعدّى حدود مهارة أمثاله من العرافين.

ان الهدف هو جعل العالمين، العلمي والتقليدي، الغربي والمتخلف، يعملان معاً. وقد ورد في تقرير حديث لمنظمة الصحة العالمية: "ان دمج النظامين، من دون الاضرار بالمبادىء الاساسية ولكن مع التفهم الكامل للجانبين، سيتيح للسكان المحرومين في العالم الثالث الافادة من أحد الحقوق الانسانية الاساسية، الا وهو الحق في ضمان صحتهم.

■ نورمان مايرز

الاولى والثانية

عقب ولادة ابنتنا البكر صمم زوجي على ان يأتي الى المستشفى لتغيير اقمطتها كيما يعتاد ذلك. وبينما هو مستغرق في العمل ذات يوم دخلت ممرضة وسألته: "أهذه الاولى؟" فأجاب: "لا، بل الثانية."

وثارت ثائرتي وصحتُ فيه: "ماذا تعني؟ أليست هي طفلتنا الاولى؟"

فأجاب مرتبكاً: "أجل. لكنها المرة الثانية ابدّل الاقمطة."

ك.ش.

دائرة المعارف

تتناول كلمات الدائرة في هذا العدد أحوال الانسان الجسدية والعاطفية والنفسية. وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معان، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء ان يختار المعنى الذي يعتبره مناسبا ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١ • وسن: أرق - تعب شديد - حلم - ثقل النعاس.

٢ • طوى: كراهية - جوع - أضمار الشر - نسيان.

٣ • تدليه: دهشة - سلوى - جنون العشق - مؤاساة.

٤ • حَنَق: غيظ مع حقد - حمق - قلق - كلام فارغ.

٥ • عبّ: غمر - تنشق - تهجم - شرب بلا تنفس.

٦ • تشفّى: تكبر - نكى وقهر - توقع - طلب الرحمة.

٧ • وجوم: يأس - اخفاء الفرح - حزن - ضجر.

٨ • لجلجة: خوف - ثقل اللسان - عناد - كثرة السؤال.

٩ • كفاف: ما كفى عن الناس - فاقة - غفران - عمى القلب.

١٠ • هِجانة: بياض حسن - عجب - سخرية - اغتياب.

١١ • أجهش: ضحك - همس - تهيأ للبكاء - شهق.

١٢ • لاعج: أسى - هوى محرق - تخوف - حب الانتقام.

١٣ • ريّق: لائق - مريح - مسرور - لم يأكل ولم يشرب.

١٤ • مدقع: كثير المال - متجهم - فقير ذليل - مريض.

١٥ • جذل: لهو - حب العطاء - فرح - امتنان.

١٦ • جحوظ: نتوء المقلة - عبوس - دهشة - انكار الجميل.

١٧ • لقِست نفسه: اشتهت - ضاقت وغثت - طمعت - رضيت.

١٨ • شَمِط: فرح بمصيبة سواه - عتب - سقط شعره - شاب.

١٩ • نشيج: خيال - حديث حميم - بكاء - عرق الجسم.

٢٠ • تلمظ: تذوق - بصق - تذمر - وضع رجلا فوق رجل.

٢١ • صعق: جن - صاح بأعلى صوته - شهق - غشي عليه.

٢٢ • نَقَه: رحم - تعافى - نقل الحديث - تشكى.

٢٣ • ضَرِس: جاع - كلت أسنانه - ظلم - برد.

٢٤ • افترار: ارتياح - خسة - ضحك حسن - فتور.

٢٥ • بَطَر: استخفاف النعمة - متعة - قناعة - تهور.

٢٦ • شرِق: عطش - زاد جماله - مزح - غص.

٢٧ • أيهم: جبان - كثير الاوهام - حنون - جريء.

٢٨ • سَدَم: حكمة - هم مع ندم - تشاؤم - ذكرى أليمة.

٢٩ • قِلى: حمى - حب دفين - بغض - حسد.

٣٠ • غُلّة: عطش - كآبة - شبع - شوق.

الأجوبة الصحيحة

٠١ **الوسَن**: ثقل النعاس. الكرى: أن يكون الانسان بين النائم واليقظان.
٠٢ **الطوى**: الجوع. طاوي البطن: ضامره. الطوية: النية والضمير.
٠٣ **التدليه**: ذهاب العقل من عشق ونحوه، وصاحبه مدلَّه.
٠٤ **الحَنَق والحَنِق**: شدة الاغتياظ مع الحقد.
٠٥ **عبّ الماء**: شربه بلا تنفس. عبّ البحرُ: ارتفع موجه.
٠٦ **تشفى**: نال الشفاء. تشفى من عدوه: نكى به نكاية تسره.
٠٧ **الوجوم**: حزن أو غضب يسكت صاحبه.
٠٨ **اللجلجة**: ثقل اللسان والتردد في الكلام.
٠٩ **الكَفاف**: ما كفى عن الناس. يقال: قوته كفاف حاجته، أي مقدار حاجته من غير زيادة ولا نقصان.
١٠ **الهِجانة**: أحسن البياض في الرجال والنساء والابل.
١١ **أجهش**: تهيأ للبكاء. أبّ: تهيأ للمسير.
١٢ **ألعج النار**: أوقدها. اللاعج: الهوى المحرق.
١٣ **الريّق**: من هو على الريق، أي لم يأكل ولم يشرب.
١٤ **المدقع**: من ذل في فقره حتى لصق بالدقعاء وهي التراب.
١٥ **الجذَل**: الفرح. تجاذل القوم: تضاغنوا وتعادوا.
١٦ **الجحوظ**: عظم المقلة ونتوءها. الجاحظتان: حدقتا العينين.
١٧ **لقِست نفسه وتلقست من الشيء**: ضاقت وغثت.
١٨ **شمِط الرجل**: خالط بياض رأسه سواد.
١٩ **النشيج**: الصوت. أيضاً: البكاء من غير انتحاب.
٢٠ **اللمظ والتلمظ**: التذوق. أيضاً: تتبع بقية الطعام بين الأسنان باللسان.
٢١ **صعِق**: مات. أيضاً: غشي عليه من الفزع أو من صوت يسمعه.
٢٢ **نَقَه من مرضه نقوهاً**: صح وفيه ضعف.
٢٣ **ضرِست الأسنان**: كلَّت من تناول الحوامض. ضرّسه الدهر: اشتد عليه.
٢٤ **الافترار**: الضحك الحسن. الاهلاس: اخفاء الضحك أو فتوره.
٢٥ **بَطِر النعمةَ**: استخفَّها جهلا وكبراً فلم يشكرها.
٢٦ **شرِق بالماء**: غص به. يقال: غص بالطعام وجرِض بالريق.
٢٧ **الأيهم**: الشامخ من الجبال. أيضاً: الرجل الجريء الذي لا يستطاع دفعه.
٢٨ **السدَم**: الهم مع الندم، والغيظ مع الحزن. الكَرب: الغم.
٢٩ **القِلى**: البغض. كذلك الشَنَف والمقت. والفِرك: بغض الزوج او الزوجة.
٣٠ **الغُلَّة**: العطش الشديد. الغليل: العطش والحقد وحرارة الحب والحزن.

المستوى
٤٥ ـ ٣٠: ممتاز
١٩ ـ ٢٤: جيد جداً
١٣ ـ ١٨: مقبول

سحلية في الدار

تقطن السحلية الصغيرة "غيكونيدا" في المناطق الدافئة في العالم وهي مولعة بأكل الهوام كالبعوض والنمل. لذلك يرحب بها الناس في منازلهم. وهنا حوار غريب دار بين سحلية ورجل يسكن في بانكوك (تايلند) ويتناول أصول الضيافة وحسن الجوار.

أفقت من قيلولة قصيرة بعد ظهر يوم أحد على صوت ذكر سحلية يناديني: "تشك..تشك..تشك..." جلستُ معتدلا وسألت: "من هناك؟" لكني لم أسمع غير صوت الريح وسط شجر المانغو وحفيف أوراقها، وتحرك غصن لامس جدار الغرفة فوق سريري.

ثم رأيته...ذكر سحلية بني اللون يخرج زاحفاً من خلف صورة معلقة على الجدار. حدّق إلي ملياً ووجدت نفسي أقول: "أهلا بك!" كنت أرجو ألا يدخل غرفتي أحد ويسألني مع من أتكلم. سمعت صوته: "تشك...تشك...تشك."

علمت من لهجته أنه يؤنبني وارتأيت مهاجمته بدلا من الدفاع عن نفسي فسألته: "ماذا تفعل خلف الصورة؟"

أجابني بصوت ثاقب: "ما اعتدت أن افعله فأنا أعيش هنا مع عائلتي."

ألتفت حولي وقلت: "حقاً! وأين هم؟"

أجابني باعتداد: "أريد التعرف عليك والاستفسار منك: لماذا تزعجنا

Copyright © 1983 by Roger Welty. Condensed from Bangkok Post (March 20, 1983)

على الدوام؟ ولماذا تكثر من التنظيف ومسح الغبار؟ لماذا أخرجت جميع الكتب من المكتبة البارحة مثلا؟ لقد أقلقت راحة ابنة عمي كيك وكانت على وشك أن تضع البيض عندما انقلب مجلد قانوني قربها. لم يعد في إمكان أحدنا أن يستمتع بحريته الخاصة."

ـ يؤسفني ذلك. لكننا كنا نستعد لاقامة حفلة.

"أي حفلة؟ لقد اضطرت عمتي توت وعمي غاك الى الهرب من خزانة آلة التسجيل."

ـ لكن الاولاد رغبوا في سماع بعض الموسيقى.

"...وللمناسبة، هل تذكر يوم طردت شقيقتي من داخل عصا رفع الاثقال؟ كانت بيب وجدت فيها مكاناً هادئاً يصلح لسكنها، فأنت لا تستعملها كثيراً. كيف يمكن سحلية محترمة أن تعيش بسلام وأنت تحرك قطع الاثاث باستمرار من أجل تنظيفها؟ ثم انك وضعت شباكاً معدنية على النوافذ تمنع دخول البعوض السمين مما زاد في صعوبة الحياة."

ـ أنا لم أفكر في الأمر على هذا النحو.

"من الواضح انك لم تعرنا أي تفكير على الاطلاق. ألا تعرف ماذا حصل لعمي بيك؟ لقد سحقته حتى الموت وأنت تغلق باب الشرفة... ثم ما هذه المواد الكريهة التي ترشها على النباتات؟ هل تريد ابادتنا جميعاً؟"

ـ لا، لا، فأنا مؤمن ولا أؤذي نملة.

"لكنك لست متشدداً في ايمانك... لقد قتلت المبيدات ابن عمي شط وصديقته تيك."

سألته متمسكناً: "هل تحب الجبن؟"

ضاقت عيناه وقال: "ولماذا تسأل؟"

ـ هل تأكله؟

"اذا كنت تسأل من أجل بعض الفتات الذي تركته على الطاولة..."

ـ كانت صحفة مليئة بالجبن المبروش للمعكرونة.

"لم يكن من النوع الجيد."

وجبة عجيبة: بعوض مع جبن مبروش!

انتصب فجأة.

ـ ما خطبك؟

"أصمت! ألا ترى تلك البقة...؟"

اختفى وراء الصورة برهة ثم سمعته يطحن قشرتها فقلت ممتعضاً: "تفو!"

قال والطعام ملء فيه: "لا تبد رأيك قبل أن تجرب طعمها بنفسك. أنتم معشر البشر، ماذا تأكلون؟"

ـ من الواضح أن رأيك فينا نحن البشر ليس كما يرام. نحن نهيىء لكم المأوى داخل شقوق منازلنا والمأكل...

"لكنكم تضعون الشباك المعدنية والنوافذ الزجاجية وجهاز التبريد مما يجعل حياتنا مستحيلة... لقد اختفت عمتي كاك داخل شفاطة المكنسة الكهربائية..."

ـ يا للهول!

ونادى: "تشك تشك." فجاءه من داخل الستائر المعدنية جواب: "تشك تشك تشك."

قلت: "اصدقاء؟"

ابتسم وهز ذيله وأسرع في اتجاه الصوت قائلا: "نعم، يمكنك أن تسميها صديقة."

- انتظر، قبل ان تذهب... هل سأراك ثانية؟

"وهل ستنظف خلف الصورة حيث أسكن؟"

- كلا. سأتركك وشأنك.

"حسناً. سأعود... أو من الافضل أن القاك أمام الباب الخارجي قرب المصباح فالمكان نظيف هناك."

- لماذا؟

"حيث البراغش يا رجل. انتم معشر البشر لا تقدرون خيرات الحياة، وأحياناً تطفىء نور المصباح باكراً قبل أن أنتهي من عشائي، فتختفي البراغش وأبقى جائعاً."

- من الآن فصاعداً سأبقي نور المصباح مضاء طوال الليل.

"واترك آلة التسجيل في غرفة الجلوس ولا تستعملها. اننا ننتظر تفقيس الجيل الجديد داخل المحرك."

- أنت تكثر من الطلبات.

"اعتبرها لائحة هدايا الى جنس السحالي. واذا رفضت اجابة طلباتنا سنتركك للنمل والبعوض والهوام."

قلت مستسلماً: "موافق."

فابتسم بخبث: "حسناً. علي الذهاب فصديقتي تنتظرني. سنتناول العشاء أولا ثم..."

قلت مداعباً: "...ثم ساعة غرام وصفاء."

قال: "أنت على صواب." ثم ودعني: "تشك تشك تشك." وانزلق تحت الشبكة المعدنية التي كنت أحسبها محكمة الاغلاق.

■ روجر ولتي

مغفَّل

في رحلتها من مدينة الى مدينة، توقفت امرأة في فندق للمبيت. وقال لها المسؤول: "آسف، اذ لا مكان لديّ. فالغرفة الأخيرة حجزها الرجل الذي تجدينه في البهو."

واتجهت فوراً الى ذاك الرجل وقالت: "يا سيدي، بما انك لا تعرفني ولا انا اعرفك، وبما انهم لا يعرفوننا ولا نعرفهم، فهل تسمح لي بالنوم على أرض غرفتك؟"

وأجاب الرجل: "بما انك لا تعرفينني ولا انا أعرفكِ، وبما انهم لا يعرفوننا ولا نحن نعرفهم، فاني اسمح لكِ بالنوم على أرض غرفتي."

وهناك اعطاها حراماً تمددت عليه. وبعد حين لم تستطع احتمال صلابة الأرض. فكرّرت الجملة الطويلة: "بما انك لا تعرفني..." واضافت: "أتسمح لي بالنوم في سريرك؟"

ووافق الرجل على طلبها. وبعد وقت قليل اعادت الجملة: "بما انك لا تعرفني..." وأضافت: "ما رأيك في حفلة صغيرة بيننا؟" واجاب الرجل: "اسمعي يا سيدتي. بما انك لا تعرفينني ولا أنا اعرفك، وبما انهم لا يعرفوننا ولا نحن نعرفهم، فمن ندعو الى هذه الحفلة؟"

ب.هـ.

شال من الحرير المطرز
من تصميم زينغ وينزونغ
لحساب شركة الحرير الصينية
في هانجو٠

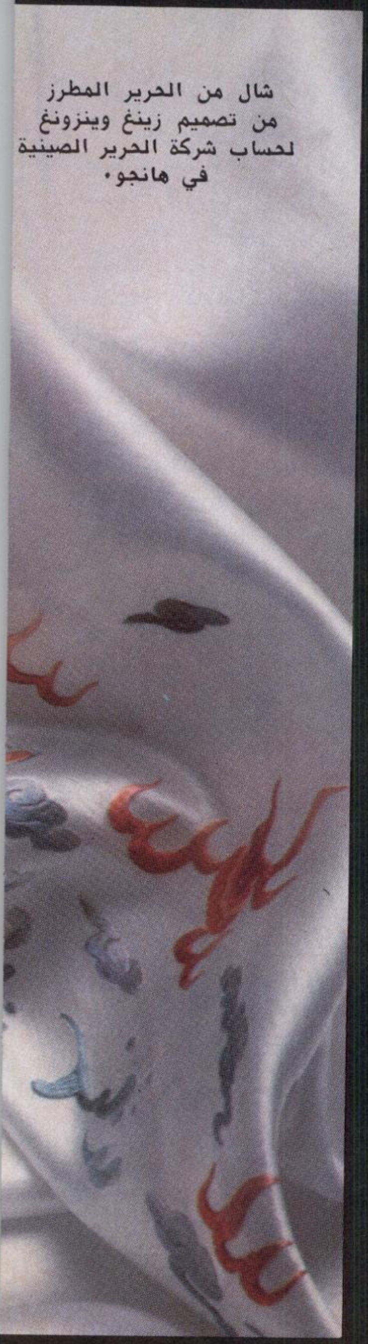

منذ ٤٠٠٠ سنة وخيط الحرير يخرج من دودة القز ليغطي أجساد الملوك

الحَريرُ نسِيجُ الغوايَة

ح الحرير٠ لفظة مترفة في ذاتها تشع أبهة ورونقاً٠ وملمس الحرير على البنان يوقظ حنيناً دفيناً الى نسيج آت من أماكن قصية٠ هو الخيط الذي يخترق التاريخ٠ رافق اصحاب التيجان وأثرى المهرجانات والمواكب والعقائد والطقوس عبر العصور٠ وقد جرى التقليد ان تُزف العروس الهندية في لباس من الحرير٠ ويعتبر اللحاف الحريري مقياس ارتفاع مهر المرأة الصينية٠ ونقلا عن مصمم الازياء أوسكار دو لا رنتا فان "الحرير على الجسد كالالماس في اليد٠"

طالما عشق الناس الحرير٠ فمنه نسيج الحياة الذي ينبثق من دودة

Condensed from National Geographic (January '84), © 1984 by National Geographic Society, 17 & M Streets N.W., Washington, D.C. 20036.

القز في شكل خيوط تمتد حتى ١٦٠٠ متر طولا.

ما الذي يجعل الحرير مثار الاعجاب؟ انها خيوطه المثلثة التي تعكس الضوء كالموشور، وطبقات البروتيين المتراكمة في بريق لؤلؤي يجعل الحرير كالجواهر.

ودود القز في الحقيقة يرقات تنتمي الى عائلتين: بومبيسيدا (دودة القز التجارية) وساتورنيدا (دودة القز البرية) التي تعطي حريراً أسمك. والعائلتان من رتبة واحدة هي لبيدوبترا (ومنها الفراشات). وكل الحشرات المنتمية الى رتبة لبيدوبترا تعطي حريراً، لكن دود القز وحده يفرز الخيط اللماع المتصل.

وعندما تصبح فراشات تبدو اكبر واكثر بهاء من البومبكس التجاري. وهي، لكونها أقوى من مثيلاتها الداجنة، تنتج حريراً أقسى يكون صباغه اكثر صعوبة من صباغ الحرير الاصطناعي.

والصين هي المصدر الرئيسي للحرير الأبيض المعروف باسم "توساه". وتحتكر الهند يرقات الموغا التي تنمو في وادي آسام الرطب وتنتج حريراً مذهباً براقاً. أما دودة القز التي تنشأ على نبات الخروع في الهند فتفرز حريراً متيناً يدوم وقتاً طويلا، لكن فكه من الشرنقة صعب، ويتم غزله كالقطن او الصوف.

دودة قز تقذف خيط حرير.

كالآلات الشرهة

يتضاعف وزن دود القز المربى عشرة آلاف مرة في حياته التي تدوم ٢٥ الى ٢٨ يوماً. حتى التنفس لا يمنع الدود عن الالتهام المتواصل للطعام. فهو أثناء أكله يتنفس عبر فتحات عشر في جانبي جسمه. وتنام الدودة دورياً لمدة يوم واحد، وحين تستيقظ من نومها تتملص من جلدها القديم وتعود الى الأكل ثانية.

وبعد تجديد جلدها أربع مرات تبدأ في التشرنق. فتعمد أولا الى قذف نسيج واه من مغزلها، وهو فتحة الأنبوب المنطلق من غدتين تفرزان الحرير وتمتدان على طول جسدها. ومن ثم تهز رأسها في شكل الرقم

ويأتي الحرير عادة من فصيلة بومبكس موري التي تربى منزلياً في المناطق الغنية بأوراق التوت التي تشبع نهمها.

وثمة مئات الأصناف من دود القز البري تبحث عن طعامها بنفسها، وهي تتغذى بأوراق شجر السنديان.

Photos: Cary Wolinsky / Stock Boston

" 8 " وتفرز مزيجاً شبه سائل من البروتيين المغلف بمادة دبقة تدعى سيريسين. ويقذف الحرير السائل بمعدل ٣٠ سنتيمتراً في الدقيقة. ويتحول لدى تعرضه للهواء خيطاً تحوك به الدودة شرنقتها التي لا يخترقها الماء.

وخلال اسبوعين تستحيل دودة القز فراشة وتظهر للعيان. وبعد ساعات من التزاوج تبيض الأنثى ما يراوح بين ٣٠٠ و٥٠٠ بيضة، ثم تموت في ثلاثة ايام. ويحتاج البيض الى طقس بارد كي ينمو جيداً، ويفقس بعد مدة تراوح بين ستة اسابيع و١٢ شهراً.

وفي حين توضع بعض الشرانق جانباً لانتاج البيض، يموت معظم الفراش اختناقاً. فالحيوان في كل شرنقة يختنق في العادة بالهواء الساخن او البخار، مما يمنع تلف الشرنقة بانبثاق الفراشة ويضمن خيط حرير غير منقطع. ويقدّر ان ربطة العنق تلزمها خيوط من ١١٠ شرانق والكنزة من ٦٣٠ ولباس الكيمونو من ٣٠٠٠.

وطريقة تربية دودة القز تحدد كمية الحرير ونوعيته. ومع ان هناك انواعاً مهجنة فان اليرقات تبقى كائنات ضعيفة. وفي هانجو في بلاد الصين تمتنع النساء اللواتي يعملن في تربية دود القز عن التدخين واستعمال مستحضرات التجميل وأكل الثوم خشية ان تسبب الروائح ازعاجاً للدود الذي فقس حديثاً.

حرفة الأسرة — يتخذ مربو الدود في اليابان احتياطاتهم ايضاً. ففي توكوروزاوا كان علي ان أغتسل وأبدّل ثيابي لأرتدي زياً منشى وقبعة وقناعاً من الشاش قبل ان أدخل المكان المعقم. وهناك رأيت نحو مليار دودة كرؤوس الدبابيس عمر كل منها يوم واحد، وهي تقضم اوراق التوت وفول الصويا ودقيق الذرة. وفي مكان مجاور ريشة لنخس الدودة الشاردة عن مكان الطعام.

ومع ان اليابانيين مكننوا جميع عمليات انتاج الحرير، فلا تزال أمور عدة تؤدى يدوياً في البلاد النامية الغنية بالأيدي العاملة. وقد ذهبت مع عدد من النسوة لنقطف أوراق التوت خارج قرية اشتهرت بالنسيج في بان لاو كلواي شمال شرق تايلند. ومن حولي كانت النسوة عرّين أغصاناً كاملة من أوراقها قبل ان أقطف بضع ورقات.

وتقف النساء في أحد مصانع داندونغ في الصين اليوم كله أمام آلات الحياكة يغسلن الشرانق ويصفين خيوط الحرير من مادة السيريسين الصمغية بنقعها في الماء الساخن. وتتحرك اصابعهن برشاقة وهن يجمعن الألياف من الشرانق ويلقمنها الآلات.

في الهند تشغل حرفة الحرير الأسرة كلها. ففي احد المنازل في كانشيبورام رحت أراقب الزوجة وهي تنزع الصمغ عن الحرير فيما تمد الجدة خيوطه طولا ويلف احد الأطفال الخيط بينما يعمل الأب على النول وهو يحوك ثوب الساري الفاتن ذا اللونين الازرق القاتم والذهبي.

ولطالما ازدان نسيج التاريخ

بالحرير. فالملاحم الهندوسية التي ترجع الى ٢٠٠٠ سنة تورد ذكره. ولما كان الحرير هشاً وقابلا للفساد فان منسوجاته تبلى وتنحل بمرور الزمن. وما زال احد المتاحف في هانجو محتفظاً بخيوط حرير وأشرطة مطرزة يقدر عمرها بنحو ٤٥٠٠ سنة.

أصلب من الفولاذ ـ الصين هي مهد القزازة (انتاج الحرير الخام) ونسج الحرير. وكان الخيط ثميناً إذ اعتبر مقياس العملة المتداولة. وقد انشأ البلاط الامبراطوري المصانع لحياكة خيوط الحرير بغية استعمالها في الاحتفالات والشعائر وكهدايا الى البلدان الاخرى.

وعلى مدى اكثر من ٢٠٠٠ سنة حافظ الصينيون على سر القزازة، اذ ان احد المراسيم الامبراطورية نص على انزال عقوبة التعذيب حتى الموت بمن يفشي هذا السر. وقد أوفد الامبراطور الروماني جوستينيان رسولين في بعثة تجسس الى الصين. فأحضرا معهما لدى عودتهما الى القسطنطينية بيوض دود القز في قصب أجوف، وهي التي جاء منها نسل دود القز في الغرب.

ولم يتعامل تجار البندقية بالحرير، لكنهم كانوا يستقدمون مربي دود القز والحائكين ليساعدوا في تحسين صناعة الحرير عندهم.

وبحلول القرن الثالث عشر اصبحت ايطاليا مركز صناعة الحرير في الغرب. وخطا الملك الفرنسي لويس الحادي عشر خطوات جبارة لوقف انسياب الاموال من فرنسا الى ايطاليا ثمناً للحرير الغالي، مما ادى الى ازدهار الحرير الفرنسي باصدار مراسيم ملكية تنظم أوضاع النساجين في مدينة تور. وبدأت ليون تزدهر في القرن السادس عشر بفضل فرنسيس الأول الذي وضع قيوداً على استيراد الحرير واجتذب الحرفيين الطليان واعداً اياهم بحرية اكبر في العمل. وحتى اليوم ما زالت شركات معدودة في ليون تحمل اسماء ايطالية.

وبعد الحرب العالمية الاولى تم تحسين الألياف الاصطناعية كالنايلون والرايون (★). وأدى رخص اسعارها الى خفض مبيعات الحرير كثيراً. ولكن برزت في أواخر السبعينات رغبة متجددة في الألياف الطبيعية ذات النوعية الجيدة، مما زاد الطلب على الحرير لاستخدامه في صنع الملابس وأثاث المنازل.

واستخدم الحرير ايضاً في صنع اطارات الدراجات وأسلاك مضارب التنس وصنانير السمك الطائر ومظلات الباراشوت. والحرير على رغم وزنه الخفيف أصلب من اي سلك مماثل من الفولاذ، وقد اصبح الحرير منقذاً في أكف الجراحين الذين يستخدمون جدائله المعقودة في خياطة الجروح.

أمير الخيوط ـ يبلغ الانتاج المشترك في ٣٥ بلداً نحو ٥٢ الف طن من الحرير الخام سنوياً، وهذا الرقم لا يتجاوز ٠،٢ في المئة من الانتاج

(★) حرير يصنع من السيلولوز

العالمي من خيوط المنسوجات على اختلافها. وتعدّ الصين المصدر الرئيسي لخيوط الحرير، وقد وصل انتاجها الى ٣٦ الف طن في العام ١٩٨٢. ولا يملك الصينيون بعد الآلات التي تنتج خيوطاً جاهزة تضاهي بجودتها الخيوط المنتجة في فرنسا وايطاليا، لكنهم يستعدون لدخول ميدان المنافسة.

وفي كيريو في اليابان تم تطبيق أحدث التقنيات المتطورة على الحرير. وتنتج الأنوال التي تعمل بالدماغ الالكتروني حريراً هو نسخة طبق الاصل عن الحرير الياباني القديم. وقد سألت احد مصممي النسيج المبدعين واسمه جونيشي آراي: "ألا تخشى ان يحل الدماغ الالكتروني محلك؟" فأجابني: "الدماغ الالكتروني صديقي. ولولاه لكنت أرسم عشرة تصاميم أو عشرين تصميماً، لكن بمساعدته يمكنني ان أحضر مئتي تصميم في المدة نفسها."

لفتت نظري حديثاً في أحدى واجهات واشنطن حسناء تعرض ثوباً من الحرير الأزرق الملكي. ورحت انصت باهتمام الى حفيف فستانها المتموج وهي تنفتل بغوى أمام المرآة. وللصوت في سمعي ايقاع الرفاه والاناقة والغموض. لكني عرضت في خيالي ما هو أكثر من ذلك: هسهسة ثوب الزفاف المهفهف لكاترين الكبرى، وخفقان الرايات الحريرية السميكة لأفواج الجيش السويسري.

لقد تُوّج هذا الخيط المتواضع اميراً للمنسوجات عبر العصور. ومع ذلك فاننا في عصر التكنولوجيا المتطورة نجد انفسنا مضطرين الى الاعتماد على يرقة بسيطة لانتاج هذا الخيط البراق. وقد تمكن العلماء من عزل جينة بروتيين الحرير التي تحمل الخاصة الوراثية لدودة القز. لكن ذلك لم يتعد ميدان الدراسة والبحث. وحتى اليوم، لا حرير من دون دود القزّ.

■ نينا هايد

عند البطون...

عزمت سيدة تتبع نظام حمية غذائياً أن تمضي اسبوعاً كاملا من غير ان تخرق هذا النظام. وصادف ان دخلت مقهى ذات يوم من ذلك الاسبوع لشرب فنجان قهوة. وبعد قليل اتى رجل وجلس قبالتها وطلب قطعتي حلوى مع فنجان قهوة. وبقيت المرأة على سابق تصميمها، على رغم رائحة الحلوى الزكية.

وما لبث الرجل ان نهض تاركاً قطعة حلوى كاملة. وراحت السيدة تصارع رغبتها الى ان انتصرت الرغبة على الارادة. فمدت يدها الى الحلوى الباقية والتهمتها. وقبل ان تتناول اللقمة الاخيرة عاد الرجل وهو يحمل فنجاناً آخر من القهوة.

د.ك.

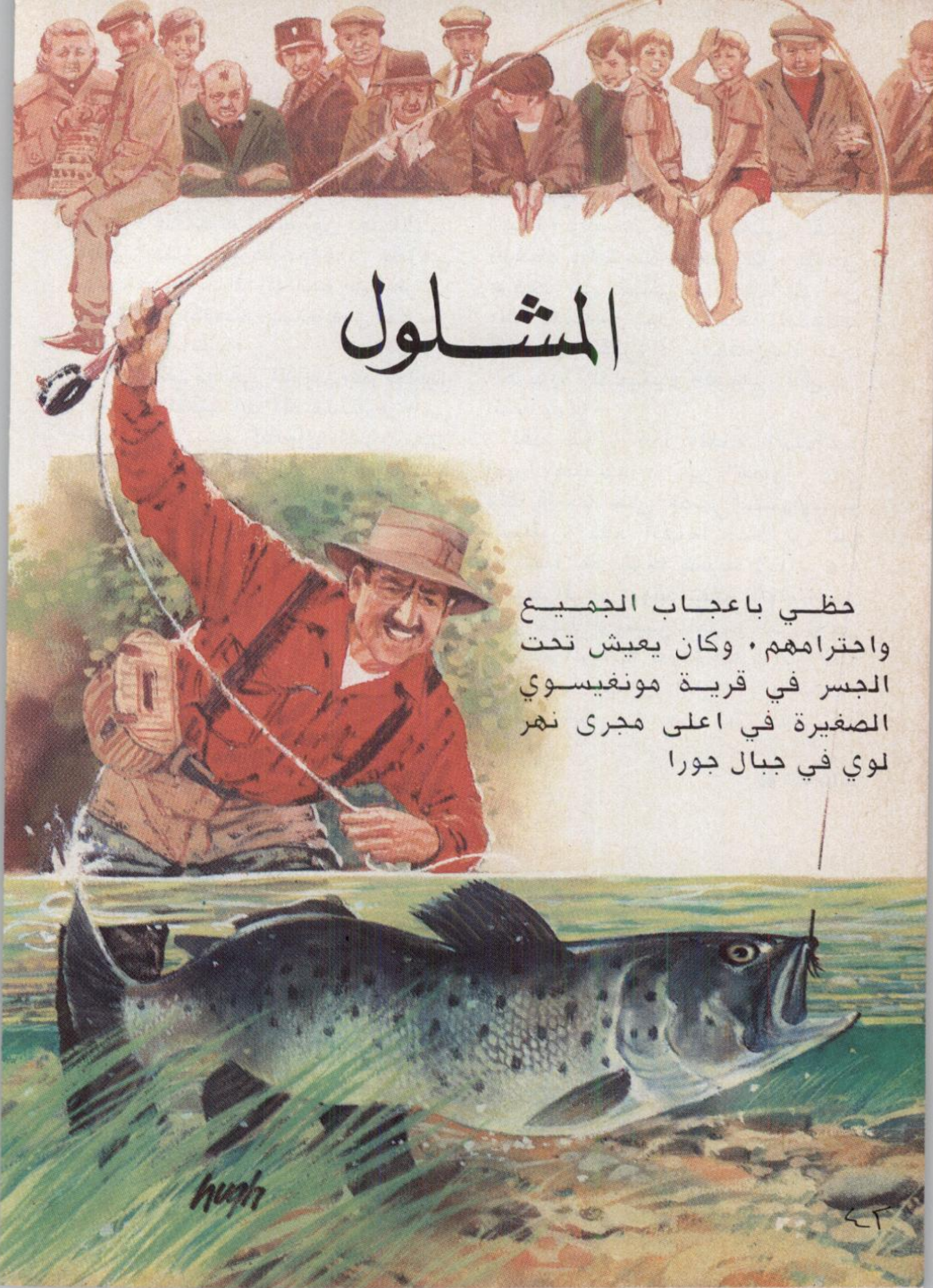

المشلول

حظي باعجاب الجميع واحترامهم. وكان يعيش تحت الجسر في قرية مونغيسوي الصغيرة في اعلى مجرى نهر لوي في جبال جورا

حظي باعجاب الجميع واحترامهم. وكان يعيش تحت الجسر في قرية مونغيسوي الصغيرة في اعلى مجرى نهر لوي في جبال جورا.

ذلك الاربعاء في الخامس من يونيو (حزيران) ١٩٦٨، وعلى بعد آلاف الكيلومترات، شغل اغتيال روبرت كنيدي العالم بأسره. اما سكان قرية مونغيسوي فقد اتعسهم سبب آخر يخصهم. ذلك ان هنري برسون اصطاد ذكر سمكة السلمون المرقط (ترويت) الشهير باسم "المشلول".

قد يكون حادث في طفولته تسبب في تشويه عموده الفقري فأضفى على "المشلول" شهرته. وكل عائلة في القرية كان لها معه لقاء واحد على الاقل. وكثيراً ما عاد الصيادون بكلاب معقوف او بخطاف مفقود، لكن احداً منهم لم يستطع ان يوقعه في الشرك. كان الشيوخ يقولون انه في العشرين من العمر، وهي علامة اكيدة توجب احترامه لصراعه من اجل البقاء في عالم الاسماك. ولم يتغير حجمه خلال السنين العشر الماضية، ونادراً ما كان يغادر مخبأه تحت الجسر.

وهنا رواية هنري برسون لصراعه الملحمي مع السمكة الجبارة.

المشلول الأعور – في ذلك اليوم كنت في رحلة صيد مع توتر الحلاق من فاسول. وفي طريقنا سمعنا على الراديو ان روبرت كنيدي اصيب بطلق ناري. وفيما نحن نتسلم اجازتي الصيد من فندق "دي لورييه" في باريس، سألنا عن المزيد من الانباء حول حادث الاغتيال. فقيل لنا ان اصابته خطرة وأمله في الحياة ضعيف.

ذلك الصباح اصطدت ثلاث سمكات ترويت. اما توتر فلم يوفق بسمكة واحدة، ربما بسبب الشمس اللاذعة والحر الشديد. وكنا تواعدنا على اللقاء وقت الغذاء بالقرب من السيارة. واذ انحنيت لاخرج علب السردين من الثلاجة الصغيرة، لمحت توتر يركض نحوي مهتاجاً وهو يقول متأتئاً: "هناك سمكة ترويت بهذا الكبر (فتح ذراعيه على مداهما) تحت الجسر. انا لم ار في حياتي اكبر منها."

قلت له: هيا يا توتر، خذ بعض الشراب البارد. انت تهذي، وستتغلب على هذيانك."

فصرخ بي: "انا لا اهذي. تعال وانظر بنفسك. انه مسخ عجيب."

مشينا الى الجسر. وعند ملتقى جدول صغير مع نهر لوي استلقت سمكة كبيرة على وجه المياه. كانت ملتوية، سوداء بلون الحبر، تشبه الحرف "Z"، وقد علقت في تيار مائي بطيء. وانضم الينا صياد اخبرنا: "انه المشلول، وهو هنا منذ عشر سنين. كل من في القرية يعرفه، لكن احداً لم يره منذ مدة طويلة. لقد علق بخطافي مراراً، لكنه تمكن من الافلات من دون جهد."

لم اتمكن من الوصول الى "المشلول" من فوق الجسر، وكان علي ان امشي بعكس التيار واقترب منه في قطعة ارض مسطحة داخلة في الماء. ووصلت الى هناك في خمس

Condensed from «Le Sorcier de Vesoul.» © 1980 by Editions Balland. Paris

دقائق. وانثنيت على نفسي كي لا يراني. ولما بت قريباً منه شاهدته اكبر واكثر سواداً من قبل.

بدا لي كأنه تحرك حين رميت صنارتي للمرة الاولى. لكني لم اكن متأكداً لاني رميتها وانا منبطح على وجهي. وصرخ توتر من فوق الجسر: "لقد تحرك!" ورميت صنارتي ثانية وقد اعطيتها خيطاً اطول، وطفا الطعم امام السمكة. وعلمت في ما بعد ان ذلك هو ما كان يتوجب عليّ فعله بالتحديد، لان "المشلول" اعور بعين واحدة صالحة للنظر. ورأيته يتحرك هذه المرة بعدما علق. وشعرت كأنني اسحب سرباً من الاسماك علق في طرف خيط الصنارة المشدود. وبقينا متصلين نحو دقيقتين او ثلاث على هذا النحو. وبدا كأن لا نهاية لما نحن فيه. فجأة اندفع "المشلول" الى سطح الماء. وصرخ توتر بعصبية: "لقد علق، لقد علق، انت...انت اصطدته!"

غواصة سوداء – شرع "المشلول" يسبح الى داخل النهر. حاول ان يهرب بسرعة وتصميم في اتجاه الجسر مثل جرار مندفع.

ارخيت له خيط الصنارة وخفضت قصبة الصيد وتبعته داخل الماء حتى غمر اعلى جزمتي.

وصل "المشلول" الى شجرة طافية على بعد مئة متر. وكان خيط الصنارة استنفد فايقنت ان مطاردتي له ستنتهي. فهناك فوق جذع الشجرة العفنة سيمكن "المشلول" بسهولة ان يشبك خيط الصنارة باغصانها. وتمهلت وانا يائس، ثم سحبت الخيط عله بذلك يختل توازنه ويغير اتجاهه.

كنت كمن يحاول جر دبابة كبيرة بمركب شراعي صغير. ومع ذلك غير المشلول اتجاهه وقطع النهر بسرعة، واصطدم بجذع شجرة خلال اندفاعه مما ساعدني في لف خيط الصنارة واحكام قبضتي على القصبة. وشاهدته بعد ذلك يندفع نحو شجرة ميتة اخرى مغمورة بالمياه لكنها اكبر من الشجرة الاولى. غير انه تجاهل الفرصة الجديدة السانحة للهرب، كأنه لا يحتاج الا الى قوته الوحشية ليتغلب على صياد متواضع مثلي.

ارتد "المشلول" نحوي بسرعة كبيرة مما اتاح لي لف خيط الصنارة وتقصيره. وتوقف على بعد متر ونصف متر من موقعي وسط الماء، حيث جمدت وقد شلني الخوف والتفكير المركز. ولبرهة وجيزة وقفت امامه وجهاً لوجه. لم يعلق في صنارتي ابداً مثل هذه الغواصة!

وبدأ حشد من المشاهدين يتجمعون فوق الجسر. وتناهى الي بعض من احاديثهم: "لن يتمكن منه. انه المشلول. هناك اشخاص تكسرت صناراتهم عشرات المرات..."

سبح "المشلول" من جديد في الطريق نفسها: الجسر، ثم الشجرتان، الشجرة الميتة الاولى ثم الثانية. وأعدت انا طريقتي السابقة: ارخيت له خيط الصنارة وجذبته لجهة واحدة، ثم لففت الخيط من جديد وقد استعدت ثقتي بنفسي.

المعركة الاخيرة – بدأت الجولة

الثالثة. كان المشلول يسبح متراً ونصف متر تحت سطح الماء، مما وتَّر قصبة الصيد وقوسها. وفي نهاية السباق طفا "المشلول" مندفعاً الى سطح الماء ومحدثاً فقاقيع كالشلال. ثم استدار حول نفسه مرتين. كان من المؤكد ان تنتزع مناوراته خيط الصنارة لو لم اخفض قصبة الصيد في ذلك الوقت. وبدأت اشعر ان الحظ يخدمني. وسألني توتر: "ماذا تريدني ان افعل؟"

قلت له: "انزل من فوق الجسر على مهلك." فنزل بسرعة البرق. وناولته شبكة كبيرة وقلت له: "اذهب واجث على ركبتيك في الجهة الاخرى. اغمر الشبكة بالماء واياك ان تتحرك مهما حصل. سأقود السمكة الى داخل الشبكة."

ارخى "المشلول" جسمه وانساق بلطف عبر الماء. كان يقاوم بثقل رأسه فقط. وسحبته الى الشبكة وانا احث توتر على البقاء هادئاً. سحبته عشرة امتار ثم خمسة ثم ثلاثة ثم مترين، وأخيراً بقي متر واحد يفصله عن الشبكة.

وانهار توتر. حاول ان يدخله الشرك من ذيله اولا، لكن "المشلول" هرب ملتفاً كالدوامة في وحل كثيف. ولم اتمكن من رؤيته. وبدا كأنه استدار للمرة الثانية. ومن جديد ارخيت له الخيط. كان "المشلول" في جولته الاخيرة اليائسة لحفظ سمعته، والمشاهدون فوق الجسر يتمنون لبطلهم النجاة.

كانوا مخطئين. حتى "المشلول" نفسه لم يأمل بالنجاة. لقد اوثقه خيط الصنارة باحكام واعاق تقدمه، هذا الخيط الرفيع المتين الذي غالباً ما يستهان به. وعاد "المشلول" ودخل الشبكة. وحذرت توتر مما سيصيبه اذا هو خالف اوامري هذه المرة. وقلت له: "توتر، لا تتحرك. انه في طريقه اليك. لا تنسَ ان تأخذ رأسه اولا. عظيم! لقد امسكته."

لقد خسر "المشلول" معركته الاخيرة.

كنت منهوك القوى، فحمل توتر السمكة الى الضفة وبدأ العرض. جميع المشاهين فوق الجسر تجمهروا في وقفة اجلال واعجاب اخيرة لسمكة الترويت الملتوية. لقد حلم العديد منهم باصطيادها لسنوات.

بلغ طول "المشلول" ٧٥ سنتيمتراً ووزنه اربعة كيلوغرامات. ولو لم يمنع التشوه ذيله من النمو لفاق وزنه ٤،٥ كيلوغرامات. وكان فمه واسعاً جداً حتى ليمكنك اسقاط علبة فاصولياء تزن كيلوغراماً داخله. وحين مررت بفندق "دي لورييه" سألت عن روبرت كنيدي. قال لي صاحب الفندق: "انه يحتضر. سمعت انك اصطدت المشلول."

ـ أجل.

"هل تسمح بان تريه لوالد زوجتي؟ انه يحلم باصطياده منذ عشر سنين. وكلما علق بصنارته تمكن من الافلات."

تأمل العجوز "المشلول" بصمت محدقاً اليه بعيني العاشق المخدوع، وتمتم وهو يشد اذنه بعصبية: "قرية مونغيسوي حزينة اليوم."

■ **فنسنت لالو**

في لحظات النجاح تقضي الحكمة بأن نتذكر الحقائق الصغيرة

إحذر الريح يا بنيّ!

حين قال لي حطاب عجوز من كنيسنا (جنوب افريقيا) انه لم يسبق له ان تعلم شيئاً لم يكن يعرفه قبلا بدا قوله منافياً للواقع، خصوصاً بالنسبة الى طبيب ناشىء مثلي. ففي اعتقادي ان الحكمة بنت ساعتها لا شك مستحسنة، ولكن كيف يمكن المرء ان يكون على معرفة بشيء لم يتعلمه بعد؟

عندما كان العجوز يشرح لي طريقة اسقاط الشجرة اوضح انه اذا لم نعرف سلفاً اين ستسقط فلا حاجة الى مباشرة قطعها، واضاف: "تسقط

Copyright (c) 1982 by Christian Barnard. Condensed from The Cape Times (June 14, 1982), Cape Town, South Africa. Illustration by Shella Nowers

الشجرة دائماً في اتجاه النقطة الاضعف في جذعها، لذا ينبغي ضرب الجانب الذي تريد اسقاطها في اتجاهه." وكنت متخوفاً: فاي هفوة ستؤدي بنا الى هدم ذلك الكوخ الخشبي الكائن الى جانب الشجرة أو ذلك المرأب على الجانب الآخر منها.

وبحذر شديد رسمت خطاً وسطاً بين البناءين. كان ذلك قبل ظهور المناشير الآلية حين كان العمل الشاق والمهارة اليدوية يشكلان العنصرين الاساسيين في قطع الاشجار. ثم بصق الحطاب على كفيه وتناول فأساً بدأ يلوح بها ضارباً جذع الشجرة الضخم الذي يزيد قطره على متر. وعلى رغم تجاوزه الستين فقد كانت ضرباته قوية جداً.

وبعد مضي ساعة سقطت الشجرة على الخط المرسوم بالضبط ولم تلامس اغصانها أياً من البناءين. وأبدى الحطاب دهشة حين هنأته على دقة عمله، لكنه لم يقل شيئاً.

وقبيل حلول الظلام كان الحطاب حوّل الشجرة كومة موضبة من الحطب والعيدان. فقلت له اني لن انسى ابداً نصيحته في قطع الاشجار واسقاطها.

رفع الحطاب فأسه على كتفه وقبل الانصراف خاطبني قائلا: "لقد حالفنا الحظ هذه المرة وكان الهواء هادئاً. كن دائماً على حذر لدى هبوب الريح".

ولم تمر الا سنوات قليلة على هذا الحادث حتى أدركت الحكمة المقصودة بكلامه وذلك حين تلقيت تقريراً حول وفاة مريض كنت اجريت له جراحة زرع قلب. كانت الجراحة ناجحة على نحو مدهش وسارت الامور على أكمل وجه وبدأ المريض يتماثل للشفاء. لكن كل شيء انهار فجأة وتوفي المريض.

اظهر تشريح الجثة التهاباً ناتجاً من جرح طفيف في قدم المريض تسبب في تعطيل الرئتين.

فلاح وجه الحطاب في مخيلتي وتردد صوته في أذني: "كن دائماً على حذر لدى هبوب الريح." وعرفت ان الحكمة تقضي بأن نفهم الامور البسيطة والحقائق الاولية. فان وفاة المريض اشارة مريرة الى ان الخطأ مهما يكن ضئيلا يمكن ان ينقض جميع الحسابات. فالجرح مهما يكن طفيفاً بالنسبة الى شخص سليم الجسم، يمكن ان يجهز على مريض.

لقد مضى عهد طويل على سماعي حكمة الحطاب العجوز. والارجح انه غاب هو وفأسه في غياهب الزمن، الا انه خلف لي نادرة استعيدها في لحظات النجاح حين يشعر الجميع بالرضا، فأنظر في المرآة بامعان واقول: "لقد حالفنا الحظ هذه المرة... لم تكن ثمة ريح!"

■ **كريستيان برنار**

(طبيب اجرى عام ١٩٦٧ اول جراحة زرع قلب في كيب تاون (جنوب افريقيا) حيث يمارس مهنته)

اذا سألك أحدهم "كيف حالك؟" ثم أصغى الى الجواب، فاعرف انك في مدينة صغيرة.

ب.ش.

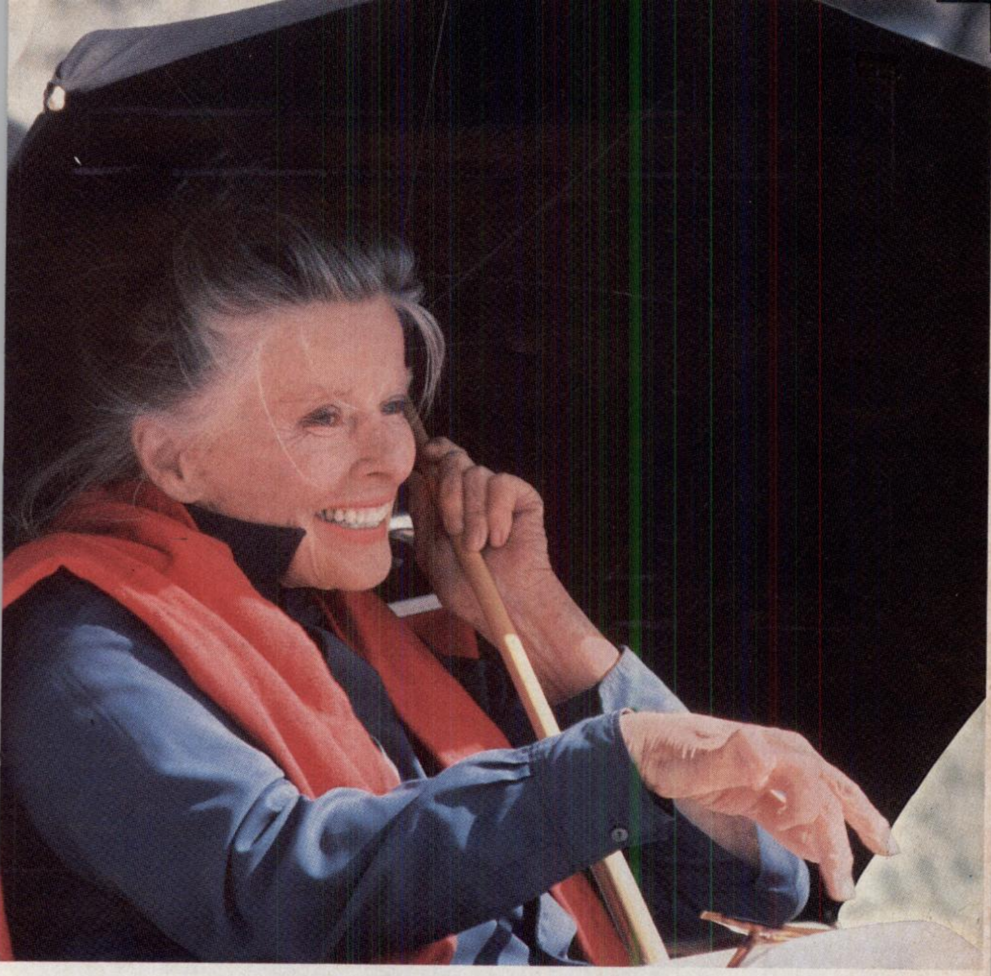

كاترين هيبورن

هكذا أصبحت نجمة كبيرة

هذه الممثلة البسيطة الرائعة نالت أربع جوائز "أوسكار"

كاثرين هيبورن أول نجمة سينمائية عرفتها في حياتي. وهي لا تزال أفضل الممثلات في نظري على رغم بلوغها الخامسة والسبعين. ولا عجب في اعتبارها الممثلة الافضل في الولايات المتحدة لما حققته في حياتها العملية من شهرة تمثيلية لأدائها مسرحيات شكسبير المأسوية والمسرحيات الموسيقية الهزلية على الخشبة وفي السينما. وهي الممثلة الوحيدة التي نالت أربع جوائز "أوسكار" في التمثيل. وما لا يقبل النقاش أن الآنسة هيبورن لم تتقن دوراً كدورها في الحياة.

ويؤكد أي شخص عرفها حق المعرفة أن حياتها كلها تمثيلية جيدة. واليوم في عصر الاحصاء والاسواق الاستهلاكية تبقى نجمة ساطعة في سماء الماضي القريب لها تألقها تحت الشمس.

عندما اتصلت بها من أجل كتابة هذا المقال قالت باستغراب: "أوه، أنت. لا يمكنني التحدث اليك الآن. أنا ألعب البرجيس وأربح. تعالي بعد الظهر وقت تناول الشاي. ولكن اذا كنت ترغبين في إضفاء هالة حولي، فانك ستجدين صعوبة لاني لست كذلك. مع السلامة."

كانت الآنسة هيبورن على حق. نعم، هي ليست جليلة وهذا ما يزيد جاذبيتها. وقد حصل في برودواي أنها أوقفت العرض ثلاث مرات - في مسرحيات "كوكو" و"مسألة جاذبية" و"فالز غربي" - واعادت تمثيل المسرحية من البداية. وكان السبب كل مرة أن أحد المشاهدين أومض نوراً وهو يلتقط صورة خلال التمثيل. وبعدما أوقفت العرض شرحت للمشاهدين أنها تعتقد أنهم حضروا لمشاهدة المسرحية وليس من أجل التقاط صور فوتوغرافية. ثم امرت بأغلاق الستارة لتعيد فتحها وتبدأ العرض من أوله.

حصل لها حادث سيارة بالغ الخطورة كاد أن يسحقها ويودي بحياتها. وعلى اثره تسلمت رسالة من كاهن يسألها هل تعرف لماذا انزل الله بها قصاصه. كتبت اليه تقول إنها تفسر الحادثة على أنها من عمل الشيطان.

أقوال مغلوطة - جاهدت الآنسة هيبورن طوال حياتها من أجل ممارسة حريتها الشخصية ومنع تدخل الآخرين في شؤونها الخاصة، ولقبت في هوليوود "كاثرين المتكبرة" مما حفزها على الرد في صحيفة اسبوعية بمقال زاجر حاولت فيه الدفاع عن نفسها. وعندما ألف صديقها الحميم غارسون كانين كتاباً عنها بعنوان "رسالة حب الى صديقة" يصف فيه قصة حبها مع الممثل سبنسر ترايسي التي دامت ٢٧ عاماً وجدت في عمله خيانة لصداقتهما. فهي اعتبرت أن حياتها الخاصة ليست للبيع.

الآنسة هيبورن من الممثلات القليلات في العالم اللواتي ليس لديهن وكيل صحافي. وهي تمتنع عن حضور اجتماعات توجب عليها القاء كلمة، كما انها لا تحضر مناسبة عامة ولا تحب ارتياد المطاعم. أنها تجيب

© 1983 by Cleveland Amory. Condensed from Parade (November 27. '83). New York. N.Y.
Photo : © 1983 Len Tavares

عن رسائلها وترد على مخابراتها الهاتفية وتعقد جميع اتفاقاتها المهنية بنفسها.

قالت لي مرة: "أنا سعيدة الحظ. والداي مدهشان، كذلك جميع أفراد عائلتي، ولدي أصدقاء أوفياء، وقد سنحت لي فرص كثيرة في حياتي العملية. أنا خلقت في الزمن المناسب وأتمتع بشكل حسن وصوت شجي."

أقوالها مغلوطة ومتضاربة. فهي طردت من العمل عشرات المرات كما اختلف النقاد في تصنيفها في بداية حياتها العملية. اعتقد بعضهم أنها تبشر بمستقبل باهر بينما اعتبرها الآخرون ممثلة فاشلة. تقول كاتبة أمريكية: "الآنسة هيبورن تشبه هيكلا عظمياً، وصوتها غليظ يثير الأعصاب." حتى صديقتها تالولا بانكهيد التي لها صوت يشبه صوت مدرب في يوم عاصف قالت كلاماً لاذعاً عنها: "تملك كاثرين هيبورن صوتاً يشبه رنين العملة النحاسية وهي تكر من شق آلة صرافة. أما بعد اصغائك اليه لفترة فان الاصوات الاخرى ستبعث فيك النعاس."

رجل أناني – في اليوم المحدد للقائي اياها استفاقت الآنسة هيبورن كعادتها في الخامسة صباحاً. استحمت بالماء البارد وطهت فطور الصباح بنفسها وأتمت تصوير مشهد صعب على شاطىء مدينة نيويورك: كان عليها أن تمشي داخل المياه وتغرق نفسها. وحين سألتها لماذا لم تسمح لي بمشاهدة التصوير أجابت بعصبية: "لو سمحت للجمهور بمشاهدتي وأنا أغرق، لغرق الشاطىء. وقد تعين علي اعادة تصوير المشهد غير مرة لأني لم أتقن عملية الغرق. كانت أطرافي وجزءاً من قفاي تطفو على وجه الماء مما اضطرهم الى وضع اثقال لتساعدني في الغرق."

كان الهاتف يرن من وقت الى آخر خلال المقابلة، فترفع الآنسة هيبورن السماعة وتقول: "الآنسة خرجت..."

وحين سألتها كيف ستتخلص من المأزق اذا تعرف أحدهم الى صوتها قالت: "سأجيب بأني شقيقتي. فصوتي يشبه صوتها كثيراً."

سألتها بخبث هل صحيح أنها صرحت مرة أن التمثيل ليس عملا شاقاً وأن شيرلي تامبل مثلت وهي في الرابعة من عمرها.

أجابت مبتسمة: "لا. أنا قلت ان شيرلي تامبل استطاعت التمثيل منذ ولادتها." ثم أضافت: "في الماضي كنت ممثلة جميلة جيدة الاداء. كان في وسعي ان اضحك أو ابكي أو أؤدي أي حركة تمثيلية على المسرح من دون عناء، لكنهم مع ذلك طردوني. اليوم بعدما أصبحت نجمة كبيرة لا أعرف كيف أتصرف كنجمة. علي أن ألم بجميع الامور وأن اتمتع ببرودة أعصاب."

وتابعت: "بعد دور كوكو شعرت أن المشاهدين أولوني صداقتهم، وكنت قبل ذلك أعتبرهم أعداء لي يترصدون هفواتي وزلاتي.

"ويعود تعلق الناس بي الآن الى أني أصبحت شديدة الاهتمام بهم. وتعتقد نساء كثيرات أن الحياة التي

عشتها هي حياة الحرية المطلقة وأني فعلت ما حلا لي. لكنهن على خطأ لانهن لا يفهمن مثلا أنهن أمهات لخمسة أطفال بينما حرمت أنا الامومة ولم أعش حياتي كامرأة كاملة بل كرجل أناني. كنت أشبه بحيوان، وأنا أدفع الآن الثمن من دون أن أشعر.

"يحسن بنا جميعاً، نساء ورجالا، ونحن على درب الحياة أن نفرق بين الخطأ والصواب. وأنا عرفت أخطائي جميعها."

ألم تشعر بوحدة في بعض الاحيان؟ أجابت: "وكيف أشعر بالوحدة؟ أنا أنام في الثامنة والنصف مساء وأستسلم فوراً لنوم عميق." قلت لها انها لم تجب عن سؤالي، لكنها اردفت بصوت مخنوق: "لا يمكنني أن أتخيل نفسي أشارك شخصاً في حياتي، خصوصاً رجلا."

وحين ذكرتها بزوجها لودلو أوغدن قالت: "نعم، جربت الحياة الزوجية وأخفقت. أنا احب العمل كثيراً ولم أخدع نفسي أبداً بالتوهم أن في استطاعتي الجمع بين الاثنين."

"لو كنت فرساً" ـ أعرف جيداً شعور الآنسة هيبورن عند ذكر الرجال الذين مروا في حياتها، ومع ذلك ذكرت لها أني لعبت معها الغولف وكرة المضرب غير مرة وكان في رفقتها الملياردير الاسطوري الراحل هوارد هيوز، لكنها أصرت على الانكار.

ذكرت لها الامسيات التي أمضيتها معها ومع سبنسر ترايسي في هوليوود وأني اعتقد أنه ممثل مقنع وكثير المرح ولا أجد من يروي الطرائف أفضل منه. فسرحت بعيداً في نظرها وبقيت صامتة لفترة بدت طويلة، ثم نظرت الي وقالت: "نعم، كان كذلك."

علقت الآنسة هيبورن في مدخل منزلها رسماً هزلياً لثلاثة أحصنة، وقد وقف اثنان منهما في حديقة يتحدثان عن فرس شابة تقف شامخة الرأس. وقد كتب في أسفل الرسم: "تبدو متكبرة ومتعجرفة طوال النهار. لقد أخبرها أحدهم أنها تشبه كاثرين هيبورن."

نظرنا كلانا الى الرسم برهة قصيرة ثم قالت الآنسة هيبورن: "أحب أن أنظر اليها قبل الشروع في أي عمل جديد. ورمقتني بابتسامتها القاهرة الجريئة وأضافت: سأطلعك على سر... لو كنت خلقت فرساً لكنت فرساً مجلية."

■ كليفلاند آموري

دقائق ثمينة

طُلب من مروّض أسود ان يخفض وقت العرض من خمس دقائق الى ثلاث. لكنه كان يحتاج الى ذلك الوقت كله للسيطرة على الاسد، فقال للمدير: "اني أفهم ما طلب مني. ولكن كيف لي أن أشرحه للاسد؟"

١٠٥٠

احتضنت الطفلة الذئب وخبأت وجهها الصغير في فروه الخشن وقالت: "هل سيشفى يا أمي؟"

الطفلة وذئبُ الغابة

لم أكد أفرغ من غسل صحون الغداء حتى فتح باب المطبخ وأسرعت ابنتي بيكي ذات السنوات الثلاث الى الداخل. وصرخت: "ماما! تعالي وانظري الى كلبي الجديد. لقد أعطيتُه الماء مرّتين. ويبدو عطشان كثيراً."

وتنهدتُ وقلتُ لنفسي ان تلك رواية أخرى من روايات بيكي الوهمية حول الكلاب. فبعد نفوق كلبنا القديم غدا منزلنا القائم في مزرعة وسط ولاية أريزونا مكاناً منعزلا بالنسبة الى طفلتنا. وقرّرنا أن نشتري لها جرواً. ولكن قبل أن نفعل نسجت مخيلتها قصصاً عن جراء كثيرة.

© 1982 by Penny Porter. Condensed from Arizona Republic (July 11, '82), Phoenix, Ariz. Illustration: Ron Schwarts

وألحت بيكي: "أرجوك أن تأتي يا أمي." واتسعت عيناها وهي تقول: "إنه يبكي ولا يمكنه أن يمشي."

وبدا من ذلك الوصف أن الكلب الذي تتكلم عنه حقيقي. ذلك أن "كلابها" السابقة كانت كلها صحيحة وقوية وفاتنة. فكيف يعقل أن ينسج خيالها صورة كلب عليل؟

وقلتُ لها: "حسناً يا حبيبتي." وما أن سمعت ذلك حتى ركضت خارجاً وسط النبات الشائك.

وصرخت: "إنه هنا، عند جذع السنديانة. أسرعي يا أمي."

وأبعدتُ الشوك عن جسمي ورفعتُ يدي لأقي عينيّ من الشمس الصحراوية. وفجأة انتابتني قشعريرة إذ وجدتُ في حضن بيكي رأس ذئب وقد ارتفعت وراءه كتفاه السوداوان الكبيرتان. أما بقية جسمه فكانت محتجبة في جذعِ سنديانة هاوية.

وقلتُ وقد جفّ حلقي: "بيكي! لا تتحركي." واقتربتُ منها، فاذا بعيني الذئب الصفراوين الشاحبتين تضيقان وشفتيه السوداوين تصرّان وتبرز منهما طبقتا أنياب طويلة. وللحال ارتجف وأطلق صيحة تثير الشفقة.

وراحت بيكي تدندن على سمعه: "لا بأس أيها الصغير، لا تخَف! هذه أمي، وهي تحبك أيضاً." وبينما هي تربت رأسه الكبير الاشعث سمعتُ صوت ذيله المتحرّك داخل الجذع.

لوبو مكسيكي – ما الذي كان يعانيه ذلك الحيوان؟ لماذا لم يتمكن من الوقوف؟ أيكون مصاباً بداء الكَلَب؟

أما قالت بيكي إنه ظمآن، والظمأ من علامات الكَلَب؟

كان عليّ إبعاد بيكي عنه. وقلت لها بوضوح وإلحاح: "ارفعي رأسه عن حضنك يا حبيبتي وتعالي اليّ لنستدعي من ينجده."

ونهضت بيكي وقبلت الذئب في خطمه ثم قفزت بين ذراعيّ. وأراح الذئب رأسه على الارض.

وحملتُ بيكي وأسرعتُ نحو سيارتي وذهبتُ توّاً الى المزارع جيك الذي رأيته يسرج حصانه. وقلتُ له: "أرجوك أن تأتي سريعاً يا جيك. لقد وجدت بيكي ذئباً في جذع سنديانة وراء منزلنا. وأظن أنه مصاب بالكَلَب."

ولما عدنا الى المنزل وضعت ابنتي الباكية في سريرها كي تنام. لكنها قالت: "أريد أن اعطي كلبي بعض الماء." وقبلتُها وناولتُها بعض الدمى المحشوة كي تتسلى بها، وقلت: "دعي الماما وجيك يعتنيان به الآن."

وبعد دقائق ذهبتُ الى جذع الشجرة حيث وجدتُ جيك يحدّق الى الحيوان. وقال: "انه لبّس (لوبو) مكسيكي، وهو كبير أيضاً." واضاف: "لا شكّ في أنه يعاني مرضاً مؤذياً، لكنه ليس الكلَب... هل تريدين أن أضع حدّاً لعذابه؟"

وكانت عبارة "نعم" على شفتي، لكني لم أنطق بها. وظهرت بيكي أمامنا وقالت: "هل سيشفيه جيك يا أمي؟" ووضعت رأس اللبّس في حضنها مرة أخرى وخبأت وجهها الصغير في فروه الخشن القاتم.

وفي ذلك العصر جاء زوجي بيل مع طبيب بيطري لمعاينة الذئب. ولما أدرك ثقة الحيوان بطفلتنا قال الطبيب: "آه لو يُسمَح لي وللطفلة بالاعتناء به وحدنا." وحقنه بمخدّر تحت الجلد، فأسلم عينيه للنوم. وعندئذ قال الطبيب لزوجي: "لقد غفا الآن، وأرجوك أن تساعدني يا بيل كي نرفعه." وتعاون الاثنان على سحب الذئب من جذع الشجرة. وقدّرنا طوله بمئة وسبعين سنتيمتراً ووزنه بخمسين كيلوغراماً. وظهر أثر الرصاص على إحدى قوائمه وعلى أوراكه. وقشر الطبيب اللحم العفن وأخرج العظم المتكسر. ثم نظف الجرح وأعطى الذئب جرعة من البنسلين. وعاد في اليوم التالي ووضع قضيباً معدنياً مكان العظم المكسور. وقال: "يبدو أنكما حصلتما على لبس مكسيكي. وهذه الحيوانات لا تؤاخي الانسان بسهولة. ومن العجيب أنه تعلق بطفلتكما."

طعام للعائلة — أطلقت بيكي على الذئب اسم "رالف". وكانت تحمل الطعام والماء يومياً الى جذع الشجرة. وظل الذئب يجرّ جسمه الضامر ثلاثة أشهر، وقد بدا من عينيه أنه يعاني ألماً شديداً. لكنه لم يحاول مرة واحدة أن يعضّ أيدي الذين يعتنون به.

وبعد اكتمال أربعة أشهُر على وجوده بات في استطاعة رالف أن يقف من غير مساعدة. وكنتُ وزوجي نسمعه الكلام العذب، لكنه لم يكترث حقّاً إلا لطفلتنا التي كانت توافيه بالابتسام والقبل والمداعبة. وكان ردّ فعله لذلك العطف هزّ ذيله الطويل الاشعث.

ومع استعادة قوّته بات رالف يتبع بيكي في أنحاء المزرعة ويرافقها في نزهاتها الى الطبيعة الجميلة، ومع حلول الظلام يؤوب الى مأواه في جذع السنديانة.

وفي جميع جولاته حول المزرعة لم يطارد رالف رؤوس الماشية قطّ. لكنّ لعابه السائل لمرأى الدجاج جعل بيل يقيم سياجاً حول زريبة الطيور. وبعد مجيئه اختفت الكلاب البرية وذئاب القيوط المفترسة من جوارنا.

وكان يوم بيكي الأوّل في المدرسة نقطة حزن في حياة رالف. ولما أقلعت الحافلة رفض العودة الى باحة المنزل، وبقي منتظراً على قارعة الطريق. وحين عادت بيكي أخذ يقفز حولها بحبور.

ومع أنه بدا مسروراً في مزرعتنا فانه كان يختفي في جبال سانتا كتالينا بضعة اسابيع خلال موسم التناسُل في الربيع.

وسنة بعد سنة كنا نتساءَل عن شريكته والجراء التي تتولد منهما. وعرفنا أن عادة الذئاب العودة الى شريكاتها لمساعدتها في تربية الجراء. وفي شهر يونيو (حزيران) من كل عام كان جسم رالف يضمر مما أكد لنا أنه يحمل طعامه الى صغاره. وذلك حدا بيكي على إعطائه المزيد من الطعام خلال ذلك الوقت.

غريزة الموت — في السنوات الاثنتي عشرة التي أمضاها رالف في مزرعتنا

ترسخت عاداته ولم يضعف حبه أبداً لطفلتنا. ثم كان فصل ربيع عاد خلاله الى البيت وهو يحمل جرحاً جديداً من رصاصة. وفي اليوم التالي قال لنا جيراننا المزارعون انهم وجدوا ذئبة على أرضهم. وقد أطلق عليها الرصاص هي أيضاً، لكن رالف ظل يركض حتى وصل الى مزرعتنا.

وكانت بيكي في الخامسة عشرة آنذاك. وجلست وأراحت رأس رالف على حضنها. وفيما بيل ينزع الرصاصة عادت ذاكرتي الى السنين الخوالي. ومن جديد رأيتُ طفلة في الثالثة تربت رأس ذئب أسود كبير.

وعلى رغم ضآلة الجرح فان رالف بقي على حاله. وكان آنذاك في مثل سنّ بيكي، لكنها الشيخوخة بالنسبة إليه. ونقص وزنه يوماً بعد يوم، وقلّ خروجه الى المزرعة في أثر بيكي. وكان يقبع بلا حراك طوال اليوم. لكنه، مع حلول الظلام، كان يتغلب على ألمه ويختفي وراء التلال. وكنا كل صباح لا نقع على أثر لطعامه.

وجاء يوم وجدناه هامداً أمام جذع السنديانة وقد أطبقت عيناه الصفراوان. وأحسستُ غصة في حلقي وأنا أرى بيكي تربت عنقه والدمع يسيل على خدّيها. وقالت: "سوف يترك لديّ فراغاً كبيراً."

وما أن سدلتُ عليه غطاء حتى سمعنا صوتاً غريباً من داخل الجذع. ونظرت بيكي لترى عينين صفراوين صغيرتين لجرو حديث العهد. إنه الجرو الذي فقد أمه وأخذه رالف على عهدته.

ولكن أيعقل أن تكون غريزة الموت هي التي دفعت رالف الى وضع جروه في مكان أمين، مع أولئك الذين منحوه الحب والعناية طويلا؟

وانسكب الدمع الساخن على جسم الجرو عندما أخذت بيكي تلك الكتلة الصغيرة المرتعشة بين ذراعيها.

وقالت له: "حسناً يا رالفي الصغير. لا تخف. هذه أمي. وهي أيضاً تحبكَ."

أتراني سمعتُ صدى بعيداً آنذاك: هزّة ذيل في جذع السنديانة الخاوي؟

■ بيني بورتر

خطأ فني

خلال عملية اطلاق مركبة "جميني - ٢"، وهي مركبة فضائية امريكية غير مأهولة تم اختبارها في الستينات، أُعطي أحد المذيعين نصاً جاهزاً لما ينبغي قراءته. ولدى انتهاء العدّ العكسي باشر المذيع القراءة: "لقد انطلقت المركبة العملاقة، وها هي ترتفع في سماء فلوريدا الجميلة الزرقاء. انها الآن فوق المحيط الاطلسي وقد خلفت وراءها دوياً عظيماً."

وحانت منه التفاتة، فلم يسمع دوياً، بل وجد المركبة جاثمة مكانها. فتابع على الفور: "لقد حصل خطأ، اذ امتدت أربع أذرع ضخمة الى المركبة واعادتها الى منصتها."

ن.ك.

يعكف العلماء على تجاربهم لمحاربة الزكام،
لكن هذا المرض المزعج الشائع لا يزال يزدري
بالعقاقير ويستمر داء متفشياً لا يقهر

الزكام محاربٌ لا يقهر؟

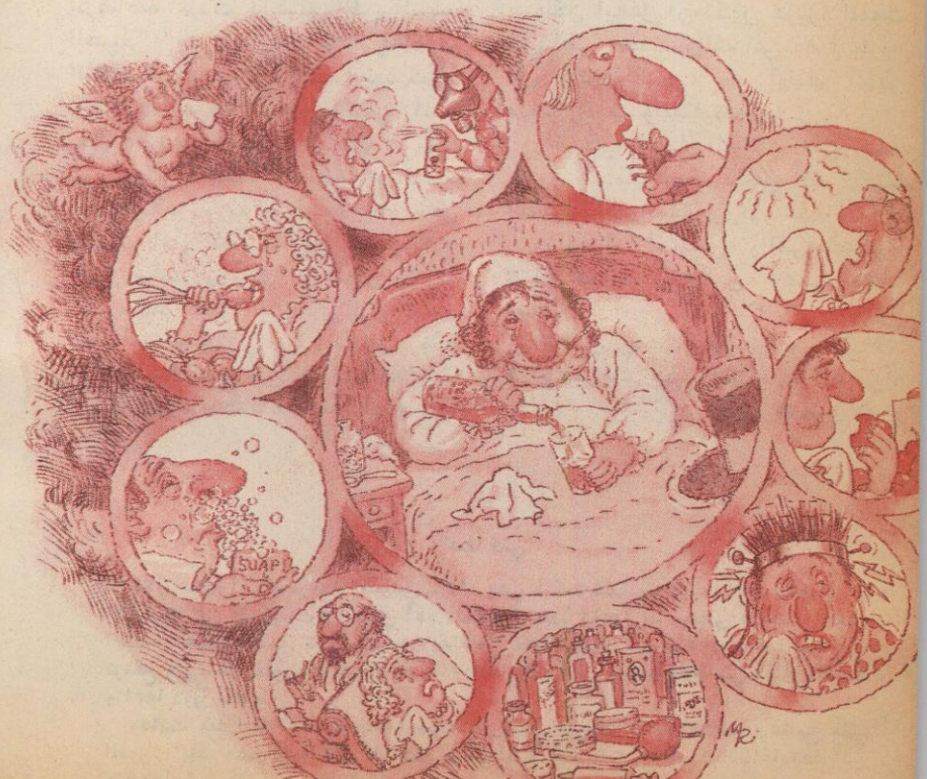

© 1983 by Richard L. Williams. Condensed from Smithsonian (December '83), Washington, D.C. Illustration: Michael Ramus

ملايين الناس يصابون بالزكام سنوياً وينفقون مليارات الدولارات على شراء أدوية السعال وسواها من العقاقير التي تخفف أعراض الزكام. وقد لا يكون الزكام خطراً، لكنه باهظ الكلفة من حيث ضياع أيام العمل والدراسة والازعاج الذي يسببه للمصابين.

منذ فجر التاريخ والزكام رفيقنا. في الازمنة السحيقة كان القدماء يحسبون السيلان الانفي من فضلات الدماغ. وكانت العلاجات المعتمدة في مكافحته بعيدة عن الواقع بُعد هذا الاعتقاد. ولاحظ أبقراط، أبو الطب، أن نزف الدم من الانف كان معالجة متبعة غالباً، أما بليني الأكبر فوصف لشفاء الزكام "تقبيل خطم فأرة حيث ينمو الشعر."

وبعض الوصفات التي نسمع بها هذه الايام تكاد لا تكون أقرب الى العلم من تلك الوصفة: تناول فص ثوم أو بصلة، جرّب الصدمة الكهربائية، اشرب عصير الليمون ساخنا، تنشق قليلا من الغاز المسيل للدموع... احدى الوصفات المبدعة تحدرت الينا من الدكتور وليم أوسلر من جامعة جونز هوبكنز في بالتيمور، ولاية ماريلاند: "اذهب الى فراشك وعلق قبعتك على المشجب أمامك وامضِ في تجرع الويسكي الساخنة حتى تتراءى لك قبعتك كأنها اثنتان. وفي الصباح التالي ستشعر بالتحسن."

لم نبدأ حقاً ادراك ما يحدث في الجسم عندما نصاب بالزكام الا قبل زمن قريب. نحن نعرف الآن أن الزكام هو في العادة عدوى فيروسية (جرثومية) تصيب الأنسجة المبطنة للجزء الاعلى من الجهاز التنفسي. تتسلل فيروسات (جراثيم) معينة الى هذه الانسجة وتقتل الخلايا الحساسة في الغشاء المخاطي في الانف والحنجرة. كتب وندي مورفي ومحررو كتب "تايم - لايف" في مؤلفهم "كيف تتصدى للزكام"(١): "يشعر المصاب أنه على ما يرام في أثناء تعرضه للعدوى، ولا يكتشف أنه أصيب بالزكام الا حين يهب جسمه للتصدي للعدوان فيحس بالانزعاج، وذلك أساساً لأن جسمه بدأ يكافح محاولا اعادة صاحبه الى ما يرام."

العطس والسعال - اليك كيف يهاجم الزكام ضحاياه: تنتج الأغشية في أنوفنا وحناجرنا عادة غطاء مخاطياً يلتقط الغبار الذي نتنشقه ولقاح النباتات والجراثيم والفيروسات. وثمة ملايين من الشعيرات الدقيقة المتحركة التي تدفع السائل المخاطي صعوداً عبر الأنف داخل المريء. ولدى وصوله الى هناك يبتلع المرء هذا السائل اللزج ويتولى الجهاز الهضمي القضاء على ما يحمله من الملوثات وجراثيم العدوى.

حين تصاب بالزكام فذلك يعني تسلل فيروسات عبر هذا الستار الواقي ومهاجمة الخلايا الحية تحته. والفيروس الذي يبلغ قطره ٣٠

(١) «Coping With The Common Cold», ©1981 Time-Life Books Inc.

نانومتراً (أي ٣٠ جزءاً من مليار من المتر) هو كتلة متناهية في الصغر من المواد الجينية (الوراثية) البسيطة التركيب. ويستطيع غلافه البروتييني الالتصاق بخلية يماثل سطحها ذلك الفيروس كيميائيا. في حال الزكام تكون هذه الخلية من النسيج المخاطي. ينفث الفيروس مادته الجينية داخل الخلية فيرغمها على انتاج المزيد من الفيروسات المماثلة. وقد يتدفق نحو ألف فيروس جديد من خلية واحدة، وتنطلق هذه الفيروسات حالا لمهاجمة الخلايا المحيطة بها.

لكن للجسم البشري استجابات دفاعية قوية. فقبل ان تموت الخلايا الموبوءة تطلق بروتييناً يدعى "انترفيرون". وهذا، بطريقة ما، ينذر الخلايا المجاورة بخطر العدوان ويحثها على انتاج مواد كيميائية مضادة للفيروسات.

اذا استمرت العدوى في الانتشار، فان الجسم يلجأ الى وسائط دفاعية أخرى غير محدّدة، فتطلق خلايا الأغشية مواد مسببة للالتهاب تجعل المجاري الدموية الشعيرية تتمدد. معظم المعاناة التي نشعر بها لدى اصابتنا بالزكام تنجم عن هذا. يجري دم أغزر في الأوعية المتمدّدة فتحمر المنطقة المصابة وتسخن. ثم تتسرب بلازما الدم والكيميائيات الدفاعية الاخرى عبر جدران الأوعية المتضخمة. والسائل الفائض يجعل الانسجة المخاطية تتورم فتضيق المجاري الأنفية وينجم "الاحتقان".

عندئذ تنشط الخلايا المنتجة للمخاط في الانسجة المتورمة. ويتعذر دفع السائل المخاطي عبر المجاري المتضيقة في الأنف ويبدأ السيلان خارجاً. عندئذ نقول اننا نعاني سيلاناً في الأنف. وتستشعر أطراف الاعصاب في الانف التورم وانهيار الخلايا، فيستجيب الدماغ ويحفز العضلات المعينة على العطس. كذلك تشعر الاعصاب الأخرى أن مقداراً كبيراً من السائل المخاطي تجمع في القصبة الهوائية (الرغامى) بحيث تعجز الشعيرات المتحركة عن دفعه صعوداً نحو المريء. وهنا يتدخل السعال لينظف المجرى قبل أن تتمكن المادة المخاطية الحاملة العدوى من الهبوط الى الرئتين.

انتقال العدوى – العلماء محرجون الآن في محاولاتهم تطوير لقاح ضد كل أنواع الزكام، لأن ثمة عدداً كبيراً من الجراثيم التي تسبب العدوى (٢٠٠ نوع في أقل تقدير) واللقاح الذي يجدي في مقاومة احداها لا يفيد عادة ضد سواها.

ان ايجاد موانع أو أدوية شافية لكل نوع من الفيروس أمر غير عملي. لكن بعض العقاقير يمكن أن يحارب كل أنواع الزكام. وتبين في وحدة معالجة الزكام في مستشفى هارفرد في سالسبوري، بريطانيا، أن المادة التي أجريت عليها التجارب حديثاً ويرجى منها أعظم الخير هي الانترفيرون. في بداءة الامر كان يتم انتاجها من خلايا الدم البيضاء البشرية، وكانت الجرعة الواحدة منها تكلف ٣٠٠٠ دولار. ولكن الآن أصبحت الجراثيم "المهندسة" وراثياً تنتجها،

وينتظر أن تغدو كلفة الجرعة دولاراً واحداً فقط.

ان أشهر مانع محتمل للزكام - وأعظم ما دار حوله الجدل - هو الفيتامين "ج" (حامض آسكوربيك) الذي بشر به لينوس باولنغ الحائز جائزة نوبل. وتقوم نظريته على أن زيادة ما يتناوله المرء من الفيتامين "ج" تقوي جهاز المناعة في الجسم فيقضي على الخلايا الموبوءة بالفيروس.

ولكن الى الآن لم يتم تصميم التجارب التي تجزم بفاعلية الفيتامين "ج". ويعتقد معظم العلماء أنهم لا يزالون قاصرين عن درء الزكام أو شفائه. والخيار الافضل الآن هو معرفة المرء كيف يمنع فيروسات الزكام من الانتقال اليه.

كان الطبيبان جاك غوالتني وأوين هندلي من جامعة فيرجينيا يجريان تجارب انتقال العدوى على عمال شركات التأمين وعائلات تقطن في تشارلوتسفيل وطلاب الجامعات. وقد أوحت تجاربهما أن الاتصال من يد الى يد، وليس العطس والسعال والتقبيل، هو الوسيلة التي تنتقل بها معظم وافدات الزكام. ويبدو أننا "نلتقط" الزكام بأيدينا حقاً. فمداعبة الاطفال باليد ومصافحة رجل مصاب بالزكام (أو حتى امساك مقبض باب لمسه، لأن الفيروسات تعيش نحو ٧٢ ساعة في مكان كهذا) تكفي لانتقال العدوى. بعد ذلك قد يفرك المرء عينه بيده أو يلامس أنفه، فتتسرب الفيروسات داخل جسمه.

اجراءات مخففة - ماذا على المرء أن يفعل اذاً؟

تذكر قبل كل شيء أننا نطور مناعة في أجسامنا طوال سني حياتنا. ولذا فمن المحتمل أن نصاب بالنوع نفسه من الزكام مرتين. راقب الدكتور آرنولد مونتو من جامعة ميشيغن في آن آربور ١٠٠٠ شخص طوال ١١ سنة لكي يكتشف من منهم يصاب بالزكام وكم مرة يحدث ذلك. فوجد أن الصغار يصابون بما معدله ثلاث أو أربع مرات في السنة. ولكن لدى بلوغ السن الستين يهبط المعدل الى ربع مرة. أما النساء، ولا سيما اللاتي هن بين العشرين والثلاثين من العمر ويتصلن بالأولاد الصغار، فيصبن بالزكام أكثر من الرجال.

والى التحصن بالمناعة من الطريق الشاقة، أي الاصابة، فان أمامك القليل مما تستطيع فعله لتحاشي الزكام. اذا أصبت أنت أو أصيب أحد أفراد عائلتك، فعليك باتخاذ الاحتياطات المعقولة لقطع سلسلة العدوى. حض جميع أفراد الاسرة على غسل أيديهم مراراً. وتأكد من أن المصاب يجد في متناوله الكثير من المناديل الورقية (٢) مع كيس ورقي خاص لرميها. عزز تهوئة المنزل. حاول أن تبقي يديك بعيدتين عن وجهك.

ولكن ماذا تفعل اذا التقطت الزكام

(٢) ابتكر الدكتور اليوت ديك مناديل ورقية مشربة باليود. واليود يقتل الفيروسات. وأظهرت التجارب ان هذه "المناديل القاتلة" تخفض عدد الفيروسات التي ينفثها المصاب في البيئة.

حقاً؟ مهما تفعل فسيظل ملازماً لك طوال أسبوع أو عشرة أيام. لكن الاجراءات الآتية قد تخفف ما يسببه من ازعاج وتحد من شدته وربما قصرت أمده:

● اذا كان الزكام حاداً، الزم فراشك وتناول سوائل ساخنة.

● اذا استمر الزكام مدة أطول مما يبدو معقولا، فقد تكون مصاباً بالانفلونزا، أو بما هو أسوأ.

أما الاعراض التي يجب أن تكون يقظاً لها فهي ارتفاع الحرارة. فالحمى تظهر في نحو نصف اصابات الانفلونزا في اليوم الاول وفي ثلاثة أرباع الاصابات بحلول اليوم الثالث. وأما اصابات الزكام بين البالغين فقد ترافقها حرارة خفيفة أو تبقى من دون حرارة. اذا استمر ارتفاع الحرارة بعد اليوم الثالث أو عادت الى الارتفاع فجأة بعدما لاح أن النقاهة بدأت، فقد تكون مصاباً بذات الرئة أو بالتهاب الجيوب الأنفية، وعليك أن تستشير طبيباً.

● جرّب العلاجات المتعددة المنافع التي توصف للزكام اذا ظهرت عليك جميع الاعراض التي يوصف العلاج لتخفيفها. خذ مستحضرات منفصلة لتخفيف آلام العضلات والاحتقان الأنفي والسعال. وعلى رغم ان الادوية لا تجدي في العدوى الفيروسية ذاتها، فانها تريح من عناء الزكام.

في الوقت الراهن تستمر الحرب بيننا وبين الزكام. فالاطباء يعكفون على درس سلسلة انتقال عدوى الزكام سعياً الى أفضل نقطة لفصمها. ويستمر علماء الفيروسات في البحث عن فيروسات لا تزال مجهولة، وتعمل شركات الصيدلة على تطوير مركبات فعالة ضد الزكام. لكن الطريق أمامنا لا تزال شاقة، ولا تزال الفيروسات تتمكن منا وتطرحنا أرضاً.

■ ريتشارد وليمس

لياقة اسبانية

كان جاري في الحافلة رجلا مكسيكياً يتكلم القليل من الانكليزية بلكنة اسبانية محببة. وسألني ان كنت أتضايق من التدخين، فأجبت بالنفي. لكنه هزّ رأسه وقال انه لن يدخن في أيّ حال لأني انا لا أدخن.

وبعد طول انتظار لم يعد يتحمل، فأشعل سيجارة ونظر اليّ وهو يقول: "المعذرة يا سيدتي. لقد مرّ على تعارفنا ساعة فقط، وها أنا اتيح لنفسي الحرية كي أحنث بوعدي."

ا.م.ر.

ثمن البسمة

راح منتج برنامج هزلي يراقب كبير ممثليه وهو يتدرب على دوره المضحك. واذ لم يرف للمنتج جفن سأله المدرب: "كيف تستطيع ان تلجم نفسك عن الضحك؟"

ـ اني لا أبتسم البتة لممثل هزلي. فما ان افعل حتى يطلب علاوة على راتبه.

ا.ا.ف.

ترى ماذا يحصل داخل غرفة "العناية الفائقة" في الساعات الأخيرة من عمر المريض؟

وداعاً أيها الكولونيل

كانت ساعة الجدار تشير الى الثالثة الا عشر دقائق عصراً عندما أخذت تتساءل وهي ترتقي السلم ماذا ستفعل في الساعات التسع التالية. هل ستخفف من آلام المريض بحقنة مورفين أم أنها ستجري حسابات في ذهنها لتوازن بين الادوية وتنظم عمل أجهزة التنفس؟

بلغت الدرجة الاخيرة وهي تحمل بيد كيساً فيه طعام الغداء وبالأخرى حقيبة يدها والمظلة، ثم دفعت الباب المؤدي الى غرفة الانتظار الخضراء. ولاحظت أثناء مرورها تحت لوحة "غرفة العناية القلبية" امرأة بيضاء الشعر جالسة على الاريكة وهي تنوح، والى جانبها امرأة أخرى تحدب عليها وتربت كتفها بصمت. تجاوزتهما وفتحت الباب على عالم المرضى ذوي الحالات الخطرة: أربع غرف مشرعة أمام أعين الجمهور في كل منها سرير واحد أزرق اللون. وكان أحد أجهزة المراقبة مضاء: السرير الرقم ٢.

مشت الى الخزانة وتناولت اللباس القطني الازرق من علاّقة الثياب. وحين ارتدته لمحت بقعة دم لم يزلها الغسيل، وشعرت بالذنب لأنها لم تذكر من أي مريض هي.

ثم وضعت الشارة على ثنية كتفها اليسرى. وعلى الشارة - اضافة الى اسمها - حروف ترمز الى الكلمات الآتية: "ممرضة مسجلة/ وحدة العناية القلبية/ غرفة الطوارىء". ولدى انحنائها لتعقد رباط حذائها الابيض أخذت تفكر في السرير الرقم ٢: كم عمر المريض؟ أرجل هو أم امرأة؟ هل الاصابة خطرة؟ وكان وجود المرأة البيضاء الشعر في غرفة الانتظار يومىء الى الاجوبة عن تلك الاسئلة.

وقت الوداع - قالت لها الممرضة المناوبة: "ان تخطيط موجات دماغ المريض يظهر أن دماغه متوقف عن العمل، ولم يتسنّ لي الاطلاع على نتائج الفحص الذي أجري هذا الصباح."

بعدما اطلعت على عرض موجز للحالة سارت بهدوء الى غرفة العناية القلبية. كان جهاز التنفس شغالا، والانابيب البلاستيكية الملصقة على صدر المريض العاري وفخذيه تهتز من جراء ارتعاش عضلات ذراعيه ورجليه.

نظرت اليه عن قرب فرأت حبيبات العرق تغطي رأسه الاصلع. وكان الشريط اللاصق، الابيض فيما مضى، ملفوفاً باحكام في قطعة قماش رقيقة حول فمه ووجنتيه، وهو يثبت أنبوباً مخططاً بالاحمر داخل مجرى التنفس يسري فيه هواء ساخن من جهاز التنفس الى الرئتين.

تراجعت الى الباب وجذبت الستارة الزرقاء حاجبة النور عن الغرفة الزجاجية. انهما الآن وحدهما. وباشرت عملية فحص آلي كأنها تفكك محركاً معطلا قطعة قطعة. نبضات القلب: ١٥٠، ضغط الدم: ٨٠، البشرة: رطبة ومرقشة، اللون: رمادي تشوبه زرقة، العقاقير: دوبامين - بروكيناميد - ليدوكاين، الحدقتان: متسعتان، الاستجابة اللاارادية: غائبة...

قيل لها انه كان نشطاً وضاحكاً قبل ساعات من الحادث. وكانت المناسبة اجتماع العائلة الى مائدة الغداء ذلك اليوم. أخذت تسرح بخيالها فترى الضحكات وقصص الجد التي تثلج صدور الاطفال. بعد كل ما مر بها من تجارب ومشاهدات لا تزال مشدوهة للسرعة التي تقع بها تلك الحوادث.

فرغت من اجراء الفحص وسمحت لافراد العائلة بالدخول كي يبقوا معه، كل بمفرده، وفقاً للسياسة المتبعة في المستشفى.

دخلت أخته أولا وقالت بصوت خفيض: "آه يا كولونيل، الآن حان وقت الوداع." وسالت دموعها على ذراع أخيها ولم تمسحها. "كنت أدعوه الكولونيل دائماً، فهو لقبه." بدأت تقول أمراً آخر لأخيها، وتحركت شفتاها من دون صوت. ثم وضعت يدها على فمها وغادرت الغرفة.

أمسكت الممرضة يده. يد ندّية دافئة. أشار ميزان الحرارة الى ٤١،٢ درجة مئوية، وكانت تذكر جيداً من حلقات التمرين أن كل ما يتجاوز ٤١،١ درجة يعني توقف الحياة. لا حياة. تعبير بسيط ومباشر.

"كان فريداً!" - بعد عشر دقائق دخل الغرفة شاب ناحل في العشرين من

عمره بخطوات ثابتة. لا شك في انه أحد أحفاده. مد يده ليلمس وجه جده، لكنها توقفت في منتصف الطريق. لا يمكنه ان يترك الكولونيل يموت. وفجأة بدأت كتفا الشاب ترتعدان فأدار ظهره وخرج مسرعاً.

تحركت يد الممرضة الى جبين الكولونيل ومسحت العرق المتصبب. حدقت الى وجهه لوقت طويل. بدا وجهاً طيباً.

انتقلت الى طرف السرير ودلكت قدميه المزرقتين وكانتا ساكنتين وباردتين كالثلج. صاحت بصوت مرتفع: "ترى أي نوع من الرجال أنت يا كولونيل؟" ونظرت الى المرقاب التلفزيوني. نبضات القلب: ٧٠، ضغط الدم: ٧٤.

مرت عشرون دقيقة وقد هدهدها الصوت المنبعث من جهاز التنفس في شبه اغفاءه لدى جلوسها في حجرة الممرضات وهي ترسم الخرائط الطبية وتعد أوراق العمل. وفاجأها صوت أجش. رفعت رأسها فرأت رجلا فارع الطول وامرأة الى جواره.

سألها الرجل والامل معلق بكلماته: "كيف حاله؟"

أجابت: "ليس بخير."

وتقدمت المرأة نحو الممرضة وهي تلوي كفيها المتشابكتين: "نحن أصدقاء ألن يستطيع تجاوز المحنة؟"

صوبت الممرضة نظرة صريحة الى المرأة: "انه يموت الآن ونحن نتكلم." وقال الرجل: "اسمعي، اذا نحن قصدنا المدينة وجئنا بأبرع الاطباء، هل في ذلك نفع؟"

– لا، فدماغه تالف. ونحن نبقي قلبه نابضاً بواسطة العقاقير، والآلة تتنفس عنه.

أبعد الاثنان نظرهما عنها في اتجاهين متعاكسين. وغمغم الرجل الطويل: "كان رائعاً. أفضل الرجال. لقد ساعد الناس كي يجدوا معنى لحياتهم." وتوقف لبرهة ثم تابع ببطء: "كان فريداً من نوعه. آه يا الٰهي كم كان فريداً."

– نعم، اني متأكدة من أنه كان كذلك.

وغادر الزائران الغرفة سوية وعادت هي الى مريضها. ميزان الحرارة يشير الآن الى ٣٤،٤ درجة. تحسست بشرته الطرية الساكنة فسرت في جسمها رجفة، وتوجهت الى الباب الخارجي. من خلال نافذة غرفة الانتظار القت نظرة على المرأة البيضاء الشعر فألفتها لا تزال جالسة على الاريكة. فتحت الممرضة الباب ودعتها الى الدخول.

لمست الزوجة وجهه وطبعت عليه قبلة: "زوجي، زوجي، كم أحبك. لا تنسَ أني أحبك." تظاهرت الممرضة أنها منشغلة في اعادة ترتيب الانابيب البلاستيكية التي لم تعد ثمة حاجة ليها، وقد آلمها تطفلها على سماع ذكريات الحب.

قالت المرأة ذات الشعر الابيض: "لقد استيقظ مراراً تلك الليلة، على عادتنا نحن العجائز. لكنه في المرة الاخيرة، عندما خطا عائداً الى سريره، ناداني باسمي. بدا غريباً وضائعاً. ثم ما لبث ان وقع أرضاً. خفت، وكلمته فلم يجبني. بقيت أكلمه، لكنه لم ينبس." وتناولت

المرأة يده المرتخية وأدنتها من وجنتيها وقالت: "أحبك." ثم سدلت اليد وخرجت من الغرفة.

الخط مستقيم - حين أضجعته الممرضة على جنبه رأت الطبيب واقفاً بقربها، فأشار عليها بالتوجه الى مكتب المراقبة: "تبين من فحص الرأس أن ثمة نزفاً حاداً في الدماغ. اقطعي عنه الادوية وأوقفي جهاز التنفس. لقد بحثنا أنا وطبيبه الآخر في الامر مع عائلته، وهم موافقون على ذلك." تسمَّرت الممرضة في مكانها ولم تمش نحو سرير المريض. وانتظرت الطبيب حتى خرج.

خفضت حاجزي السرير بتأن ووضعت يديها برفق تحت كتفيه وخاطبته هامسة: "هل شعرت بكل الحب الذي يكنونه لك؟ كل شيء سيكون بخير. أعدك بذلك."

ولامس وجهها وجهه: "سأبقى معك هاهنا."

ومض ضوء احمر صغير رافقه صفير منخفض. ضغط الدم: ٤٠، نبض القلب: ٣٢. ضغطت يده وأحست غصة في حلقها. كانت دموعها تبلل وجهه.

اقتربت من المصل الازرق الذي يحفظ ضغط الدم مرتفعاً وأوقفت قطراته. ثم قطعت عنه السائل الاصفر الذي يبقي قلبه نابضاً.

ومض جهاز الاستقبال ثانية وأز حين مر خط مستقيم عبر الشاشة. لا نبض. ضغط الدم صفر.

"انتهت كل أوجاعك الآن. استرح. استرح."

وفجأة صدر عن جهاز التنفس صوت مزعج خطف من الموت جلاله. وبحركة رشيقة نزعت القابس من الجهاز. وساد الصمت.

أزالت الانابيب من جسده وغسلته بماء الصابون الدافىء الذي يستعمله الاحياء. ثم غطته بملاءة ناعمة وقالت: "وداعاً يا كولونيل."

بعد منتصف الليل مشت عبر غرفة الانتظار الخالية. أحست أنها تتلاشى. غير أنها حين خطت أول خطواتها خارج المستشفى حيث هواء الليل المنعش انتبهت الى انها تحمل شيئاً معها. انه ما خاطبها ابداً. لم يومىء في اتجاهها. هي لم تربح معركة. لكنها لمسته، وما زالت في روحها بقية من روحه.

■ ايكو هيرون

طابور رياضي

مرة توقفنا امام مطعم لشراء الشطائر لنا ولأولادنا. لكننا كدنا ان نغادر اذ شاهدنا طابوراً من الناس ينتظرون دورهم. ولم نلبث ان عرفنا سبب الازدحام اذ رأينا نجماً رياضياً شهيراً يوقع اسمه للمعجبين في مقابل دولار واحد من كل منهم. وأبدينا استياءنا من تلك الطريقة التجارية، الى ان اوضحت لنا نادلة حقيقة الامر، وهو ان حريقاً شب في المدينة واتى على محتويات منزل عائلة فقيرة بكاملها. فما كان من الرياضي الا ان ابتكر تلك الطريقة لاعانة العائلة المنكوبة.

وإذ ذاك اخذنا دورنا في الطابور.

ا.ب.

ماذا تعرف عن الفطر؟

اختبار مفيد لمعلوماتك حول طرائق قطف الفطر وتحضيره

عني الالمان بقطاف الفطر لمئات السنين. واليوم، مع حركة "العودة الى الطبيعة" وارتفاع ثمن السلعة لتهافت الناس على شرائها، ازداد عدد هواة قطاف الفطر والبحث عنه وسط الغابات من غير دراية وافية بخصائصه وبالاخطار التي ينطوي عليها.

قطاف الفطر هواية تكتنفها الاخطار. يقتلع الناس كل النباتات التي تشبه الفطر مستندين الى ما يتداوله الناس من قصص العجائز حول طرق قطافه وتحضيره للأكل. ويودي هذا الجهل بحياة مئات الاشخاص سنوياً. وفي بافاريا وحدها مات تسعة أشخاص تسمماً بالفطر في خريف ١٩٨١.

وهناك مفاهيم خاطئة شائعة حول الفطر. وفي ما يأتي اختبار لمعلوماتك يساعدك في ترتيب الحقائق والمغالطات حول هذا الموضوع. أجب بـ"صح" أو "خطأ" عن كل عبارة ثم تأكد من الجواب الصحيح.

١. ينمو الفطر دائماً في المكان نفسه.

٢. يجب نقل الفطر في سلال.

٣. عليك باقتلاع نبتة الفطر بكاملها من التراب.

٤. تحوم ذبابة الغاريقون عادة بالقرب من فطر البوليطس الصالح للاكل.

٥. الوقت الافضل لقطاف الفطر بعد المطر الشديد.

٦. تنمو الفطريات الصالحة للاكل طوال السنة.

٧. جميع الفطريات التي يتحول لونها أزرق بعد قطافها هي من النوع السام.

٨. عندما يلامس الفطر السام ملاعق الفضة فانها تفقد لونها وبريقها، كذلك يسود لون البصل.

٩. لا تتناول الفطر الا طازجاً.

١٠. لا تقطف نبتة الفطر الصغيرة قبل أن تنضج.

١١. الفطر الصالح للاكل وفطر قدح الموت الابيض متشابهان مثل حبتي بازيلاء.

١٢. الفطريات التي تشبه الاسفنج في جزئها الاسفل صالحة للأكل.

١٣. يجب طبخ الفطر بعد قطافه مباشرة.

١٤. جميع أنواع الفطر قابلة للتجفيف.

الاجوبة الصحيحة

١. خطأ. ينمو الفطر في دوائر تمتد من نقطة مركزية في حلقات تتسع لتصل الى بعد خمسة أمتار من النبتة الاصلية.

٢. صح. يجب جمع الفطر في سلال مصنوعة من القصب يتخللها الهواء بسهولة. ان أكياس البلاستيك التي يستخدمها بعض القاطفين مضرة لأن الحرارة تتجمع داخلها بسرعة وتصل الى الفطر مما يتسبب في تحلل المواد البروتيينية فيه وتحولها مواد سامة مضرة بالصحة.

٣. صح. اقتلاع نبتة الفطر بكاملها يسهل عملية التعرف الى نوعها. هناك أنواع سامة يصفرّ جذعها بعد اخراجه من التراب، وهي شبيهة بنوع صالح للاكل. فاذا ما اقتلع الفطر دون جذعه، فسوف يتعذر التعرف الى نوعه.

٤. صح. ذبابة الغاريقون مثل البوليطس الجيد تعيش بالقرب من التربة الحمضية، ولهذا السبب نجد الاثنين في موقع واحد.

٥. خطأ. لأن الفطر يصبح مشبعاً بالماء بعد المطر الشديد. والوقت الافضل للقطاف يتوقف على نوع الفطر. بعضه يظهر بعد ثلاثة أيام وبعضه بعد ثلاثة أسابيع من المطر المعتدل.

٦. صح. غالبية الأنواع تنمو بين أغسطس (آب) ونوفمبر (تشرين الثاني). لكن خبراء الفطر يجدونه في الشتاء المعتدل (فطر المحار مثلا) والربيع (فطر الغوشنة او موريل) وبداية الصيف (البوليطس). اما في الشتاء الشديد البرودة

والفصول الجافة فقد لا ينمو الفطر ابداً.

٧. خطأ. اللون الأزرق في بعض أنواع الفطر هو نتيجة لتأكسد وليس دليلا على السمية.

٨. خطأ. ليس هناك اختبار لمعرفة الفطر الجيد من السام، وانما هو يعرف بالملاحظة فقط. والقاعدة الاساسية لأكل الفطر هي: تناوله اذا كنت متأكداً من سلامته تماماً.

٩. صح. اترك الفطر الذي جفت حافته او ظهرت عليه بقع فساد. فالفطر غير الطازج يبدأ بالتعفن مما ينتج مواد قد تكون سامة.

١٠. صح. الفطر غير المكتمل النمو لا يمكن التعرف الى خصائصه الكاملة. لذلك ربما اختلط على المرء التعرف على النوع الجيد والنوع السام.

١١. صح. ان تشابه أنواع الفطر يسبب في كثير من الأحيان حوادث تسمم. ولكن هناك خصائص تميز هذه الأنواع. فطبقات فطر كأس الموت بيضاء وهناك غلاف في أسفل جذع النبتة، اما طبقات الفطر الجيد الناضج فلا تكون بيضاء ابداً كما ان الجذع متناسق السماكة ولا يغطي اسفله غلاف.

١٢. خطأ. أنواع كثيرة من الفطر الذي يشبه الاسفنج في جزئه السفلي ليست صالحة للطعام. من ذلك ان فطر "بوليطس ساتاناس" هو نوع سام وفطري "بوليطس كالوبس" و"تيلوبيلس فيلوس" لهما طعم مر بغيض، لكن لها جميعاً ما يشبه الاسفنج في اسفلها. لذلك احفظ خصائصها المميزة، واذا اختلط عليك الامر استشر شخصاً اكثر خبرة.

١٣. خطأ. أكثر انواع الفطر يمكن حفظها ٢٤ ساعة على الاقل في مكان بارد حسن التهوئة او في براد. ويبقى الفطر المطبوخ صالحاً بعد يوم اذا وضع في وعاء زجاجي أو خزفي أو بلاستيكي داخل البراد. ومن أجل تجليد الفطر يجب قليه بالزيت من دون تتبيله، وتحفظ بهذه الطريقة جميع الأنواع الصالحة للأكل.

١٤. خطأ. أنواع كثيرة من الفطر غير صالحة للتجفيف. ولكن هناك انواع شائعة كالبوليطس يمكن تجفيفها بسرعة.

المستوى

أعط نفسك علامة لكل جواب صحيح.

اذا كانت علامتك بين ١و٩، فأنت مبتدىء في علم الفطر. أدرس الموضوع بدقة في كتب مفصلة عن الفطر ومتوافرة في جميع المكتبات. قبل ان تأكل الفطر الذي تقطفه افحص عينة منه لدى مركز زراعي مختص للتعرف الى صلاحيته ونوعيته.

اذا كانت علاماتك بين ١٠و١٣، فانت تجد متعة في قطف الفطر وتجيد عملك.

اذا كانت نتيجتك ١٤ علامة، فأنت واسع الاطلاع على أنواع الفطر. ومع ذلك فنحن ننصحك بالالتحاق باحدى جمعيات الفطر، ويرى الخبراء ان المرء لا يمكن ان يعرف كل شيء عن الفطريات، فهناك دائماً المزيد.

■ بترا فولز بورغفارت ووالتر باتزولد

الوسَام

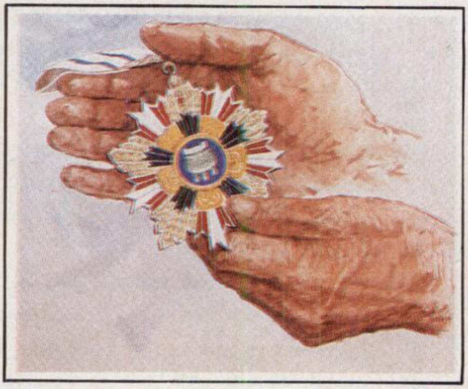

تطوع الفتى في الجيش ناشداً الثأر لأبيه، فكان نصيبه وسام بطولة

نلت وسامي الاول بعد خدمة أكثر من عشرين سنة في الجيش. وعندما أخذته الى البيت أنزلت حقيبة السفر الصغيرة التي أحفظ فيها أوراقي المهمة من مكانها فوق الخزانة ووضعت الوسام داخلها.

كان في الحقيبة وسام آخر بقي فيها أكثر من عشر سنين، لكن طلاءه الذهبي لم يفقد لمعانه وبقي اللونان الاصفر والأزرق على بريقهما وإشراقهما. لم يكن وساماً عادياً يكافأ به الاخلاص والاجتهاد مثل وسامي، بل كان الوسام "الثلاثي الثمين" الذي لا يمنح الا لجندي أبدى شجاعة خارقة في الحرب. أمسكت هذا الوسام في يدي وعادت بي الذكريات.

أُمرت كتيبتنا بالانتقال من مقاطعة هوبي الى كيانغسو، (في الصين)، فأخذت اجازة لبضعة أيام من أجل زيارة وطني.

كانت بلدتي عانت حرباً قاسية دامت ثماني سنوات وهدمت كل المنازل ومن بينها المنزل الذي عشت فيه صغيراً. توفي والداي قبل زمن بعيد فربتني شقيقتي التي تكبرني بعشرين سنة. وعلمت بعد السؤال أنها انتقلت الى قرية مجاورة.

خارج القرية رأيت فتى في السادسة عشرة أو السابعة عشرة من عمره يرعى جواميس الماء، ففاجأني

© 1980 by Wu Chih. Condensed from «Selected Works of Wu Chih,» published by Dawn Cultural Business Stock Company Ltd., Taiwan

كونه كبيراً على مثل هذا العمل. وسألته: "هل تعرف أين تقطن عائلة يو؟"

بدا عليه الخوف وهز رأسه نافياً كأنه مغفل. واهتديت الى منزل شقيقتي. كانت منهمكة في حصاد الحنطة عندما دخلت ساحة دارها الصغيرة عبر بستان القصب. رفعت رأسها وحدقت الي بدهشة ثم ركضت نحوي وأحاطتني بذراعيها.

"لقد عدت..." وتساقطت الدموع على خدي. كانت الايام الصعبة صبغت شعرها بالابيض فبدت مثل أم لنا أكثر من أي وقت مضى.

سألتني: "لماذا لم تكتب الينا خلال كل هذه السنوات؟"

لقد كتبت الى عنواننا القديم.

"أحرق الثوار بيتنا القديم وألحق صهرك بالخدمة العسكرية. لقد مضى على رحيله خمس سنوات أو ست ولم أسمع عنه شيئاً. أنا فاقدة الامل، وأتساءل أين تراهم دفنوا عظامه."

وبدأت النحيب، فأسرعتُ الى تحويل الحديث والسؤال عن ابنها الوحيد: "ماذا عن ويبي؟" وتذكرت أنه كان طفلا ذكيا مليئاً بالحيوية.

"ويبي؟ إنه يرعى الجواميس عند سفح الجبل."

أدركت أن الفتى الذي التقيته هو ويبي.

- لماذا تحصرينه في هذا العمل؟

"إنه لا يعرف عملا آخر، في العام الذي جند صهرك احتل الثوار حاضرة اقليمنا وجمعوا المراهقين بهدف تشكيل ألوية للشبان. أجبروهم على الحراسة خارج البلدة تحت رحمة الرياح والثلوج. وذات يوم كان ويبي محموماً ولم يستطع الذهاب، فجاؤوا يبحثون عنه وضربوه ولم يشف إلا بعد سنة كاملة بات معها مغفلا. ومنذ ذلك الحين لم يعد يفهم الكثير."

الكنز الحي – عاد ويبي الى البيت يجر جاموساً. وعندما رآني ارتد يريد الهروب. فنادته أختي: "تعال سلم على خالك!" وهمست لي متنهدة: "بسبب الثوار أصبح يخاف البزات العسكرية."

تقدم ويبي نحوي خائفاً وسمَّر نظرة بلهاء الى الشارة التي على قبعتي. قلت له وأنا أربت كتفه: "لا تخف. ألا ترى أن قبعتي تختلف عن قبعات الثوار؟ الجنود لا يبحثون عنك. انهم يلاحقون الثوار."

التقط ويبي قبعتي ووضعها على رأسه: "أريد البحث عن الثوار. أريد البحث عن الثوار." فصاحت به أمه: "يا لك من فتى مجنون. أعد هذه القبعة الى خالك!"

أعاد ويبي القبعة حزيناً وعاد الى خوفه، فقلت لأختي: "دعيه يأخذها، فعندي كثيرات غيرها. ضعها على رأسك يا ويبي، هذه هديتي اليك."

أخبرت ويبي بعد العشاء تجاربي في الحرب. فسأل أمه متوسلا: "أريد الذهاب مع خالي لمقاتلة الثوار."

قالت لي أختي بعدما أخلد الفتى الى النوم: "هل تستطيع أخذ ويبي معك؟ بقاؤه في البيت ليس حلا، دعه يلتحق بالجيش فربما تفتح عقله. انك بذلك تؤدي لي خدمة كبيرة."

علت وجه الفتى ابتسامة عريضة عندما غادرنا القرية في الصباح

التالي. انطلق من غير أن يودع أمه. لكنه بدأ يحن الى البيت عند المساء وطلب العودة الى القرية. وفي الفندق راح يتقلب على الارض ويرفس بقدميه صارخاً: "أريد أمي. أريد الذهاب الى البيت." واستمر في البكاء ولم ينم قبل حلول الفجر. أما في اليوم التالي فقد أثاره كل شيء في المخيم ونسي أمه، وعندما اجتمع الضباط والجنود في الساحة للاحتفال برفع العلم كان ويبي يراقب. وحين أنشدنا النشيد الوطني صفق لنا وهتف - وبصفتي آمر كتيبة وقفت على المنصة مخاطباً الرجال، فقفز ويبي الى جانبي وعلى شفتيه ابتسامة عريضة.

وبعد وقت قصير علم جميع أفراد الكتيبة أن الآمر أحضر ابن اخته - "الكنز الحي" - الى المخيم.

أول المتطوعين - أصبح ويبي رسمياً رسولا من الدرجة الثانية. وكثيراً ما كان سلوكه الغريب يضحكنا ويبكينا. لكنه كان طيباً، فقدر الرجال صفاته المتواضعة البسيطة بعدما عرفوه جيداً. وكان نشيطاً في عمله. ويوماً بعد يوم باتوا يحبونه ويؤمنون له الحماية.

بعد أشهر غدا ويبي أكثر فطنة كما كانت أمه تأمل. لم يعد يتكلم كالاطفال وعاد الى القراءة والكتابة. ثم نقلته الى قسم أمانة السر آملا أن تكون حياته أسهل هناك.

وبعد مرور أيام على جلوسه في مكتبه قال لي: "أرادت لي أمي الذهاب معك لكي أتعلم القتال لا لأجلس خلف طاولة. أريد مقاتلة الاشرار والثأر لوالدي."

نقلته الى سرية المدفعية، لكنه لم يتعلم بعد مرور ستة أشهر سوى رمي القنابل اليدوية. ولم يبق هناك الا بفضل قائد السرية لي الذي أولاه اهتماما خاصاً.

قبيل رأس السنة تلقينا أوامر قائد الفرقة بالصعود الى الشمال. وبعد مسيرة أسبوعين وصلنا الى منطقة تلال حيث واجهتنا مقاومة عنيفة. فقرر قائد الفرقة التحضير لهجوم ينفذه فوج من الجنود فيحتل موقعاً مهماً على قمة تلة بينما تتولى كتيبتي الدعم اللازم.

وكانت قمة التلة مفتاح دفاع الثوار الذين أقاموا في وسطها متراساً قوياً وركزوا مدافع رشاشة وثقيلة وسدوا جميع الطرق المؤدية الىهناك. كانت الصخور الضخمة المستديرة تحمي المتراس، وقد تدلت احداها على نحو أمن للمتراس حماية جيدة. وقبالة التلة كان منحدر صخري عال صعب علينا استعمال مدافعنا ودباباتنا.

خسر الفوج نحو سبعين أو ثمانين في المئة من رجاله، ولم تحرز كتيبتنا أي تقدم. واذ أدرك قائد الفرقة أن لا جدوى من التضحية بالرجال، طلب متطوعين لتشكيل فرقة انتحارية تتسلل الى مواقع العدو وتتسلق الصخرة المتدلية وترمي القنابل في الشق تحتها.

كان ويبي أول المتطوعين: "أنا سأذهب!"

وهمس آمر الفوج في أذن قائد الفرقة الذي هز رأسه وابتسم قائلا:

"عليك أخذ موافقة آمر الكتيبة وو أولا."

ركض ويبي الي باكياً: "أخبر قائد الفرقة يا خالي. قل له اني أجيد تسلق الجبال ورمي القنابل اليدوية. اني قادر على الذهاب."

فقلت: "لا." كيف نرسل فتى متخلفاً مثل ويبي في هذه المهمة الخطرة. وهو الى ذلك ابن أختي الغالي الوحيد.

واصل ويبي البكاء وهو يطرف عينيه ويثني شفتيه: "أريد الذهاب. أريد الذهاب. لماذا لا أستطيع الذهاب؟ دعني أذهب."

قلت له: "اهدأ. ألا تذكر أن أمك أوصتك بأن تطيعني. عندما يقول خالك لا فمعنى ذلك لا."

وتوقف عن البكاء الى أن رأى غيره يتطوع، فبات كالمسعور. وأخيراً تمتم غاضباً: "يا قائد الكتيبة. أنا جندي، وأنت لست خالي الآن وليس لك الحق في منعي عن الذهاب."

طبعاً لا يحق لي التفكير فيه كابن اختي. لذلك قلت له وقد قسا قلبي: "حسناً. اذهب."

"من هذا؟" ـ احتمى أفراد كتيبتنا وبقية الفوج بالخنادق وكثفنا نار أسلحتنا لحماية الفرقة الانتحارية. كان العدو يطلق نيرانه الثقيلة ولم أكن أريد رؤية ما يجري. لم أتحمل التفكير في مصير ويبي.

وصاح قائد الفرقة: "من هذا؟" كان يحدق عبر منظاره ويشير الى يمين التلة. رأينا جندياً يتسلق تحت وابل من الرصاص. ومع أني لم أر وجهه عرفت أنه ويبي. لم يكن هناك سواه. وتابع التسلق فشعرت كأن قلبي يقفز خارج حنجرتي.

ربت قائد الفرقة كتفي قائلا: "أنا فخور بك أيها الآمر وو. ان لك ابن اخت شجاعاً جداً. عندما نستولي على قمة التلة سنكافئه ونرقيه ونمنحه وساماً."

لم أجب. كنت أنعم النظر الى ويبي من خلال المنظار. بدا لي أنه يفكر في طريقة للتسلل الى الصخرة المتدلية. فك الضمادة التي لف بها جرحاً في قدمه وربطها حول شجرة وتعلق بها. ثم أخذ قنبلة يدوية من حزامه ورماها. بوم! ثم هدوء. ثم بوم! بوم!

وأصيب ويبي. رأيته يرتجف، وارتخت اليد التي كانت تمسك بالرباط. وغاب الفتى عن الانظار.

غشت علي دموعي الرؤية. فقفزت كالمجنون من مخبأي وصرخت: "اهجموا أيها الجنود. تقدموا!"

كان ويبي فارق الحياة عندما أدركنا الصخرة. بعد ذلك خضنا معركة حاسمة. قاتلنا في شانتانغ وهوبي ثم بدأنا التراجع، فقطعنا نهر يانغتسي ونزلنا الى الجنوب. كنت أنوي العودة الى الوطن لكي أسلم أختي وسام ويبي، لكن الثوار احتلوا قريتي ثم البلاد بأكملها. ولم يتسنّ لي أبداً أن أخبر أم ويبي باستشهاد ابنها البطولي.

فلا عجب أن تغلبني المشاعر وأنا أرى الوسام المذهب في الحقيبة العتيقة.

■ وو تشي

في أعالي الجبال المنيعة في أبعد اقاليم الهند
يعيش شعب قوي ألف خشونة العيش
وأغنى حياته البسيطة بنفحات ايمان

شابة من العاصمة ليه
تعرض لباس رأس
من حجار الفيروز الخشنة الصقل.
إنها تشهد العالم كله
على ثروتها.

لاداخ فردوسٌ أرضيّ

مضت قافلتنا الصغيرة تشق طريقها صاعدة الطريق الضيقة الممتدة في محاذاة المنحدرات الصخرية الخطرة، عبر جداول سريعة ثلجية المياه، حتى تجتاز في النهاية آخر المشارف الصخرية الحادة المسننة التي يقع وراءها الممر الى أتشيريك. وعلى رغم أن هذه المنطقة تعتبر بمقاييس لاداخ مجمع مياه صغيراً فان مقياس الارتفاع في جيبي كان يسجل ٤٨٠٠ متر، وهو ما يعادل ارتفاع أعلى قمم جبال الألب.

توقفنا في مهب سياط الرياح وقد تقطعت أنفاسنا بفعل الهواء الرقيق البارد والمنظر الرائع الذي امتد تحت أبصارنا! فعلى بعد سحيق الى أسفل ينحدر المجرى الرمادي البارد لنهر الهندوس هائجاً من منابع أكثر ارتفاعاً من موقفنا تقع في هضبة التيبت القريبة، ويمضي متعرجاً في قلب أراضي لاداخ بلونها الكميت وتضاريسها القمرية التي تحوط بها القمم اللامعة في دائرة مقفلة. وفي الاودية الضيقة التي ترويها مياه الثلاجات الذائبة كانت تلمع في مواضع متناثرة بقع خضراء هي واحات قابعة في صحراء حملايا الكبرى.

وكانت طريق الهبوط الطويلة خطرة. فذات مرة ارتفعت صحية "انهيال صخري!" من ناوانغ تونغسبون صديقي وترجماني اللاداخي الذي كان في موضع أعلى على الطريق. والتفت فرأيت الصخرة التي انفصلت من مكانها تتواثب متدحرجة نحوي مباشرة وحجمها يزداد في عيني كلما زادت اقترابا، ثم اصطدمت فجأة بحافة صخرية ناتئة وانفجرت الى آلاف من الشظايا. وقفزت لأبتعد عن طريق الشظايا القاتلة فأخطأت في قفزتي وتجاوزت

Condensed from National Geographic (March 1978). © 1978 by National Geographic Society, 17th and M Streets, N.W., Washington D.C. 20036. Photos: Thomas J. Abercrombie

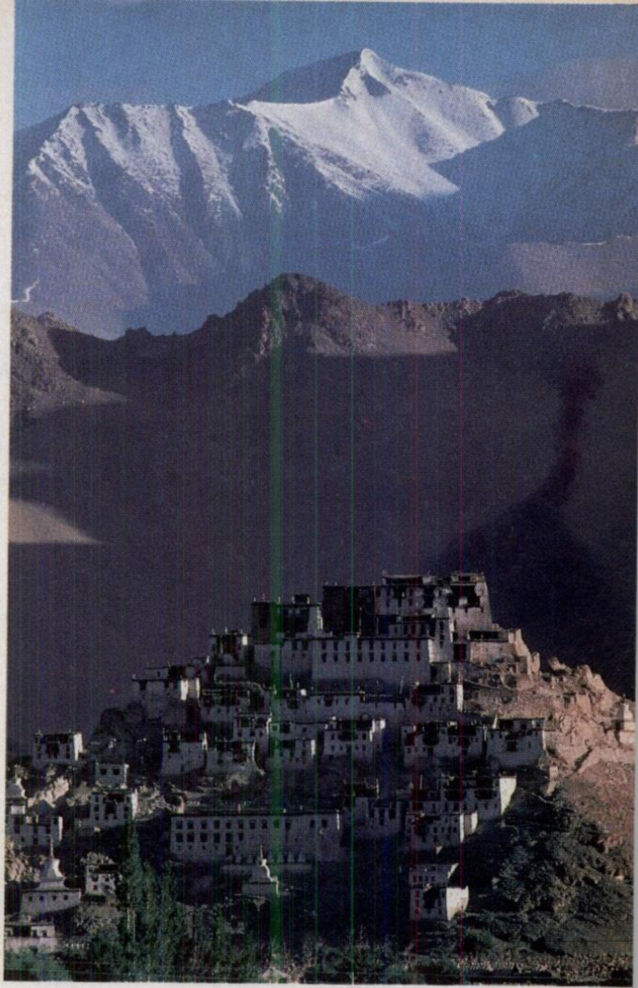

كانت لاداخ في ما مضى مملكة تتمتع بالحكم الذاتي، ثم قسمت في اواخر الاربعينات بين الهند وباكستان، وعادت فانشطرت في نهاية حرب الحدود بين الهند والصين عام ١٩٦٢ وظلت منطقة أقصاي تشين في أيدي الصينيين.

الممر الضيق لأجدني أنزلق نحو حافة الهاوية، فرحت أقبض مستميتاً على الصخور الحادة حتى تمكنت من وقف سقوطي وانقاذ حياتي في اللحظة الاخيرة.

منظر نادر ـ إذا وضعنا في اعتبارنا ما يعترض الترحال في جبال حملايا من مصاعب ومشقات، انتهى عجبنا من بقاء أودية لاداخ الراقدة فيها بعيدة عن تيار الاحداث الكبرى في العالم، ومن أن الجزء الاكبر من أراضيها الداخلية لا يزال غير مكتشف ولا مبين على أي خرائط. وتبلغ مساحة هذه المنطقة التي تحتضنها الجبال ١٢٠ ألف كيلومتر مربع،

ويعيش فيها نحو ١٥٠ ألف نسمة، المسلمون منهم في الشرق والبوذيون في الغرب. ولاداخ مملكة مستقلة ظل عرشها قائماً لفترات متقطعة طوال أكثر من ألف عام، وهي ملتقى طرق القوافل التي يسيرها التجار من البلاد المجاورة في التيبت وكشمير وتركستان الصينية.

وقد ضمت لاداخ الى الهند عام ١٩٤٧، فنجا أهلها من عمليات "التطهير" الثقافي التي أصابت أبناء عمومتهم في التيبت في ظل الاحتلال الصيني، وان يكن النزاع على الحدود بين الهند من ناحية وباكستان والصين من ناحية أخرى طوال العقود الثلاثة التي انقضت منذ ذلك التاريخ أدى الى عزل لاداخ عن جيرانها الآخرين. ولم تسمح حكومة الهند بفتح مدن المنطقة ومعابدها للزوار الاجانب إلا في العام ١٩٧٤.

وما زالت القوانين القديمة والطقوس المذهلة في التيبت هي التي تنظم الحياة البسيطة لغالبية اللاداخيين الذين لم تثقل كواهلهم بعد ألاعيب الحياة الحديثة مثل الثقاب والبارود والعجلة التي يقتصر استخدامها على الاجهزة الميكانيكية المستعملة في الصلاة. وهم يعيشون في قرى صغيرة مكتفية ذاتياً تسورها الجبال، ويتذوق فيها المشاهد ذلك المنظر النادر الدقيق العجيب، حيث يعيش الانسان في انسجام وتوازن تامين مع الطبيعة ومع الخرافات.

وتتركز الحياة الروحية في لاداخ حول الغومبا، وهي كلمة بلغة التيبت تعني "الاماكن المنعزلة".

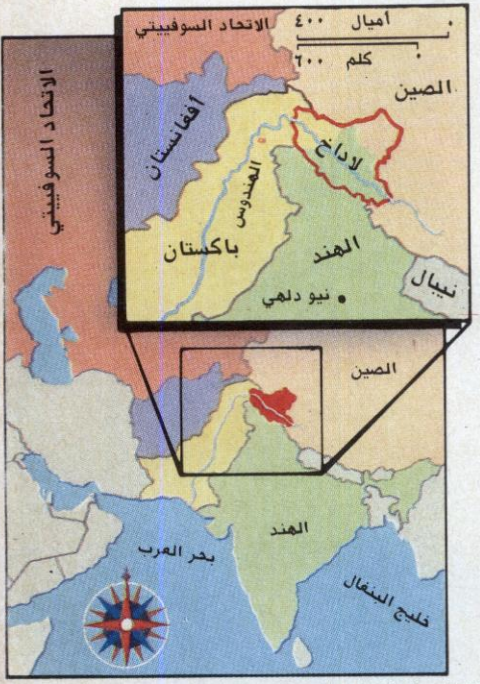

السلم مقر اللامات في تيكسي يقوم على صخرة سامقة في وادي نهر الهندوس شرق مدينة ليه.

أقمت هناك بضعة أيام عند أسفل المقام نزيلا في بيت سونام وانجيال خراط الخشب، الذي يقضى معظم وقته صيفاً وفي يده قدّوم يقطع بها ألواح الحور ليصنع منها الدلاء الطويلة التي تستخدم في أنحاء لاداخ لمخض اللبن واستخراج الزبدة أو لصنع التشانغ وهو شراب الشعير.

طريق الموت ـ لكي يتمكن القرويون من المحافظة على وجودهم هناك فوق قمة العالم فانهم يحرصون على الانتفاع بكل مورد متاح. وهم لا

ذات مقابض طويلة يوزعن بها الماء الثمين في حرص شديد على المصاطب (الجلول) المزروعة التي أعدت بعناية فائقة. وليس هناك عود أخضر واحد لا يجد مستقره في سلة، اذ تصنع من العيدان الطيبة الطعم أنواع من حساء الخضر وتحزن العيدان الاخرى لتكون علفاً. والعنصر الاساسي في غذاء كل قروي هو التسامبا، أو جريش الشعير المجفف. أما حيوان الدزو المهجن من الياك الجبلي وبقر السهول فهو الذي يضيف الى طعام الاهالي الزبدة واللبن والجبن المجفف. والخشب أثمن من أن يحرق للوقود أو التدفئة حتى في أشهر الشتاء حين تنخفض الحرارة الى ٣٠ درجة مئوية تحت الصفر. ويستخدم في ذلك بدلا منه روث المشاية المجفف وبعض النباتات الشوكية، كما أن الحيوانات التي تقوم حظائرها في الطبقات السفلى من البيوت تساهم بحرارة أجسامها في التدفئة.

ونظراً الى فقر لاداخ بالموارد فانها كانت تعتمد على التجار الذين كانوا يلتقون في العاصمة ليه ليتبادلوا ثروات البلاد الاخرى. فهنا تلتقي طرق التجارة الآسيوية الكبرى، من سهول كشمير الغنية ومن لهاسا البعيدة وعبر سلسلة جبال قره قورم

اثنان من المسنين في لاداخ.

يعتمدون على الامطار التي لا يتجاوز معدلها سبعة سنتيمترات ونصف سنتيمتر سنوياً، وهو ما يقارب المعدل السائد في الصحراء الكبرى، والتي يسقط معظمها على هيئة ثلوج. وحين تتعرض الحقول للجفاف لا يصلي المزارعون طلباً للمطر، بل طلباً للشمس كي تذيب المياه في الثلاجات القريبة.

وتستخدم النساء رفوشاً خشبية

المغطاة بالجليد من تركستان الصينية. وفي سوق ليه النابضة كان تجار يرقند وقاشجار يقايضون الذهب والشاي والحرير والمسك والصوف واللباد ليحصلوا على القطن واللآلىء والتوابل والنيلة والمطرزات.

ويقول ياجي توكتا نيياز أحد أواخر التجار الذين عبروا من الصين ممر قره قورم الذي يبلغ ارتفاعه ٥٥٧٥ متراً: "كانت الرحلة تستغرق ٣٤ يوماً." وقد انحصر هذا العجوز الصيني المسلم في لاداخ عندما أغلق الصينيون الحدود عام ١٩٤٩.

ويضيف: "كانت الطريق شاقة تقصم الظهر لطولها وارتفاعها. وكنا نضطر الى شق انوف بعض البغال والجياد حتى تتمكن من استنشاق كمية كافية من الهواء. ولكن لم يكن هناك خطر من الضياع، لأن عظام الحيوانات والرجال كانت تحدد الطريق."

الملكة الرمز - عندما أدت الحرب والسياسة الى عزل لاداخ عن عالمها السابق ولت المملكة وجهها جنوباً نحو كشمير والهند الكبرى. والآن، وأنا أشق طريقي وسط حشود منتصف الصيف المتعددة الجنسية في سوق ليه، يبدو لي الجو السائد موحياً ان "الامور تسير سيرها العادي،" وأرى سيارات الاجرة المحلية من طراز "جيب" تحمل شعارات العصر الجديد: "الانضباط سر عظمة الأمة" و"الأمة تسير قدماً."

والأمة - بطبيعة الحال- هي الهند. ذلك بأن لاداخ جزء من الهند، ووضعها الرسمي أنها منطقة في ولاية جامو وكشمير منذ ما حصلت الهند على استقلالها عن بريطانيا عام ١٩٤٧. ولم تجد لاداخ من الحكومة المركزية للهند إلا أقل الاهتمام، الى أن غزاها الصينيون عام ١٩٦٢ واحتلوا ٢٨٥٠٠ كيلومتر مربع من شمالها الشرقي حيث تقع سهول آقصاي تشين العالية الجرداء. هنالك اندفع الجيش الهندي فأكمل طريقاً طولها ٤٣٤ كيلومتراً تمتد من سريناجار الى ليه وتقصر زمن الرحلة بين المدينتين من ١٦ يوماً الى يومين اثنين. وفي لاداخ الآن حامية للحدود تضم ٤٠ ألف جندي. ويحصل كثير من اللاداخيين الآن على أول أجور كسبوها في حياتهم من عملهم في إنشاء الطرق والمباني العسكرية للجيش الهندي.

وتتلقى لاداخ أيضاً في الوقت الحالي أولى دروسها في الديموقراطية. فخلال زيارتي لها عام ١٩٧٨ كانت العاصمة الصغيرة تضطرم بحمى الانتخابات. فصور المرشحين ملصقة على الجدران في السوق وسيارات الجيب المزودة بمكبرات الصوت تتجول في الشوارع زاعقة بوعود المستقبل باللغات الاوردية واللاداخية والانكليزية. وقد أدهشني أن أرى على رأس قائمة مرشحي حزب المؤتمر الهندي لمقعد لاداخ في برلمان نيودلهي اسم صاحبة السمو جيالمو ديسكيت وانجمو ملكة لاداخ التي تبلغ من العمر ٤٢ عاماً.

والأسرة المالكة في لاداخ تقتفي نسبها الى الملك الاسطوري نيا تري تسانبو الذي حكم البلاد في القرن

الثالث قبل الميلاد. وبعدما تعاظمت قوة بوذيي التيبت في القرن السابع الميلادي أصبح سلطان الملك مرهوناً برضا اللامات الأقوياء، واستمر تضاؤل السلطان الملكي على مدى السنوات المئة والخمسين الأخيرة التي شهدت تعاظم سطوة الاسلام والحكم البريطاني وأخيراً الانضمام الى الهند. وحين مات زوج الملكة الملك كونزانغ نامجيال عام ١٩٧٤ كان ميراثها منه وظيفة شرفية. لكنها لم ترضَ بأن تكون مجرد رمز، فزينت سيارتها الجيب بلافتات من القماش ذي الالوان الصارخة ومضت تجوب أنحاء الريف في حملة استغرقت شهراً كاملا زارت فيها القرى داعية الى انتخابها. وقد فازت سموها في الانتخابات فعلا.

وفي اليوم السابق لرحيلها لتؤدي مهمات وظيفتها كنائبة في برلمان نيودلهي قالت الملكة ذات الصوت الرقيق: "إن أهم رسالة أحملها على عاتقي إقناع زملائي في البرلمان الاتحادي بقضية لاداخ. فهذه كبرى مناطق الهند من حيث المساحة، لكنها من أصغر المناطق من حيث عدد السكان. ونحن نريد أن نستغل مواردنا المعدنية وننمي إمكاناتنا الكهرمائية وننهض بزراعتنا، لكننا نحتاج الى المعونة والاموال من الحكومة المركزية."

وفي طريق العودة من لاداخ، وبينما كانت سيارتي الجيب تزمجر عبر الجسر الممتد فوق نهر الهندوس، مضيت أرقب الشمس الغاربة وهي تشعل بلهبها صفوف القمم العالية التي تحوط بهذا الفردوس الارضي الاخير. وأحسست لسبب ما بالطمأنينة وسط ذلك المنظر الرائع. وبدا لي أنه مهما حمل المستقبل من مفاجآت فان اللاداخيين قادرون على الصمود والانتصار عليها، لأنهم يجمعون بين عمق الجذور الضاربة بقوة في تربة هذا العالم والتفاهم الوثيق مع العالم الآخر.

■ توماس آبركرومبي

مصباح علاء الدين

درج كاتب قصص المغامرات لوي لامور على جمع الكتب حتى بات لديه نحو تسعة آلاف كتاب. وهو يقول: "ما ان يكتشف المرء لذة القراءة حتى يجد ان الحياة لا مكان فيها للملل. وهذه اللذة تزداد كتاباً بعد كتاب. والحق ان مكتبتي تشبه مصباح علاء الدين. وفي امكاني، متى شئت، الانتقال الى أي فترة تاريخية. واذذاك استطيع محادثة رجالات الماضي الكبار وفلاسفته العظام ومنبوذيه ورعاته ومغامريه وملوكه وملكاته وبحاريه... انهم جميعاً هناك، في انتظاري."

مجلة "باريد"

الضحك خير دواء

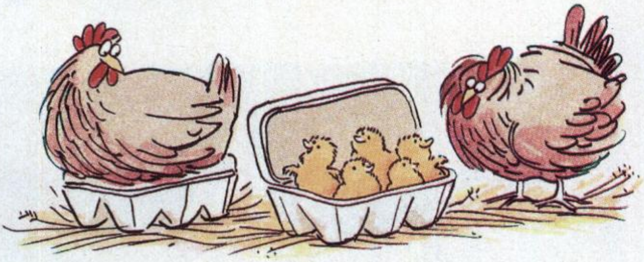

الدفع قبل النسيان

وضعت الملاحظة الآتية في احدى حانات مدريد: "اذا كنت تشرب لتنسى، فالرجاء ان تدفع سلفاً".

ب.ب.

عابر سبيل

كان شاب يقود سيارته من غير اجازة سوق. ولما وصل الى شقته، وجد شرطي سير يقرع الباب وفي يده محضر مخالفة. ولما لم يعد امامه سبيل للتهرب، راح هو الآخر يدق على الباب.

ر.ع.

قصص الصيّد

يعرف عن الصيادين ولعهم بتلفيق الروايات. ومرة جاء احدهم بالقصة الآتية:

خرجنا لصيد البط. وبعد ثلاث ساعات عبرت بطة امام رفيقي، فأطلق النار عليها، لكنها تابعت طريقها كأن شيئاً لم يكن. اما هو فنظر اليّ وقال: "اتعرف انك تشهد معجزة حقة؟ فهذه البطة ما زالت تطير بعدما اصبتُ منها مقتلا."

م.ك.

مسألة حسابية

قال تلميذ في الصف الابتدائي الاول لامه: "ان معلمة الحساب لا تستقر على رأي. فالبارحة قالت ان ثلاثة في أربعة تساوي ١٢، واليوم تقول ان الرقم نفسه هو حاصل ضرب ٢ في ٦".

س.ش.

سكرتيرة مدير

قال المدير لسكرتيرته التي سلمته رسالة ملأى بالاخطاء: "صحيح، يا آنستي، أن هذا التقرير سري. لكني لم أطلب منك طباعته وعيناك مغمضتان".

م.١٠غ.

ليلة حمراء!

لم يفهم زوجي، وهو يقود سيارته الى العمل ذات يوم، لماذا ينظر اليه السائقون والمارة ويضحكون. وما ان اوقف السيارة امام المكتب حتى تبعه احدهم قائلا: "لقد امضيت ليلة حمراء، اليس كذلك؟"

وترجل زوجي من السيارة وراح يتفحصها. وسرعان ما شاهد صدرية عالقة بهوائي الراديو.

ت.ك.

الصَبيّ والسنونو

ظل السنونو أياماً عالقاً على الشريط لا يهب الى نجدته أحد. حتى الرجل الكبير الطيب هز كتفيه وقال للصبي: هذه هي الحياة!

Copyright © 1967 by Jack Cope. This story first appeared in «The Man Who Doubted and other Stories,» published by William Heinemann Ltd., London

ي

يمتد الشريط الكهربائي عالياً فوق الارض على الابراج المتشابكة عبر المرج الفسيح حتى يتوارى عن الانظار. وثمة برج ضخم مبني على رقعة مربعة من الارض مسيجة بالاسلاك الشائكة. وهناك لوحات انذار ورسوم جمجمة وعظمتين متقاطعتين كتبت عليها عبارة "خطر الموت" بلغات ثلاث، مع رقم كبير يمثل عدد الفولتات الكهربائية.

كان أندريه في العاشرة من عمره ويدرك أن تلك الفولتات تعني الكهرباء وأن الشريط ينقل الطاقة الى البلدة. وكان يمضي أوقات فراغه مستغرقاً في الخيال، وقد استولى الشريط على أفكاره وساقها عبر المسافات الى عوالم سحرية فيها آلات عملاقة ومصانع ناشطة. هنا كان العالم ينفتح على مصراعيه.

أحب أندريه الشريط كثيراً، فهو المنفذ لأحلامه ورؤاه عبر المدى. وفي الامسيات الصافية عندما تتجمع طيور السنونو كان يرى الاسلاك عقوداً من خرز زجاجي أسود. كان يهوى سماع سقسقة الطيور وانقلابها عن الشريط النحاسي في الفضاء ومعاودتها التحليق بأجنحتها المتقوسة. كانت الطيور تطير آلاف الكيلومترات فوق البر والبحر والجبال والغابات وترحل الى بلاد لم يحلم بها في حياته.

وقد راقب السنونو ذات صباح حين انطلق سرب من مجثمه على أسلاك الكهرباء. وتخلف طائر عن رفقائه وبقي على الشريط يصفق بجناحيه. ورآه أندريه وقد علقت قائمتاه، وحسب أنه علق عند أحد المفاصل الحديد. أراد أن يعود الى البيت ويخبر أمه، لكنها ستوبخه لتأخره عن المدرسة. لذا ركب دراجته ليلتحق بالحافلة.

ولدى عودته انتابه قلق، لكنه لم ينظر الى أعلى حتى اقترب. كان السنونو لا يزال في مكانه باسطاً جناحيه من غير حراك. وظن أندريه أن الطائر قضى، ثم رآه يصفق بجناحيه ويطويهما. وأحس بالامتعاض لأن السنونو بقي معلقاً هناك طوال النهار.

الشريط اللعين - دخل الصبي البيت ونادى أمه ووقفا تحت الشريط محدقين الى السنونو. وظللت الأم عينيها بيدها. كان المنظر مثيراً للشفقة، لكنها متأكدة من أن الطائر سيحرر نفسه بطريقة ما.

وبدأ الصبي الكلام: "هل من الممكن..."

- لا يمكن عمل شيء يا عزيزي.

قالتها بحزم وبأسلوب أدرك أندريه مرماه.

رجع أبوه الى المنزل في السادسة مساء وشرب الشاي ثم انصرف للعمل في بستان الخضر. فتبعه اندريه وتطرق معه الى موضوع السنونو.

قال الأب: "لدي علم بذلك، فقد أخبرتني أمك."

- انه ما زال هناك.

قال أبوه وهو يدير قبعته القديمة ويحدجه بنظرة قاسية من عينيه الزرقاوين: "حسناً. ليس في وسعنا أن نفعل شيئاً أليس كذلك؟"

- كلا يا أبي، ولكن...
"ولكن ماذا؟"
رفس أندريه صخرة أمامه ولم يتفوه بكلمة أخرى. شعر أن أباه يقسو في معاملته، وأنه لا يرغب في سماع أي كلمة حول الموضوع.

على مائدة العشاء لم يتحدث أحد عن السنونو، غير أن أندريه أحس كأن الطائر يحوّم فوق رؤوسهم. ولدى ذهابه الى فراشه قالت أمه ان لا داعي الى القلق، "فالعصفور الدوري لا يقع من غير مشيئة الله."

- لكنه ليس عصفوراً دورياً يا أمي، انه سنونو، وهو سيقضي الليل بطوله معلقاً هناك." تنهدت أمه ثم أطفأت النور.

وجاء يوم السبت فلم يذهب أندريه الى المدرسة لأنه يوم عطلة. وكان أول ما فعله في الصباح ان نظر الى اعلى ورأى الطائر ما زال قابعاً في مكانه. لكم تمنى ان يكون في المدرسة بدلا من ان يفكر طوال النهار في ان السنونو معلق هناك على الشريط اللعين.

الحل الوحيد - كان النهار طويلا مع أن أندريه نسي أمر الطائر من حين الى آخر. كان يبني قصراً من الطين تحت شجرة الصمغ وهو ينقل الماء وينقب التربة الحمراء ويجبلها لتغدو صلصالا جامداً.

ولدى عودته ظهراً ألقى نظرة أخرى، فاستوقفه المنظر وبقي مسمراً في مكانه فاغراً فاه. كانت سنونوات أخرى ترفرف حول الطائر العالق محاولة أن تساعده. وهرع أندريه الى داخل البيت وجذب أمه خارجاً، فوقفت تحت الشريط وهي تظلل عينيها مرة أخرى. قالت: "أجل، انها تطعمه. أليس هذا غريباً؟"

بعد الظهر تمدد أندريه على العشب ورأى السنونوات تحلق ثانية حول الطائر وهي تصفق بأجنحتها وتفتح مناقيرها.

وشعر الصبي بالاختناق وهو يفكر في أن الطيور هبت لنجدة رفيقها في حين أن أحداً من البشر لا يكترث للامر. فأبواه يرفضان التحدث في الموضوع. وتتبع بعينيه الحادتين السبيل الذي يسلكه المتسلق ليصل الى البرج. ولكن اذا هو صعد الى هناك، فماذا يفعل؟ كيف يمسك بالسنونو؟ واذا لامست يداه الشريط، ألن تقفز آلاف الفولتات في وجهه؟

الحل الوحيد ان يأتي بشخص يقطع التيار هنيهة فينطلق هو الى أعلى برشاقة القرد. وعرض اقتراحه هذا على مائدة العشاء، لكن والده كان متجهماً وغاضباً كما لم يعهده.

قال أبوه: "اسمع يا بني، لا أريد أن تشغل الجميع بأمر ذلك الطائر. دعه وشأنه."

وحين جاءت أمه لتتمنى له ليلة سعيدة أشاح بوجهه نحو وسادته ولم يقبلها. وهذا ما لم يفعله من قبل أبداً. إنه الآن غاضب من أبويه، فهما تركا السنونو يترجح هناك في الليل ولم يحاولا أي شيء.

هذه هي الحياة - مساء الأحد قال لأمه: "ان الطيور الاخرى تبقيه حياً، فهي أطعمته اليوم أيضاً."

- لقد شاهدت ذلك.

"انه لا يستطيع العيش أكثر يا أماه. لم لا يخبر أبي عمال الكهرباء كي يقطعوا التيار؟"

- لن يفعلوا ذلك من أجل طائر يا عزيزي.

صباح اليوم التالي في الطريق الى المدرسة حاول أندريه ألا ينظر الى أعلى. لكنه لم يستطع الى ذلك سبيلا، وها هو السنونو على حاله يبسط جناحيه ويطويهما. ركب دراجته منطلقاً بأقصى سرعته وهو لا يفكر الا في الطائر المقيد على شريط الكهرباء.

بعد انصرافه من المدرسة ركب حافلة الى المدينة. وشق طريقه بحذر صوب المداخن الضخمة لمحطة توليد الطاقة.

ولدى وصوله واجهه سياج عال من أعمدة حديد تعلوها مسامير ضخمة وبوابة فولاذ عالية محكمة الاغلاق.

نظر أندريه من خلال البوابة فرأى رجالا سوداً يجلسون في الشمس ويلعبون لعبة تشبه الداما. ناداهم فجاء رجل ضخم يلبس ثوباً بنياً ويتمنطق بحزام جلدي عريض. ذكر أندريه قصده: لو أنهم يقطعون التيار ليتسنى له أن يرقى الى الشريط وينقذ السنونو.

ابتسم الرجل ابتسامة عريضة قائلا ان اسمه غاس ماكابني وهو ليس سوى عامل صيانة ولا يستطيع قطع التيار. لكنه فتح البوابة فعبر أندريه الى الداخل. وقال له العامل بنبرة تحبب: "اسأل الرجال هناك."

في الداخل قاده أحد المهندسين الى مكتب كبير عبر قاعة ذات حجرات كبيرة فيها أضواء متوهجة ورجال ذوو معاطف بيضاء طويلة. بدأ قلب أندريه يخفق بعنف ولاح له أن هدير محطة الكهرباء ينبعث من كل مكان.

ثم وصل الى أحد المكاتب حيث جلس رجل أسود الشعر ذو نظارات. ولم ينه أندريه كلمته الخامسة حتى ارتعشت شفتاه وانحدرت من عنينيه دمعتان.

قال له الرجل: "اجلس يا بني ولا تخف." وشرح للصبي وجهة نظره. كيف يقطعون التيار؟ فالقطارات ستتوقف، وستغرق المستشفيات في ظلام أثناء اجراء الجراحات، وسيعلق عمال المناجم على عمق ٢٥٠٠م تحت الارض. انه يدرك جيداً أن أندريه مهتم لشأن السنونو، لكن هذه الامور تحدث غالباً، هذه هي الحياة.

تساءل أندريه: "الحياة؟" وهو يفكر في أنها الى الموت أقرب.

قال الرجل الضخم وهو يكتب اسم أندريه وعنوانه: "لقد فعلت جهدك يا أندريه. وأنا آسف اذ لا يسعني أن أعدك بشيء."

رعشة فرح - عاد أندريه الى البيت متأخراً ساعات. فوجد أمه تغلي من اضطرابها. وكذب عليها فقال انه كان محتجزاً في المدرسة. وأحس بالغثيان لأن الجميع يدعون الطائر المسكين يموت، ولأن هذه هي الحياة كما قال الرجل.

لعل الوقت كان منتصف الليل عندما أفاق من نومه. كانت أمه في الغرفة

في ثوب الكيمونو الفضفاض. قالت: "هناك رجل قدم لزيارتك."

خرج الى المدخل ورأى والده مرتدياً البيجاما. ولاح له قفا رجل ضخم في ملابس بنية اللون. وزعق: "غاس! هل سيفعلون ذلك؟" أجابه غاس: "نعم، سيفعلون ذلك."

تسلق عامل الاسلاك وسائق الشاحنة سلم البيت. وشرح العامل لوالد أندريه أن أمراً صدر بتخفيف التيار في أدنى ساعات استهلاك الطاقة الكهربائية، وطلب من الصبي أن يدله على مكان الطائر العالق. رمق أندريه أباه بنظرة خاطفة قلقة، فأومأ الأب برأسه وقال له: "أرشدهم الى مكانه."

ركب أندريه شاحنة الصيانة مع السائق والعامل وغاس. ولم تمض خمس دقائق حتى وصل الجميع الى الموقع تحت البرج ومدوا سلماً. ربط غاس سلسلة في حزامه العريض وأخذ معه المصباح. وترجح لدى صعوده السلم وبدأ التسلق كأنه بلا وزن.

وعلى ضوء المصباح ظهر السنونو المتدلي على الشريط البارد. انحنى غاس وحل براثن الطائر برفق من عقدة السلك ثم وضعه في جيب سرواله الكبير.

وفي دقيقة واحدة هبط وأخرج الطائر من جيبه وسلمه الصبي.

انعقد لسان أندريه وهو يمسك بالسنونو متحسساً ارتجافه الضعيف. وفي ضوء المصباح رأى عنقه الاصفر مما دل على انه طائر صغير.

قال الصبي: "شكراً. شكراً لك يا غاس. شكراً يا سيدي."

وحمل السنونو في كفيه اللتين أطبقهما كالفنجان ورقد الطائر هناك عاقداً طرفي جناحيه وفجأة قفز في الجو وبسط جناحيه الهزيلين وضربهما في الفضاء مهتاجاً. وبدا أنه يهوي لكنه ما لبث أن طار بخفة ملامساً سطح الارض.

وبقي أندريه زمناً طويلا يذكر كيف أن السنونو عندما حلق وعلا سرت في جسمه الغض رعشة من فرح.

■ **جاك كوب**

اسرار الصحراء

منذ آلاف السنين يتناقل الناس روايات مفادها ان الصحراء الافريقية تخبىء "نهراً ضخماً بلا ماء." وقد اكتشف العلماء أخيراً منطقة شرق الصحراء يُظن انها كانت تؤوي شبكة مياه كبيرة. والبرهان على ذلك صور الرادار التي التقطها المكوك الفضائي "كولومبيا" والتي اظهرت معابر مائية وسهولا واسعة كونتها الفيضانات واحواضاً نهرية تحت الرمال يضاهي بعضها نهر النيل عرضاً.

ويظن علماء طبقات الارض ان التصوير بالرادار من شأنه ان يكشف مجمعات مائية قريبة من سطح الارض في المناطق القاحلة. كما ان هذا النوع من التصوير قد يعين على كشف النفط والمعادن في جوف الارض وعلى التوصل الى سر تطور الاجرام، بدءاً بالمريخ.

مجلة "تايم"

التنويم المغنطيسيّ

حين تعجز إرادتك عن قهر عادة سيئة، قد تنجح طريقة التنويم المغنطيسي

في الصيف الماضي التقيت على الشاطىء صديقين قديمين هما بيلي وأليس. وعندما رأيتهما في المرة السابقة كانا كلاهما بدينين. اما الآنْ فقد وجدتهما رشيقي القوام كما عرفتهما قبل ثلاثين سنة، فقلت لهما: "هذا مدهش! كيف أنجزتما ذلك؟"

بدت عليهما أمارات السرور المشوب ببعض حرج وقال بيلي بصوت خفيض بحيث لا يسمعه أحد سواي: "إنه التنويم المغنطيسي الذاتي." فقلت لهما: "هل يمكن أن يستهوي هذا الهراء شخصين مرهفي الاحساس مثلكما؟ فأوضحت أليس قائلة: "لم تنفعنا أي وسيلة أخرى. واتفق ان رأى بيلي في إحدى المكتبات رفاً عليه أشرطة مسجلة حول التنويم المغنطيسي الذاتي، فاشترى واحداً يختص بخفض الوزن. وفي المساء أدار الشريط وقت النوم فأخذت أصغي إليه. غير ان النعاس غلبني قبل انتهائه. وفي اليوم التالي طلبت أثناء العمل شطيرة من سمك التنّ للغداء فوجدتها شهية، لكني أحسست بالشبع بعدما أكلت نصفها فقط فرميت بقيتها، وهذا ما لم أكن لأفعله قط. وقلت في نفسي إن الشريط هو السبب."

في الاسابيع القليلة التالية نقص وزن أليس ستة كيلوغرامات نتيجة ممارستها التنويم المغنطيسي الذاتي

مرتين في اليوم، ونقص وزن بيلي تسعة كيلوغرامات. ويقول بيلي: "كنت أحاول دائماً التغلب على رغبتي في تناول الشطائر بعد العشاء فلم أفلح. أما الآن فلا يخطر في بالي أن أتناول أي طعام في المساء."

والحق اني خشيت أن يكون بيلي وأليس أصيبا بالخبل. ولكن عندما ذكرت قصتهما لصديق لي اختصاصي بعلم النفس أخبرني بما حدث له هو. فقد ظل سنين عدة يخشى الذهاب الى طبيب الاسنان. فبدأ يمارس التنويم المغنطيسي الذاتي قبل ذهابه الى هذا الطبيب.

استرعت هذه الظاهرة انتباهي فأخذت أبحث عن مزيد من الحقائق التي تتصل بها. فاكتشفت أن العلاج بالتنويم المغنطيسي الذاتي بات واسع الانتشار في الطب. فهناك برامج في الطب العام وطب الاسنان وعلم النفس الطبي تقدم دروساً في هذا الموضوع، كما أن كثيراً من أطباء الصحة والاسنان والاختصاصيين بالطب النفسي يعلمون مرضاهم التنويم المغنطيسي الذاتي.

إن الدكتور بول ساسردوت، وهو طبيب نفساني واختصاصي بدراسة الاورام، علم التنويم المغنطيسي الذاتي مرضى مصابين بالسرطان وآخرين يعانون آلاماً مزمنة، وهو يقول إن عشرين في المئة منهم شعروا براحة تكاد تكون تامة فيما شعر ستون في المئة براحة جزئية.

العقل الباطن - تشير الابحاث الى أن التنويم المغنطيسي الذاتي يمكن أن يكون علاجاً ناجعاً للامراض الناجمة في بعض جوانبها عن التوتر والقلق، ومن بينها الربو والتهاب الغشاء المخاطي والبرودة الجنسية والعجز الجنسي وصداع الشقيقة (ميغرين) وارتفاع ضغط الدم. غير أن السلطات المسؤولة تحذّر من اللجوء الى التنويم المغنطيسي الذاتي عوضاً من العلاج الطبي في الامراض الصعبة كما تحذّر من الاستعانة به في حالات الاضطرابات العاطفية العميقة من دون إشراف طبي.

يذهب كثيرون الى أن التنويم المغنطيسي الذاتي مستحيل لأن نظرتهم إليه هي نظرة خاطئة. فهم يظنون أن المنوم المغنطيسي يستخدم مهارات وقوى خاصة يجبر بها شخصاً ما على بلوغ غيبة تشبه النوم بحيث يصبح مطيعاً أوامره. والواقع أن المرء لا يمكن أن يصير الى تلك الحال إذا لم يكن هو نفسه يريد ذلك. "فالتنويم المغنطيسي ليس نتيجة ما يفعله المنوّم بل هو نتيجة ما يفعله المرء الذي يخضع للتنويم" على حد تعبير الدكتور هربرت شبيغل المهتم بأبحاث التنويم المغنطيسي في كلية الاطباء والجراحين التابعة لجامعة كولومبيا (ولاية نيويورك).

ويهدف التنويم المغنطيسي الى مساعدة المرء في بلوغ غيبة يصبح فيها مستعداً لقبول بعض الايحاءات. ومن بين الوسائل التي تعتمد في هذا الصدد ان يطلب المنوم منه التحديق الى نقطة معينة وارخاء عضلاء

جسمه. ويرى الدكتور فرد فرنكل، وهو خبير التنويم المغنطيسي في كلية هارفرد الطبية (ولاية ماساشوستس)، انه يمكن الوصول الى الغيبة بالتركيز التام بحيث تمحي كل المشوشات الفكرية والاحساسات الجسدية. فهذه الحال ليست حال لاوعي أو نوم بل هي أشبه بحال من يكون مستغرقاً في قراءة أو عمل فيغفل عن وجود شخص يتحدث اليه.

عندما يصل المرء الى هذه الحال يغدو قادراً على تجاهل معظم رغباته الجسدية والفكرية ويغدو في وضع يقبل معه بعض الايحاءات. وغاية هذه الايحاءات تمكينه من تحقيق أهداف محددة تدخل عقله الباطن حيث تبقى فاعلة فتؤثر في سلوكه واحساساته.

لكن من الضروري في كل من هذه الحالات أن "يريد" المرء نفسه تنفيذ الايحاء. فاذا لم يكن مثلا يريد حقاً أن يتخلص من عادة التدخين، فان التنويم المغنطيسي لا يجديه نفعاً.

إن التنويم المغنطيسي الذاتي مغاير جداً لأن تقول لنفسك في وضع طبيعي "لا تخف" أو "كف" عن الشعور بالجوع" إذ قلما تنجح هذه الاوامر الذاتية في مساعدتك. فالتنويم المغنطيسي الذاتي لا ينفعك إذا أنت لم تستعمل قوى العقل الباطن التي تفوق كثيراً في تأثيرها القوى العقلية الواعية. والايحاءات التي تستعين بها أثناء التنويم المغنطيسي الذاتي تضاهي في قوتها المهارات والعادات التي أجهدت نفسك في تعلمها كركوب الدراجة أو قيادة السيارة مثلا. ذلك بأن الجهد الذي بذلته يتحول عملا آلياً وتنعدم حاجتك الى قوة الارادة.

حافز ذاتي — يبلغ النجاح في تعلم التنويم المغنطيسي الذاتي نسبة حسنة. ويذهب الخبراء الى أن الموهوبين في هذا الشأن قليلون وهم يتمتعون عادة بخيال واسع ونزوع الى الحلم. وهناك عدد قليل من الناس لا يمكنه النجاح في ذلك أبداً. الا أن معظم الناس هم في منزلة بين هاتين المنزلتين وفي وسعهم التوصل الى تحقيق حد معين من التنويم المغنطيسي الذاتي. ولئن يكن التنويم المغنطيسي خالياً عادة من الآثار المؤذية، فان بعض الخبراء ينصحون باستشارة الطبيب قبل الشروع في ممارسته.

من بين الوسائل التي تعلم التنويم المغنطيسي الذاتي الاشرطة المسجلة التي تسعف المرء في استنباط أفكار خاصة به يمكنه التعويل عليها. غير أن معظم هذه الاشرطة يتضمن إيحاءات تتعلق بمشكلات محددة. لذلك على المرء أن يختار شريطاً يركز على سبل تعليم التنويم المغنطيسي الذاتي وليس على اعطاء معلومات حول مشكلة معينة. وعليه أيضاً أن يتذكر أن الشريط لا يكون صالحاً الا اذا كان مؤلفه أجاد عمله.

ومن بين الوسائل المعتمدة أيضاً في تعلم التنويم المغنطيسي الذاتي الاستعانة باختصاصي بالتنويم المغنطيسي او شراء كتاب حول الموضوع او متابعة أحد الدروس.

وأياً تكن الاختلافات بين هذه الطرائق فان تعليم التنويم المغنطيسي الذاتي يشمل أربع خطوات أساسية:

١٠ الشروع في التنويم٠ هناك وسائل كثيرة لبلوغ حال "الغيبة" في التنويم المغنطيسي الذاتي٠ واليك واحدة يقوم عليها عدد من أساليب هذا التنويم، وفي وسعك تطبيقها إما بتسجيل التعليمات على شريط وإما بأن تملي على نفسك ما ينبغي فعله:

اجلس في غرفة هادئة خافتة الضوء على كرسي مريح وضع يديك في حضنك٠ ثم قل في نفسك إن في وسعك الخروج من غيبتك متى تشاء عندما تعدّ من واحد الى خمسة٠

حدق الى هدف معين بمستوى عينك أو أعلى منه قليلا ثم تنفس عميقاً٠ بعد ذلك احبس نفسك وشد عضلات جسمك كله خصوصاً يديك٠ ثم أخرج النفس وأرخ عضلاتك٠ وعليك أن تكرر هذا كله مرة ثانية٠

ابدأ عداً عكسياً بطيئاً من الرقم ثلاثمئة فاذا سهوت في عملك يمكنك ان تبدأ من أي رقم تختاره او أن تعيد الكرّة٠ وفي اثناء العد قل في نفسك ان عليك ان ترخي قدميك وتركز عليهما حتى تشعر بارتخائهما٠ بعد ذلك تتابع عملك بتؤدة فترخي كاحليك فربلتيك ففخذيك فردفيك فبطنك فصدرك فيديك فذراعيك فكتفيك فرقبتك فوجهك (ينبغي أن يزداد ثقل جفونك باطراد حتى تطبق إطباقاً تاماً وأن يميل رأسك بلطف الى الامام٠)

توقف عن العد وقل في نفسك إن عليك أن تسترخي استرخاء كاملا تمهيداً لدخولك في غيبة٠

٢٠ تعميق التنويم٠ إن معظم الاختصاصيين بالتنويم المغنطيسي يعلمون طلابهم تعميق الغيبة بتغيير الوسيلة المعتمدة في الطور الاول٠ فبعضهم يدعو الى تكرار كلمة بعينها أو رقم بعينه فيما يرى ممارس التنويم المغنطيسي الذاتي الكلمة أو الرقم بعين عقله٠ وينصح بعضهم الآخر بتخيل مشهد يمنح شعوراً بالسلام والعزلة٠ وفي ما يأتي مثال على ذلك:

تخيل نفسك في فناء بناء حديث محاطاً بالحوانيت والناس٠ ثم تخيل أنك تطأ السلم الكهربائية فتحس أنك تنزل ببطء الى الطبقة السفلى حيث يهدأ الضجيج وتخفت الاضواء ويخلو المكان من الناس فتشعر بقوة تجرفك فتغوص في تجربتك وتعمقها على النحو الذي تريد٠

٣٠ الايحاء٠ في هذا الطور تبدي لنفسك ايحاءات ذاتية ويمكنك أن تكرر التعبير عن هدفك بالكلام أو أن تواجه نفسك بأمور تعلم صوابها وتعلم أنك كنت عاجزاً عن التزامها٠ ويمكنك أن تتخيل نفسك جهد المستطاع تشاهد ما يروقك وتفعل ما يحلو لك٠ وفي ما يأتي مثال على أن الايحاء الذاتي قد يفلح في مساعدة من يريد تخفيف وزنه:

تخيل أنك تنظر في المرآة فترى شخصاً جديداً تعجب بمظهره، ثم قل

في نفسك: "سوف أشعر بمزيد من الحيوية كلما بات وزني أقرب الى المثال. ولن أشعر بالجوع عندما أدرك حاجات جسمي الحقيقية. وسوف أُسَرّ بمنظري وأكون فخوراً بالسيطرة على شؤون حياتي."

٤. الخروج من الغيبة. على رغم كون الخروج من الغيبة لا يعد في الغالب أمراً عسيراً فان معظم الخبراء ينصحونك بالاستعداد لهذا الأمر. فاذا لم تكن تستعمل شريطاً مسجلا، فيمكنك الاستعانة بساعة منبهة مخافة أن يغلبك النوم. وإليك إحدى الوسائل المعتمدة للخروج من الغيبة:

"فيما أنا أعد على مهل من واحد الى خمسة سوف أخرج من غيبتي منتعشاً واعياً قادراً على تحقيق ما أصبو إليه. في البداية أشعر أن عضلات جسمي عادت الى الحركة. ثم أبدأ وعي الاصوات التي تتردد حولي. وبعد ذلك أرفع رأسي وألاحظ أن وعيي آخذ في الازدياد. وأخيراً أفتح عينيّ وأحس بالراحة."

في المرات القليلة الاولى التي تمارس التنويم المغنطيسي الذاتي قد ينتابك شعور بأنه ليس عظيم الجدوى. غير أن اكتساب هذه المهارة يحتاج الى حافز ذاتي وصبر وتمرين مستمر. فاذا أنا مثلا لم أثابر على ممارسة التنويم المغنطيسي للوصول الى ما أبتغيه، أكون أضعت فرصة تغيير نفسي الى شخص آخر. وأنا في الواقع أود أن أحرز تقدماً في عدد من الأمور. وأرجو أن يقول أصدقائي في السنة المقبلة عندما أتحدث أو أرقص أو أركض أو ألعب بكرة المضرب: "هذا مدهش! فكيف أمكنك إنجازه؟"

■ مورتون هنت

حطبنا اليومي

زار شاب منجّماً متقدماً في السن في ولاية ألاسكا الامريكية، فرآه، على رغم بحبوحته المادية، يعيش في منزل ريفي ويستخدم منشاراً خشبياً قديماً لقطع الاشجار.

وبعد القاء التحية قال الزائر: "لماذا لا تشتري لنفسك منشاراً عصرياً؟ عندئذ تستطيع قطع عشرةأضعاف هذا العدد من الاشجار في نصف الوقت."

فهز العجوز رأسه كمن يعلم، وأجاب: "هذا صحيح يا بنيّ. ولكن من قال لك اني أحتاج الى هذا العدد كله من الاشجار؟"

ن.ب.

مرح الملكة

يروي الممثل بيتر اوستينوف أن الملكة البريطانية الأم اليزابيت تتمتع بروح مرح قوية. فهي تقدم قطع الحلوى الى زوارها، وبينما أفواههم ملأى بالكاراميل الدبقة تطرح سؤالا كالآتي: "ما رأيك في الشاعر ت.اس. إليوت؟"

ن.ب.س.

ان حولنا وفوقنا وتحتنا وداخلنا عجائب "أعجب" من السبع الاسطورية القديمة

عجائب سبع

وقبل امد قريب طلب مني ان ادرج في لائحة ما اعتبره العجائب السبع في العالم المعاصر بدلا من العجائب القديمة التي تخطاها الزمن. وأعياني الجواب فورا. لكن الفكرة ظلت كامنة في احدى زوايا ذهني. كان عليّ ان أبحث عن العجائب القديمة، حدائق بابل المعلقة وسواها، وبعد ذلك التمعن في كلمة "أعجوبة" للتأكد من اني استوعبها تماماً.

الاعجوبة، او العجيبة، تحمل خليطاً من المعاني. انها شيء مدهش او معجزة أو شيء يثير الاستغراب أو يطرح تساؤلات تتعذر الاجابة عنها حتى ليقول المراقب: "اني أعجب من هذا."

واخيراً عزمت على اعداد هذه اللائحة: سبعة أشياء تثير اعجابي أكثر من أي شيء آخر. وسأبقي الاعجوبة الاولى للختام وأعرض عجائبي هكذا:

الأعجوبة الثانية – هي نوع من

Dudley Foster/Woods Hole Oceanographic Institution

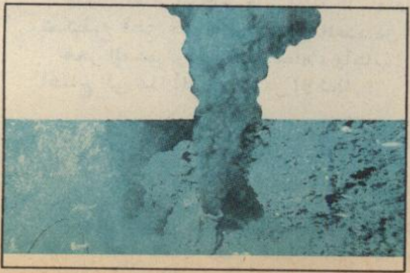

عمود ماء من "مدخنة سوداء" في قاع المحيط الهادىء.

Condensed from «Late Night Thoughts on Listening to Mahler's Ninth Symphony,» copyright (c)1980, 1981, 1982, 1983 by Lewis Thomas, published by The Viking Press, New York, N.Y.

البكتيريا لم ير على الارض قط حتى العام ١٩٨٢. انها كائنات خارجة من جوف الارض الساخن الذي لا يمكن أن تقوم فيه حياة. مثل هذه الأماكن برزت حديثا الى المشاهدة العلمية من طريق غواصات الاستقصاء التي صممت لكي تغور الى عمق ٢٥٠٠ متر الى حافات الثقوب العميقة في قاع اليم. هذه الفتحات تقذف بمياه البحر وهي على درجة فائقة من السخونة في شكل أعمدة من خلال "مداخن" في قشرة الارض دعيت "المداخن السوداء". ليست هذه مياهاً بالغة السخونة فحسب، ولا حتى بخاراً مضغوطاً كالذي نجده في مراجل التعقيم في المختبرات، بل هي مياه حارة جداً تحت ضغط عال تفوق حرارتها ٣٠٠ درجة مئوية.

في هذه الدرجة من الحرارة لا يمكن تصور وجود حياة. فالبروتينات والحامض النووي «DNA» تتفتت والانزيمات (الخمائر) تذوب. وكنا قبل أمد بعيد استبعدنا نهائيا امكان وجود حياة على سطح كوكب الزهرة لأن حرارته مماثلة لهذه، كذلك استبعدنا امكان وجود حياة في كوكبنا في مراحل عمره المبكرة قبل أربعة مليارات سنة للسبب عينه.

ولكن اليوم اكتشف عالما أعماق البحار جون باروس وجودي ديمنغ مستعمرات مزدهرة اعتقدا انها لبكتيريا (سواهما من العلماء لا يزالون غير واثقين) في مياه استخرجت مباشرة من هذه الفجوات في قاع البحر العميق. وحين انتشلت هذه الكائنات وحبست في غرف مضغوطة تبلغ حرارتها ٢٥٠ درجة مئوية، لم تقوَ على البقاء حية فحسب، بل تكاثرت على نحو سريع، وأمكن قتلها من طريق تبريدها... في الماء الغالي.

وتبدو هذه شبيهة تماما بالبكتيريا المألوفة. وأظهر المجهر الالكتروني

Richard Carlton/Photo Researchers

ان لها التركيب الاساسي نفسه. واذا كانت هذه، كما يعتقد الآن، هي البكتيريا الخارقة التي تحدرنا منها جميعا، فيبقى ثمة سؤال واحد طاغ: كيف استطاعت هذه، أو تلك التي تحدرنا منها، أن تتعلم كيف تبرد نفسها؟ لا أقوى على تصور الجواب العجيب.

الاعجوبة الثالثة-هي الأونسيدر. هذا النوع من الخنافس ليس جديدا لكنه يستحق أن يعتبر أعجوبة معاصرة بسبب ما أثاره من تساؤلات حديثة بين علماء النشوء والارتقاء عن ثلاث أفكار متتابعة تقفز الى ذهن الانثى من هذه الفصيلة. الفكرة الاولى التي تتبادر الى ذهنها هي شجرة الميموزا التي تجدها فتتسلقها متجاهلة كل ما عداها من أشجار. الفكرة الثانية التي

تراود تلك الانثى هي وضع بيضها، فتضعه على أملود أخضر بعد أن تشق فيه اخدودا طوليا مستخدمة فكها الاسفل ثم تودع بيضها تحت اللحاء في الشق. الفكرة الثالثة والاخيرة تتعلق بسلامة نسلها. فيرقات الخنفساء لا تقوى على العيش في الخشب الحي، لذلك تتراجع الانثى مسافة ٣٠ سنتيمترا أو نحو ذلك فتشق أخدوداً آخر دائرياً يحيق بالاملود كله، ويستغرق هذا العمل جهد ثماني ساعات وتنجزه باتقان نجار بارع.

ييبس الاملود الاخضر ابتداء من هذا الاخدود ويسقط الى الارض مع أول نسمة. فتتغذى اليرقات وتنمو لتكون الجيل التالي. والاسئلة ترقد هنا ولا نجد لها أجوبة.

كيف تبرز هذه الافكار الثلاث المتصلة في تطور حياة الخنفساء؟ هل هذا تصرف لا واع أم يمكن ان يحوي دماغ هذه الخنفساء أفكاراً وومضات من الوعي تماما كما هو الامر عندنا؟ ثمة ثلاث أفكار مجهرية تنطلق في دماغها ودائما في الترتيب عينه. ثم كيف دخلت الميموزا اطار هذا التطور؟

اذا تركت شجرة الميموزا من دون تشذيب فانها تعيش بين ٢٥و٣٠ سنة. أما اذا شذبت كل سنة، وهذا ما تفعله بها الخنافس، فانها قد تزدهر قرناً كاملا. والعلاقة بين شجرة الميموزا والخنفساء هي مثال جميل للتكافل الحياتي. وانه لجميل حقاً أن نجد حولنا مثل هذه الحشرة وشريكتها الشجرة، لأنهما تذكراننا دوماً بضآلة معرفتنا بأسرار الطبيعة.

الأعجوبة الرابعة - هي فيروس "الحكاك" الذي يصيب الحيوانات فيجعلها تحك جلدها بالاجسام الصلبة ويسبب وباء دماغيا قاتلا في الخراف والماعز وبضعة حيوانات مخبرية. هذا الفيروس، مهما كان شأنه، يتكاثر بغزارة، فيبدأ بوحدات قليلة اليوم ليفضي الى أكثر من مليار في السنة المقبلة. ولقد استعملت عبارة "مهما كان شأنه" لأن أحداً من الناس لم يتمكن الى الآن من اكتشاف أي عامل وراثي فيه (الحامض النووي «DNA» أو «RNA»). قد تكون العوامل الوراثية موجودة، ولكن اذا وجدت فهي بمقادير أصغر من أن يعثر عليها. وفي الوقت نفسه ثمة مقدار وافر من البروتيين الامر الذي يقودنا الى افتراض جدي هو أن هذا الفيروس يمكن أن يكون كله من البروتيين. بيد ان البروتيين، بحسب ما نعرفه، لا يتناسخ، على الاقل ليس على سطح كوكبنا. واذا نظرنا من هذه الزاوية، فان هذا الفيروس يعتبر أغرب شيء في علم الحياة.

الاعجوبة الخامسة - هي خلايا حاسة الشم التي يوجد منها الالوف في

Philipa Scott/Photo Researchers

الانسجة السطحية في المنخرين، تشم الهواء بحثاً عن آثار تكشف عن البيئة وأريج الاصدقاء ورائحة دخان أو طعام أو وردة. والخلية التي تفعل كل هذا، فتطلق انذارات الى الأجزاء العميقة في الدماغ وتحرك حافظة ذكريات غريبة لا يدرك كنهها وتشغلها واحدة بعد أخرى، هي خلية دماغية امتدت الى الخارج في الهواء الطلق تتشمم العالم حولها. كيف يمكنها أن تشعرك بما تتحسسه؟ ان قدرتها على التمييز دونما خطأ بين رائحة الياسمين ورائحة الفل تبقى سراً خفياً من أسرار بيولوجيا الاعصاب.

الأعجوبة السادسة – وهنا أتردد في القول، هي النملة البيضاء. هذه المرة ليست حشرة واحدة هي الاعجوبة بل المجموعة منها. وليس ثمة ما هو غريب في نملة واحدة. كما ان نملتين أو ثلاثاً معاً ليست أفضل حالا. ولكن حين تبلغ المجموعة عدداً معيناً تبدأ الاعجوبة في الظهور.

تنتظم هذه الحشرات في فيالق كأنها تلقت أمراً غريباً. وتأخذ في تكديس حبيبات صغيرة حتى ارتفاع محدد بدقة عجيبة ثم تلويها في شكل قناطر لتصل الاعمدة بعضها ببعض مشيدة منها صرحاً ذا حجرات تقضي الجماعة حياتها داخله أجيالا بعد اجيال، ويكون مكيف الهواء ومحدد الرطوبة وفقاً لخطة فطرية كامنة في الخواص الوراثية التي لا تختل، مع أنها حشرات عمياء كلياً. انها ليست مجموعة كثيفة من حشرات فرادى كما تبدو، بل هي جهاز عضوي متكامل ودماغ مفكر ومتأمل يقوم على ملايين القوائم.

انه سر غامض لا يسعك الا أن تبتسم عجباً لمرآه.

الأعجوبة السابعة – هي الطفل البشري، أي طفل. طالما عجبت من الطفولة ومن تطور نوعنا. قد يبدو من الاسراف اهدار كل هذه الطاقة على تلك الفترة الطويلة من الحياة الواهنة – التي تبلغ سدس عمر الانسان – من دون أن نفيد منها في المعنى البيولوجي سوى اللذة العابثة غير المسؤولة في كوننا أطفالا. لماذا لم يسمح لنا التطور بان نقفز فوراً، كما تفعل القطط من مرحلة الطفولة الى البلوغ ومرحلة الحياة المنتجة؟

لقد نسيت أمر اللغة، وهي الخاصة الفريدة التي تميزنا كجنس بشري وتضمن بقاءنا أكثر الكائنات على سطح الارض تعلقاً بالمجتمع عاطفياً وفطرياً. اني نسيت ماذا يفعل الاطفال في طفولتهم... لقد وجدت الطفولة من اجل اكتساب اللغة.

فلنعد الآن الى **الاعجوبة الاولى**،

Phoebe Dunn

وهي ببساطة هذا المكان الذي نعيش فيه. من بين جميع الاجرام الفلكية ضمن مدى رؤيتنا يتبين أن الجرم الاغرب والاكثر غموضا هو كوكبنا، الارض.

انها نظام حياة، جهاز عضوي لا يزال يتطور وينظم نفسه ويصنع الاوكسيجين ويحافظ على حرارته ويبقي أجزاءه الحية اللامحدودة متصلة بعضها ببعض ومستقلة بعضها عن بعض، بما في ذلك نحن البشر. يمكنها أن تبقينا على يقظة وابتهاج في تساؤلاتنا لملايين السنين المقبلة اذا تعلمنا كيف نمتنع عن تشويش عملها وتدميرها. أملنا الكبير يكمن في كوننا النوع الحديث العهد على سطحها وفي أننا نفكر في اللغة ونواصل التعلم والنمو.

ان خصائصنا الوراثية مبرمجة على نحو يختلف عن الحشرات التي تعيش في جماعات، وليس فقط لمواجهة الخيار المزدوج في "أن نكون أو لا نكون." ففي مقدورنا ان نتعامل بأربعة خيارات في آن: نكون، لا نكون، قد نكون، فلنحاول أن نكون. لا ريب أننا سنعثر على ما يدهشنا، وتنكشف المدهشات واحدة بعد أخرى اذا واصلنا العمل. يمكننا أن نشيد بناء للمجتمع البشري لم يعرف من قبل ونفكر في أشياء لم تخطر في بال ونضع موسيقى لم تسمع أبداً.

كل هذا مشروط بألا نقضي على أنفسنا.

في هذه المرحلة المبكرة من تطورنا، أهم ما يحتاج اليه نوعنا البشري هو، ببساطة، مستقبل يتطلع اليه.

■ **لويس توماس**

الرئيس الفخري لمركز سلون - كيترينغ التذكاري للسرطان، ومؤلف "حيوات خلية" و"الحلزون ورئة البحر" و"العلم الأحدث: ملاحظات مراقب طبي".

رينولدز وايستوود

لا يزال الممثل الامريكي برت رينولدز يتذكر يوم استغنت شركة "يونيفرسال" للانتاج السينمائي عن خدماته وخدمات زميله كلينت ايستوود:

"قيل لي اني لا استطيع التمثيل. أما كلينت فقيل له انه بطيء الكلام وان عقدة حنجرته ناتئة كثيراً. وفيما كل منا يتجه نحو سيارته، بقي كلينت كعادته صامتاً. وأخيراً قطعتُ حبل الصمت لأقول له: "المشكلة تعنيك اكثر مما تعنيني. ففي امكاني متابعة دورة خاصة في فن التمثيل. أما انت فلن تستطيع استئصال ذلك الجزء النافر من عنقك."

صحيفة "نيوز داي"

القيادة في الظل

خلال عطلته في جزيرة مالطا لاحظ أخي فوضى السير في الشوارع. ولما سأل مدير الفندق عن السبب اجابه: "في بعض البلدان يقود الناس سياراتهم على اليمين، وفي بلدان اخرى على اليسار. لكننا هنا نحب قيادة سياراتنا في الظل."

ش.ر.

حكايات من العالم

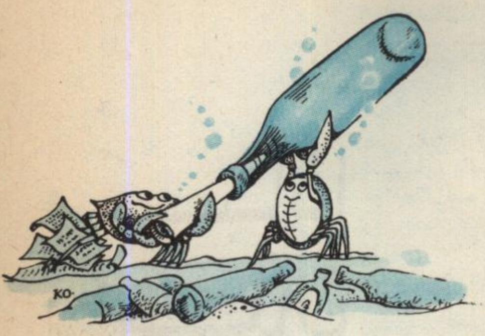

منزل الاشباح

ذلك "المنزل" الواقع في الرقم ٢٣ من شارع "لنستر غاردنز" في لندن يبدو كبقية المنازل عن يمينه ويساره. لكنّ الواقع ليس هكذا. فالمنزل لا باب له ولا علبة بريد. ولا يطل أي رأس من نوافذه. والالوف الذين يعبرون أمامه يومياً لا يدركون أنه صورة بيت، وليس بيتاً حقيقياً.

و"المنزل" أبتكره مكتب المواصلات في لندن لكي يستر مدخلا الى محطة قطار تحت الارض، لئلا يشوه هذا المدخل منظر البيوت الاخرى. وهو ليس الا واجهة منزل قديم أبقيت أبوابه ونوافذه وشرفاته.

ن.ل.ب.

الحكمة الالمانية

ان احداث المانيا الغربية الذين يستنكفون عن مساعدة ذويهم في شؤون المنزل يكسرون قانوناً عمره مئة سنة. وقد اصدر قاض في بلدة برول الالمانية القرار الآتي: "اذا رفض ولد مساعدة والديه، ففي امكانهما ارغامه على ذلك بالمحكمة". ويضيف القاضي ان في امكان الأهل طلب هذه الامور، حسب سن الولد:

□ حتى السادسة: لا واجبات عليه.

□ بين السادسة والعاشرة: المشاركة احياناً في سيف الأواني وترتيب المنزل والتبضّع.

□ بين العاشرة والرابعة عشرة: جزّ العشب في الحديقة، تنظيف الأواني والمنزل، مسح الأحذية (بما فيها احذية الأهل).

□ بين الرابعة عشرة والسادسة عشرة: غسل السيارة والعناية بالحديقة.

□ بين السادسة عشرة والثامنة عشرة: تنظيف المنزل الاسبوعي اذا كان الأبوان يعملان.

صحيفة "ديلي اكسبرس"، لندن

مغاور ريو دي جانيرو

هل تعلم ان مدينة ريو دي جانيرو البرازيلية تقع في مهد بركان قديم خامد؟

لقد أكتشف عالم الآثار كارلوس مانيس بانديرا عدداً مذهلا من المغاور تحت تلك المدينة الشهيرة يجهل وجودها كثير من السكان. وهناك كهوف كبيرة يبلغ ارتفاعها أربعين متراً، ونهر جوفي ينتهي على هيئة شلال ضخم، ومغارة كبيرة خضراء يكسوها الطحلب.

وعدد الكهوف في ريو دي جانيرو هو ٨٤، وكلها سهلة البلوغ. وفي رأي بانديرا ان الدعاية المدروسة لهذه الامكنة من شأنها ان تجتذب اعداداً هائلة من السياح.

ر.م.س.

ماذا تفعلين إذا فقدتِ جنينًا؟

مع نموّ الجنين في أحشاء الام يكوّن والداه احلاماً كثيرة حوله ويغدقان عليه حبهما كله. ومع ولادته تتفتح الاحلام ويزهر الحب. أما اذا مات جنيناً او ولد ميتاً أو قضى بعد الولادة، فالعديد من الاشخاص غير المعنيين يظنون انه نُسي الى الابد. ويظنون انهم يعزون الوالدين بقولهم: "لقد حصل ما حصل لخيركما. وفي الامكان ان يولد لكما طفل آخر." والحق ان الوالدين المفجوعين يعانيان عذاباً أليماً كما يحصل اثر اي وفاة. وهنا قصة والدين اختبرا هذه المحنة وخرجا منها اقوى.

بقيت ساندي غريلي (٣٠ عاماً) الحامل منذ ثمانية أشهر في سريرها بعدما أفاقت في الصباح الباكر وقد جمد الخوف أوصالها. وكانت في فترة مخاضها، غير ان الطلق لم يكن من الالحاح بحيث يحتم الاسراع بها الى المستشفى. لذلك آثرت الانتظار في منزل العائلة المبني بالآجرّ في احدى ضواحي مدينة سانت لويس في ولاية ميسوري الامريكية. والذي حداها على الانتظار لم يكن اشارات الطلق وحدها، لكنها شاءت أن تحسّ حركة الجنين في أحشائها. وقد أطلقت ساندي وزوجها اسم "ديريك" على الجنين بعدما عرفا قبل أشهر انه ذكر.

ولم تحسّ ساندي حراك ديريك داخلها بعد حادث السيارة الطفيف الذي تعرّضت له قبل ثماني ساعات. وعلى رغم ان الاطباء الذين فحصوا ساندي في غرفة الطوارىء سمعوا دقات قلب الطفل فانها لم تستطع التحرر من القلق. وراحت تدلك معدتها وتقول: "أرجوك يا ديريك ان تتحرّك... أرجوك ان تفعل شيئاً."

وأخيراً أيقظت زوجها جيم وبادرته: "ثمة خطأ في الامر. دعنا نذهب الى المستشفى."

وكان الدكتور فريد جونسون طبيب ساندي في انتظارهما. وراح يحرّك المسماع ببطء، على بطن ساندي. وأخيراً نظر اليها وقال: "آسف لما حصل." لقد مات الجنين.

حصل ذلك يوم الجمعة في ٦ اغسطس (آب) ١٩٧٦، قبل شهر ويومين من موعد الولادة المنتظر. وكان الزوجان ينتظران ولادة ذلك الطفل بصبر نافد. ولكن بعد موته قررا ألاّ يكون لهما أولاد، اذ لم يشاءا التعرّض لخبرة أليمة مرة ثالثة. وهما ذاقا طعم المرارة للمرة الاولى بعد اجهاض ساندي قبل سنتين. ولكن بدا أن أحداً لم يعرف تماماً معنى ذلك الجنين بالنسبة اليهما والالم الذي خلفه فقده. حتى أفراد العائلة قالوا لهما: "المسألة لا تتعدى الاجهاض. وسيكون لكما طفل آخر." لكنهما كانا يريدان ذلك الطفل بالذات، وليس طفلا آخر. ثم كان أن قضى ديريك أيضاً بعد انتظاره ثمانية أشهر. وتعانق جيم وساندي على سرير المستشفى وأجهشا بالبكاء.

ومن أجل صحة ساندي وحملها السليم في المستقبل أرتأى الدكتور جونسون أنه من الضروري ان تكمل فترة المخاض قبل مغادرتها المستشفى. وما ان توقفت تشنجات بطنها حتى سمح لها بالعودة الى البيت.

لما عاد آل غريلي الى منزلهما في وقت لاحق من ذلك الصباح انتابهما حزن شديد وهما يجتازان العتبة من غير ديريك. وبدأت المهمة العسيرة، وهي اخبار الاهل والاصدقاء بما حصل. ورأى جيم جارتهما جانيت ويتناور تنشر غسيلها على الحبال، فدنا من حديقتها وقال باكياً: "لقد مات الطفل." وأتت جانيت لتعزية ساندي عصراً، وقالت لها: "بعض نساء الجمعية التي أنتمي اليها فقدنَ طفلا كما حدث لكِ. وشكّلن

رابطة هدفها ان تمدّ احداهنّ يد العون الى رفيقتها. فهل تودين الكلام الى احداهنّ؟"

ودهشت ساندي. فهي كانت تعرف أن جانيت عضو فعال في نادي الانقاذ التابع لجمعية سيدات سانت لويس والذي يجمع التبرعات لمساعدة المواليد الجدد من ذوي الامراض الخطرة. لكنها لم تسمع من قبل بجمعية "آمند" وهدفها اعانة الامهات اللواتي فقدن مولوداً جديداً. ولا بد من ان يقدر مشاعر المرء من اختبر حالا كحاله.

ورنّ الهاتف في منزل ساندي مساء ذلك اليوم نفسه: "هنا جودي كونستانتينو. لقد فقدت طفلا أنا أيضاً، وتلقيت تدريباً على مساعدة الامهات اللواتي يختبرن الاجهاض أو فقد وليد جديد أو اختناق الجنين داخل الرحم كما حصل لكِ."

وضربت لها ساندي موعداً يوم الاثنين. غير ان الزيارة أُجلت حين دخلت السيدة غريلي طور المخاض مساء الاحد. وأُخرج ديريك ميتاً من بطن أمه صباح اليوم التالي، الا أن أياً من والديه لم يَرَه. واكتفت ساندي برسم صورته في ذهنها كطفل أشقر ممتلىء الجسم، وتاقت ذراعاها الى حمله.

وأتت جودي، وهي أم صبيَّيْن صغيرين، للزيارة يوم الاثنين التالي. وبادرتها ساندي بالسؤال عن وفاة طفلها. وروت جودي قصتها ثم أضافت: "ان كل خبرة تبقى قائمة في ذاتها. ومع اننا نختبر أحاسيس متشابهة، الا ان كلا منا تنفعل بطريقتها الخاصة... أخبريني أنتِ عن طفلك: كيف مات؟"

- الاطباء لم يعرفوا السبب بالضبط. غير اني تعرّضتُ لحادث سيارة بتّ أعزو السبب اليه. وهكذا أكون أنا قتلتُ ديريك...

"اني متأكدة من أن الخطأ ليس خطأك. أما قلتِ ان الاطباء سمعوا خفق قَلبه بعد الحَادث؟ وربما كوّنوا فكرة أصح بعد فحص المشيمة. وأنا أنصحكِ بتدوين جميع الاسئلة التي تراودكِ وطرحها على الدكتور جونسون."

وقالت ساندي لنفسها: "يبدو أن جودي ليس لديها أي جواب عن أسئلتي. غير اني بدأت أشعر بشيء من التحسن. فهي تصغي حقاً الى ما أقول." وسألتها:

- متى يتوقف ألمي يا جودي؟ متى أكفّ عن البكاء؟

"مع الوقت. ولكن لا تنسي أنكِ فقدتِ انساناً مهماً جداً في حياتك. وفقده يستحقّ الغمّ، كما تستحقَه وفاة والد أو زوج. ولا تخشي أن تبوحي لزوجك بما تشعرين به. فهذا يساعدكِ كثيراً."

ما أنَ غادرت جودي حتى ذرفت ساندي دمعاً كثيراً وجدت بعده شيئاً من الراحة. وقد قالت لها جودي ان مشاعرها كلها من غضب وقنوط وغمّ ويأس وخوف أمور طبيعية. كما أخبرتها أن الحزن الذي تختبره هي وجيم سوف يزول مع الوقت، وربما ارتأيا أن يكون لهما ولد. لكنها وجدت تلك الفكرة مستحيلة قبل ساعتين.

وقالت لها جودي انها ربما استمدت بعض عزاء من زيارة ضريح ديريك. وحملت ساندي وجيم باقة أقحوان وضعاها على المقبرة في زيارتهما الاولى في شهر سبتمبر (أيلول). ووقفا هناك يبكيان، ثم طافا في أرجاء المقبرة وهما يقرآن التواريخ على كل ضريح. ووجدا في ذلك تعزية كبرى.

وبعد عودتهما من عيادة الدكتور جونسون الذي فحص ساندي في نهاية الاسابيع الستة بعد الحادث خابرت هذه جودي وقالت: "الطبيب لا يظن أن حادث السيارة كان سبب الوفاة. وفي رأيه ان أحاول الحمل من جديد، ولكن بعد اكتسابي القوة الكافية. ثم اني افكر في ديريك طوال الوقت. وليس في قلبي مكان لسواه حتى هذه اللحظة".

وانتسبت ساندي الى جمعية "آمند" التي غدت أهم شيء في حياتها. وتطوعت لتأدية الاعمال المكتبية. وكان ذلك أول عمل تمارسه بعد وفاة ديريك. وطمحت الى أن تصير مرشدة مثل جودي. ولكن عليها أولا ان تخرج من حزنها وتلد طفلا صحيحاً.

ومع الربيع غدت "أيام العذاب" أقل عدداً في حياة ساندي. الا أن الانفعالات كانت هناك تنتظر كلّ فرصة للبروز. وفي ابريل (نيسان) رافقت جيم الى ملعب كرة اليد حيث وقفت تراقبه. وبين الاطفال الذين أخذتهم أمهاتهم الى الملعب كان هناك ثلاثة ولدوا ذلك الشتاء. وطغى الالم عليها حين رأت ذلك، ومشت ببطء الى مكان آخر لتستجمع قواها، وفي وقت لاحق خابرت جودي وسألتها: "كم من الوقت سأبقى على هذه الحال؟".

- لنقل سنة. ولكن لا تنسي أنك ربما تذكرت ديريك بعد خمس سنوات، حين ترين الاطفال يتسلقون الحافلات التي تقلهم الى مدارس الحضانة.

في يونيو (حزيران) بدا العالم مختلفاً. فقد حملت ساندي من جديد. ودهش الجميع اذ جاء حملها خالياً من المشاكل. وفي ١٥ فبراير (شباط) ١٩٧٨ أبصرت فاليري غرينلي النور وهي تزن نحو ثلاثة كيلوغرامات.

وما ان أصبحت ساندي أماً حتى سجلت اسمها في عداد المتدربات في دورة "آمند" الصيفية. وخلال الحلقات الست التي أشرف عليها معالجون نفسيون مختصون - ومدة كل حلقة ثلاث ساعات - أنشأت ساندي روابط متينة مع المتدربات السبع الاخريات. وفيما هنّ يتبادلن الروايات الخاصة وما رافقها من انفعالات كشفت كل امرأة عن جرح لم تشفه الايام.

وعرفت ساندي ان الامهات الاخريات شاهدن أطفالهن وحملنهم وهم جثث هامدة. وودت بحرارة لو أنها كانت من القوة بحيث تستطيع رؤية ديريك ولمسه. وقالت لزميلاتها: "لو حصل شيء مماثل غداً، لكنتُ شاهدت الطفل. ويؤسفني أني لم أقل لذلك المسكين أهلا وسهلا أو وداعاً".

وفي بحث تناول الحزن أخبرت ساندي المجموعة أن جيم، بعد وفاة الطفل، كان يرفع سماعة الهاتف

ليسمع عن الخط الآخر: "كيف حال ساندي؟" ولم يسأله أحد قط عن حاله هو. وأضافت ساندي: "وذات مساء لم يستطع احتمال المزيد. ووضع سماعة الهاتف وراح يبكي قائلا ان الجميع يستفسرون عني"، لكن أحداً لا يكترث له ولا يدرك أنه الوالد المفجوع." وغدت تلك الرواية مضرب مثل في صفوف "آمند."

وبعد انتهاء تلك الدورة انضمت ساندي وزميلاتها الى دورة تدريبية أخرى تلتئم مرة في الشهر لبحث الامور مع معالجين نفسيين. ولما أكملت ساندي جلستين أتصلت بها مديرة الدورة مورين كونيلي وقالت: "هناك أم" يجب أن تساعديها."

وخافت ساندي كثيراً. لكنها كانت تتوق الى الاصغاء بعطف وتفهم كما أصغت اليها جودي وهي تصف محنتها. وخابرت ساندي صاحبة العلاقة وقالت لها: "اسمي ساندي غريلي، وقد أوكلت الي" آمند النظر في أمرك. لقد فقدت" طفلا أنا أيضاً. فهل لكِ ان تخبريني عن وفاة طفلك؟"

وفي السنوات الخمس التالية تولت ساندي إرشاد ١٣ أماً فُجعن بوفاة أطفالهن" بالاجهاض أو بعد الولادة. وهي اليوم أم لثلاث فتيات. فقد ولد لها بنتان بعد فاليري هما اميلي التي أبصرت النور في ٢٧ فبراير (شباط) ١٩٨٠ واليزابيت التي ولدت في ٣٠ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٢.

■ جودي رسمنسكي

لعب على الكلمات

فيما تلاميذ احدى المدارس يدخلون الصفوف، راحوا يتزاحمون بالمناكب. ومر" احدهم بالقرب من زميل وكاد ان يوقعه أرضاً. فصاح هذا، وهو ضعيف البنية ويضع نظارتين على عينيه: "كيف تجسر على هذا الأمر؟ ألا تعرف اني أجيد الجودو والكاراتيه و..."

واذ رأى ان زميله طويل وبدين وقوي البنية، اضاف: "وكلمتين او ثلاث كلمات اخرى من اللغة اليابانية؟"

ش.ن.

سؤال ناقص

تكونت لدى طالب جامعي قناعة بأن استاذ اللغة لا يقرأ المسابقات. ومرة كتب الملاحظة الآتية في وسط فرض له: "كم طناً من الخوخ يمكن جنيها من أرض بمساحة عشرة آلاف متر مربع مزروعة خوخاً؟"

وبعد ايام أعاد الاستاذ الفروض وقد وضع على تلك الورقة، الى جانب العلامة، هذه الملاحظة: "لم تذكر عدد اشجار الخوخ."

ب.ز.

نحوّل همسك صراخاً...

النهار العربي والدولي

إنطلاقاً مِن قناعتها بأنها مجلّة القارئ أولاً، تفتح النهار العربي والدولي صدر صفحاتها منبراً تستطيع أن تعرض آراءك مِن خلاله بحرية كاملة فتصبح، وأنت في موقعك، واحداً مِن محرريها.
عالج أيّ موضوع تشاء - في السياسة أو الاجتماع أو العلم أو الأدب أو الفن أو شوون المرأة وارسل مقالاتك (في ٣ أو ٤ صفحات بالآلة الكاتبة)، وأرفقها بصورتك إلى العنوان التالي:

صندوق البريد ١١٦٨٨ بيروت-لبنان P.O.BOX 11688 BEIRUT-LEBANON

صديق العمر

اشتركوا في المختار

الاسم :	NAME ....
العنوان :	ADDRESS ....
	....
المهنة :	PROFESSION ....
التوقيع :	SIGNATURE ....

الاسم :	NAME ....
العنوان :	ADDRESS ....
	....
المهنة :	PROFESSION ....
التوقيع :	SIGNATURE ....

تملأ القسيمة ـ بالعربية او الاجنبية ـ وترسل بالبريد الجوي المسجل (المضمون) مرفقة بشيك باسم "المختار من ريدرز دايجست" بقيمة ١٨ دولاراً، وهو بدل الاشتراك بـ١٢ عدداً لمدة سنة، الى العنوان الآتي:

بنك المشرق ش.م.ل.
ص.ب. ١٥٢٤
بيروت. لبنان

الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة:

اشتراك في مجلة "المختار".

مدرسة الحياة

من له صنعة يُعدّ ملاكاً

بنجامين فرانكلين

ليس من مطعم آخر يشبه "لو كوردون بلو" في بلدة براتلبورو في ولاية فيرمونت الامريكية. وهو يفتح يومين في الاسبوع، على امتداد خمسة أشهر في السنة. ويقتصر على تقديم وقعاته بين العاشرة والنصف صباحاً والأولى بعد الظهر. وهو لا يتوخى الربح، ويبدّل جميع موظفيه في منتصف كل وقعة. وتراوح وقعاته بين الكركند والديوك والخضَر المتقنة التحضير والشطائر، في مقابل أرخص الاثمان في المدينة.

ويشرف على هذا المطعم طلاب المركز المهني التابع لمدرسة الاتحاد الثانوية في براتلبورو. والمطعم جزء

الصف الخلفي: مارفن الكسندر (كهرباء)، توماس ماري (كوردون بلو)، اريكا كارلي (فنون تخطيطية)، ادوارد بيركينز (المدير المهني)، دورين غوثري (شرطة).
الصف الامامي: تود شيبي (عمارة) ومارتين فوريت (اطفاء).

Photo: Charles Storms

من برنامج مبتكر في التدريب المهني. وهذا النوع من التدريب ما زال، طوال عقود، يكوّن جانباً مهما من التربية الأمريكية. وهو أعدّ لخرّيجي المدارس الثانوية الذين لا يزمعون على دخول الجامعات. وفي العام ١٩٨٣ وحده بلغ عدد خريجي المدارس الأمريكية الثانوية الذين لم يدخلوا الجامعات مليوناً وأربعمئة ألف، أي ٥٠ في المئة من المتخرّجين. أما في براتلبورو، حيث يكثر ذوو الياقات الزرق أي العمال العاديون الذين لا يتجاوز دخلهم السنوي ١٧ ألف دولار، فقد بلغت تلك النسبة ٦٠ في المئة.

غير أن خريجي براتلبورو الثانويين هم أكثر استعداداً من سواهم للاقدام على التدريب المهني، وذلك للأسباب الآتية:

● يستمد الطلاب تدريبهم على فرض النظام من رجال الشرطة وعلى مكافحة الحريق من رجال الاطفاء. والتدريب يحصل أحياناً في الاماكن الاصلية، فيجمع بين الناحيتين التطبيقية والنظرية.

● ينظّم الطلاب برنامجاً للخدمات الانسانية باشراف اختصاصيين، ويقدّمون المساعدة الى المعاقين والمتقدمين في السن. كما يديرون حديقة أطفال ثلاثة أيام اسبوعياً، ويتقاضون عن كل طفل ستة دولارات في الاسبوع. وبعضهم يعاون المعلمين في المدرسة الابتدائية.

● ينجز طلاب العمارة كل سنتين بناء مسكن يحوي ثلاث غرف للنوم ويُباع بمبلغ يراوح بين ٤٠ ألف دولار و٦٠ ألفاً. ويتم البناء وفقاً للتصاميم التي يضعها طلاب الهندسة المعمارية وعلم الحدائق والكهرباء والحدادة والنجارة.

● يدير طلاب التجارة شركة ورق وهمية برأسمال مشترك تبلغ قيمته مليون دولار. ويعقدون صفقات شرائية ويعدّون قائمة بالموجودات ويهتمون بالمراسلة ويشحنون البضائع ويدققون في الحسابات. ومع نهاية كل فصل يتبين ربح الشركة من خسارتها.

العقل المدبّر - يقول وليم دينن مدير برنامج التدريب المهني حالياً: "إنه برنامج جماعي بكل معنى الكلمة. ونحن نريد لهؤلاء الأحداث أن يتعلموا كيف يصبحون جزءاً من مجتمعهم ويضيفون إنجازهم إليه."

وهذا البرنامج أبصر النور عام ١٩٦٥ بتمويل رسمي من عمدة المدينة. وباشرت المدرسة الثانوية حينئذ ثلاث مواد مهنية هي إصلاح السيارات والطباعة والزراعة، ووضعتها في تصرف التلاميذ الذين لا رغبة لديهم في متابعة الدروس العادية. وكانت النظرة العامة تجعل من التعليم المهني موضوع سخرية. وذلك أغاظ ادوارد بيركينز الذي استهل تعليم الزراعة عام ١٩٦١. وفي رأيه أن البرنامج المهني الصحيح من شأنه أن يفيد جميع الطلاب، حتى اولئك الذين يعتزمون دخول الجامعة. لذلك حثّ إدارة المدرسة على توسيع البرنامج المهني وتخصيص مبنى مستقلّ له. لكن الكثيرين من أولي

الأمر وجدوا أن الموازنة تجاوزت حدودها المعقولة.

وأوكل بيركينز الى نفسه مهمة العقل المدبّر، وانطلق يتصل بكبار رجال الاعمال وأصحاب الكلمة في المنطقة، وراح يخطب في الكنائس والتجمعات المدنية حول ذلك الأمر. ومرة قال لأعضاء نادي الروتاري: "اسمعوا! إني لا أكلمكم في المطلق، بل أتكلم عن أولادكم وعمالكم وزبائنكم اليوم وغداً." وأخيراً أثمرت جهود بيركينز وتأسس المركز المهني الذي سعى إليه وعين مديراً له.

وبعدما كان الانتساب وقفاً على الطلاب الذين قرروا عدم دخول الجامعة، أقنع بيركينز إدارة المدرسة بفتح الباب أمام طلاب الصفوف الثانوية العليا جميعاً. واليوم نجد ٨٥ في المئة من تلاميذ الصف الثانوي الأخير يأخذون موضوعاً مهنياً واحداً على الأقل". وهناك كثيرون يأخذون بضعة مواضيع.

وغدت مدرسة براتلبورو الثانوية قبلة المربين من جميع أنحاء الولايات المتحدة، يزورونها ليروا عن كثب كيف نجحت في الجمع بين التعليم الأكاديمي والتدريب المهني، ثم يحاولون إضافة برامج مماثلة الى مؤسساتهم. وفي صفوف براتلبورو المهنية اليوم ٦٣٠ تلميذاً، وثلث هؤلاء على الأقل قرّر الالتحاق بالجامعة.

ومنذ البداية كان سرّ نجاح البرنامج الاهتمام الذي لقيه في أوساط المدينة كلها. وقد خصصت بعض المؤسسات منحاً للراغبين في الدراسة هناك. واختير مجلس الامناء من مختلف أوساط المدينة المهنية. ويقول دينن، الذي خلف بيركينز خريف ١٩٨٣ بعدما كان معاوناً له طوال سبع سنوات: "هذا التدبير يجعل من رجالات البلدة شركاء في ما نفعل."

ومن أمناء المؤسسة الاثنين والعشرين متعهد بناء قبل أن يتدرّب تلاميذ البناء في مشاريعه المختلفة. وهو يراقب عملهم ويمنحهم العلامات. وقد وظف الكثير من المتخرّجين لديه. وهو يقول: "عندما كنتُ في سنهم كانت معارفي المهنية أدنى من معارفهم بمقدار ثلاث سنوات."

ربح حقيقي - الواقع أن المدرّبين يحملون خبرتهم وحماستهم الى الموادّ المختلفة. ومن أفضل الأمثلة على ما نقول بوب لانو الذي يرئس برنامج مطعم "كوردون بلو". وإذا مرّ أحدهم أمام مطبخه قبل فتح المطعم تناهت الى سمعه كلماته الواثقة والمرحة في آن. ومرة قال: "لحم الضأن؟ إنه ينطوي على مقدار كبير من المال. ولكن يجب أن تعرفوا ما تفعلون به." وفي تلك الاثناء كان واحد وثلاثون تلميذاً يتحلقون حول جزّار في غرفة اللحوم، حيث بسط لانو أمامه قائمة الوجبات الخاصة بذلك اليوم. وراح يكشف أمام تلاميذه أسرار إعداد اللحم على نحو يسيل اللعاب.

وأتى لانو على أصناف القائمة واحداً واحداً، من حيث طهوها

وتحضيرها وتقديمها. وبعد صمت قصير أضاف: "أما مدير المائدة لهذا اليوم فهو...بيكي."

وشاع الابتسام على وجه بيكي سو آمدن حين وضع لانو على رأسها القبعة الطويلة البيضاء التي تميز مدير المائدة. وهذا التتويج يجرى يومياً، وينتظره لانو وطلابه بفارغ الصبر.

ويرتدي موظفو المطبخ، وقد وفدوا لتوّهم من صفوف الجبر والهندسة واللغة الفرنسية، سترات بيضاء. وتبدّل الطالبات اللواتي يؤدّين دور النادلات سراويلهن الجينز ليرتدين بزّات موحّدة. وفي الخارج، في غرفة الطعام، تملأ الموسيقى الخفيفة أرجاء القاعة. ويوضع على كل طاولة شمعدان بعد وضع الغطاء والمناديل. ويبدأ وفود الزبائن منذ العاشرة والنصف صباحاً، وهم من الأساتذة والتلاميذ والزوّار.

وفي الحادية عشرة والدقيقة العشرين يدقّ الجرس معلناً نهاية حصة وبداية اخرى. وتهرع مجموعة جديدة الى أخذ البرانس البيض من أفراد المجموعة الاولى الذين يتوجّهون الى صفوف اللغة الانكليزية أو التاريخ. ويجري هذا التسليم والتسلم من غير ملاحظة الزبائن. وكل ما يعرفونه أن النادلة التي تخدمهم الآن لم تكن هناك من قبل.

ويكتفي لانو بدور المراقب إلا إذا نشأت مشكلة. ويقوّم إنجاز كل طالب، ويقدم ملاحظاته في اليوم التالي. ويلقَّن الطلاب تحضير ٣٥ نوعاً من الحساء و١٧ نوعاً من الكعك المحلى. كما يُلَقَّنون شراء اللحوم وتحضيرها وطبخها وتقديمها، مع التركيز على التوابل التي تلائم كل طبق. ويشمل تدريبهم مسك الدفاتر والتدقيق الاسبوعي في الحسابات.

وتجدر الاشارة الى أن الأرباح التي يجمعها المطعم تغطي نفقات البرنامج. وهذا يصحّ على بعض الموادّ الاخرى، ومنها البناء. والربح يخلق حافزاً لدى الطلاب على التقدم في أعمالهم.

مفاجآت حياتية – قبل سنتين أحدثت معلمة التدبير المنزلي نانسي فينك برنامجاً لتدريب التلاميذ على الحياة في العالم. والتدريب يتمّ عبر توزيع الأدوار، ومنها "الزواج" و"الشراكة" و"تقاسُم المنزل" و"طلب الوظائف".

وطلب الوظائف، مثلا، يتجاوز التمثيل الى كونه حقيقة. فالطلاب يقدّمون طلبات حقيقية للعمل في شركات ضمن المدينة. ويقابلهم المسؤولون في تلك المؤسسات لمعرفة مؤهلاتهم والتفاوض على طبيعة العمل والراتب.

أما دور الزواج فيقوم على اكتشاف أهواء الآخر وطباعه واحتمال الانسجام معه. وهناك التدريب على الشراء ووضع موازنة للمصروف المنزلي ومعرفة حسنات التأمين على الحياة والممتلكات والحكمة في دفع الضرائب وشراء المنازل.

ويقول أحد التلاميذ: "سمعت عن ذلك الموضوع، ورغبتُ في التدرّب على الحياة الزوجية. واشتريت و"زوجتي" بيتاً يتسع لعائلتين. كما

اشترينا سيارة سباق وأشياء اخرى. وفي نهاية الاسبوع الثالث، بلغت ديوننا ٧٠ ألف دولار ولم نتمكن من دفع الفواتير. وحين قصصتُ على أمي تلك التمثيلية قالت ان الحياة الحقيقية هي هكذا تماماً."

ولا تخلو تلك المادّة من بعض المفاجآت التي يصادف المرء شبهاً لها في حياته، كأن يتلقى أحد الطلاب ملاحظة تقول: "لقد سَدَّدت ثمن سيارتك كله" أو: "لقد استغنينا عن خدماتك في مؤسَّستنا" أو: "ها أنت ربحت ٢٥ ألف دولار في سحب اليانصيب."

ويُلقَّن التلاميذ أن يعدّلوا مخطَّطاتهم ويتكيَّفوا وما يستجدّ في عالمهم. وأحياناً يكتشفون أموراً كانوا يجهلونها، كما فعل "الزوجان" اللذان وجدا أن الواحد منهما لا يوافق الآخر على الاطلاق. وقالت "الزوجة": "وجدنا أننا لا نتفق في شيء."

والعديد من الطلاب في ذلك الصف يتوصل الى رؤية حياة والديه الزوجية في ضوء جديد. وتقول إحدى الطالبات: "بفضل هذا الموضوع بتُّ أتحادث ووالدي في الشؤون العائلية أكثر مما كنا نفعل. وهذا يعزّز ثقتي بالمادّة التي أدرسها وبنفسي."

وبعد النجاح الذي أصابته مدرسة براتلبورو الثانوية في فرعها المهني، يأمل المدير دينن أن يفتح باب الانتساب للبالغين من خارج المدرسة أيضاً. وهو يقول: "في بلدتنا وولايتنا مشاريع جديدة وآلات جديدة يحتاج تشغيلها الى أناس مدرَّبين. وعلينا نحن أن ندرّبهم."

وربما كان أفضل شعار لتلك المؤسسة جملة بنجامين فرانلكين التي علقها ادوارد بيركينز في مكتبه محفورة على لوحة خشب: "من له صنعة يُعد ملاّكاً." وكل من يتخرّج في صفوف براتلبورو المهنية يدرك حقيقة ذلك القول.

■ آل مورغان

***

ضجة مستحبة

لم ابارح منزل والديّ قبل زواجي، وكنت أقدر موقفهما الايجابي من أصدقائي وحسن استقبالهما لهم. لكن امي كانت تعاني مشكلة أرق من وقت الى آخر. وذات صباح سألتها ان كان الصوت الذي أحدثته لدى عودتي في ساعة متقدمة من الليل ضايقها، فقالت: "كلا يا عزيزتي. الضجة لم تزعجني الليلة الفائتة، بل هو الصمت."

ا.و.

شاعر الخراف

كتب احد شعراء الاغاني قصيدة يتغنى فيها بشهر يونيو (حزيران) ويصف اندفاع الخراف الى التناسل. ولما أوضح له صديق غنام أنّ الجماع بين الخراف لا يتمّ في ذلك الشهر أجابه بالآتي: "ان ما تقوله عن الخراف قد يصحّ على معظم السنوات. لكنه ليس صحيحاً بالنسبة الى هذه السنة."

هـ.ف.

نساء اليوم تمزقهن الازدواجية، فهن عالقات
بين القديم والجديد، يشدهن الحنين يوماً
الى الماضي المنسوج في البيت ويوماً
الى المستقبل القائم على المهنة

نحن النساء

هـ

هناك انطباع في ذهني، صورة امرأة ـ هي انا ـ تنعم بحياة هادئة منظمة معطاء. أمضي أوقاتي في أعمال بسيطة غنية. أمد عجينة الفطيرة وأنسق الزهور في اناء من الخزف الابيض وأضع صورة عائلية جميلة في اطار لأعلقها على الحائط.

وعندما يعود أولادي من المدرسة نصنع الحلوى سوية ونعزف ألحاناً ثنائية على البيانو ثم نجلس الى طاولة المطبخ نأكل الفشار (البوب كورن) ونشرب الشوكولاتة الساخنة. أطفالي يثقون بي ويسألونني ان اخبرهم قصصاً عن طفولتي. وعندما أفعل ذلك يستهلمون العبر ويشعرون بالقرب مني أكثر.

أما في الصورة التي في ذهني فاني أكب على عملي ـ الكتابة ـ بينما يختمر العجين أو تخبز الفطيرة في الفرن. عملي لا يبعدني عن بيتي ولا يزعج أفراد العائلة. قضايا المساواة لا وجود لها وليس هناك كلمات غاضبة او صراع على النفوذ.

أعمال المنزل تنجز بهدوء ومن غير جهد. فأجلس عند نهاية كل نهار قرب الموقد ممسكة يد الرجل الذي هو شريكي.

صورة مركبة ـ المرأة في هذه الصورة هي المرأة التي ظننتني سأكون. الطلاق ليس وارداً (أنا الآن متزوجة للمرة الثانية) ولن يكون هناك خلاف حول المهنة (حاولت من غير جدوى ولمدة عشرين سنة التوفيق بين البيت والعمل.) وسأنجب عشرات الأطفال (لي ابنة واحدة ولزوجي صبي وبنت).

الصورة التي في ذهني هي تراث ماضيّ: الفتاة التي ترعرعت في الخمسينات. أنا الآن امرأة الثمانينات، امرأة تعيش في عالم مختلف جداً عن ذلك الذي نمى خبراتي. أنا امرأة اضطرت الى تربية طفلتها وحيدة. امرأة تعيل نفسها وتهتم للضرائب واصلاح السيارة. امرأة تحتاج الى زواج يمتاز بالمساواة. لذلك، عندما أقود سيارتي

© 1983 by Peyton Bailey Budinger. Condensed from Ladies' Home Journal (March '83), New York, N.Y. Photo: Al Francekevich

تحت المطر بعجلات بالية، استغرب سماع صوت في رأسي يؤنبني: "أي رجل يترك زوجته تقود سيارتها بعجلات بالية؟" قد يكون تفكيري وليد الثمانينات، لكن مشاعري لم تلحق بالركب بعد.

الفتاة داخلي تشك بي الآن كامرأة عاملة يتوجب عليها إنهاء عملها في الوقت المحدد. وأفكر قلقة: هل أنا أم صالحة؟ هل أصرف الكثير من وقتي على مهنتي؟ هل أنا أخدع عائلتي؟ هل أنا أخدع نفسي؟ وأنا في الثمانينات أتساءل ايضاً: ربما كان علي قبول وظيفة بدوام كامل، وان يكن ذلك يعني ساعات عمل أطول ورحلات يومية مرهقة. يجب ان أعمل اكثر وأكسب اكثر.

من أين تأتي هذه الصورة القديمة؟ إنها صورة مركبة من لحظات في طفولتي أردت الاحتفاظ بها ورغبت دائما في احيائها لنفسي ولأطفالي. صورة أبقتها حية الى اليوم تلك الاعلانات التلفزيونية ذات الألحان الشاعرية المريحة والمشاهد العائلية البهيجة. هناك اعلان تلفزيوني يظهر امرأة تقف خلف نافذة رشها المطر وهي تحمل فنجان قهوة وتبتسم للصبي العائد من المدرسة بخطى متعثرة وهو يرتدي معطفاً أصفر زاهياً. فينبع من داخلي صوت يقول: أترين؟ هكذا يجب ان تكون حياتك. ويغمرني الشعور بالنقص والحنين الى الماضي عندما كانت أمي دائماً هناك تمنحني الحب والحماية.

نساء كثيرات اليوم يفكرن ويشعرن مثلي، ولكن ليس في امكاننا التطبيق. فمهما يكن، نحن لا نعيش في العالم نفسه الذي عاشت فيه أمهاتنا عندما كن في مثل سننا. في ذلك الوقت كانت الأدوار محددة على نحو أفضل. كانت التعاليم الاخلاقية والمبادىء تقبل من دون جدل، وكانت الأمور اهدأ وأبسط. أما اليوم فعلينا شق الطريق عبر مبادىء واختيارات كثيرة ومضللة ومطالب لم نكن نتصورها عندما كنا لا نزال في طور النشوء وبناء الآمال.

ثمن المشاركة – قبل ثلاثين سنة كانت أمهاتنا يستمتعن بمصاحبة النساء اللواتي يشاركنهن في الأهداف نفسها. فأكثرية النساء كانت تلازم المنزل. اما اليوم فنسبة قليلة من ربات البيوت تقع ضمن هذه الفئة التقليدية، حيث يعمل الرجل وتبقى الزوجة في البيت مع طفل او اكثر. التجانس الذي اعطى امهاتنا الراحة لم يعد متوافراً الآن. اليوم حياتنا ممزقة ونحن غير مستقرات، يحذر بعضنا بعضاً ونبرر الادوار التي اخترناها لأنفسنا.

ربات البيوت فصيلة على طريق الانقراض، يشكين الآن من الوحدة والانعزال. وتحن النساء اللواتي لم تتسن لهن فرصة البقاء في المنزل الى تصور حياتهن كربات بيوت. يدور اهتمام المرأة بحسب الصورة القديمة في فلك البيت والعائلة. اليوم ينتظر من المرأة أكثر من ذلك. فقد أضيف الى القائمة القديمة التي تضم الطبخ والتنظيف والخياطة والغسيل والاغراء أمور أخرى مثل

كسب الرزق والوعي السياسي واللياقة الجسدية والاكتفاء الجنسي، وأهم من كل ذلك الجرأة النسائية الجديدة.

قبل ثلاثين سنة لم يكن هناك داع الى الخوف عندما لا نفهم معنى السوق المشتركة أو نعجز عن اصلاح مضخة الوقود. أما اليوم فنحن نعرف كيف نستعمل المثقاب والمطرقة عندما نحتاج الى ثقب حائط او تركيب رف. الآن لا نستطيع لعب دور الضعيفات. واذا أرادت الفتاة التي داخلنا الاستراحة من وقت الى آخر وترك تنفيذ العمل لغيرها، فاننا نشعر بالارتباك، وننسى ان الرجال قد يشعرون كذلك ايضاً.

لكن المرأة في صورتها القديمة لم تعترف ابداً بوجود هذه المشاعر لدى الرجال. فالعلاقة التي ربطتها بالرجل - رجلها - كانت واضحة. هي تعهدت تقديم الراحة اليه. وكان يشكرها فيقدم اليها زهوراً او ثوباً جديداً او غسالة أوتوماتيكية. كانت ترف جفنيها أو تنظر باعجاب الى عضلاته أو تضرب بقدمها الأرض عندما تغضب. كانت دائماً جديرة بالحب. وكان الرجل يعاملها كامرأة ضعيفة وتعامله هي كرجل أقوى. فاذا لم يشعر يوماً بالقوة أو لم تشعر هي يوماً بالضعف تظاهرا به.

معظمنا غير آسف على ترك هذا النظام، فنحن نرحب بالمشاركة في الزواج. لكن ما ربينا عليه لا يموت بسهولة. لقد نشأنا مدركات أن علينا أخذ القرار النهائي من أزواجنا، كما انه ليس من السهل اعتماد وقفة جازمة، فقد نخطىء احيانا. قد نشرع في إقناع رجل ونجد أننا انزلقنا في كلام أطفال، وقد نبدأ مناقشة معه وننتهي الى البكاء. قد نصلح الفرن بمفردنا ونجدنا في انتظار مديحه. قد نذعن لرجل ثم نستاء منه لأنه "يملك القوة،" فنطمئن أنفسنا ونقول اننا كنا "لجوجات". اننا نترجح ذهاباً وايابًا بين مفهوم الصورة القديمة للرجل والمرأة ومفهوم الصورة الجديدة.

من الجميل ان يتخلص الرجل من الفأر الميت أو يبحث عن سبب رشحان السقف لكنه لم يعد يمكننا البقاء داخل السيارة بينما هو يبدل العجلة تحت المطر، فعلينا المشاركة في كل شيء إذا أردنا حقاً تحمل المسؤولية كاملة. وهذا يعني أننا لا يمكننا ان نكون قويات فقط عندما يكون الأمر جميلا، بل ايضا عندما نتعرض للبرد والبلل والاتساخ.

عقدة التقصير - ربما كانت العودة الى الأسلوب القديم أكثر جاذبية مما نريد ان نعترف، عندما كان أزواجنا ينتظروننا على الباب وبأيديهم باقات الزهور. اما صورة الرجل القديمة كمعيل فهي اكثر جاذبية. في الخمسينات كان ممكناً للنساء الاطمئنان من الناحية المالية، كان الاقتصاد مفهوماً ومضموناً ومتيناً. اما اليوم فتضطر أمهات كثيرات الى العمل لكي تبقى عائلاتهن ضمن الطبقة المتوسطة. قد يسبب هذا الواقع صراعاً مؤلماً للأم التي تعيش في الثمانينات. فالأطفال، بحسب الصورة القديمة، كانوا يشكلون جزءاً

مهماً من علاقة الحب بين الرجل والمرأة. من اجلهم ننفخ البالونات في الاعياد ونزور حدائق التسلية ونصنع الحلوى والبوظة (الجيلاتي) بأيدينا. في الصورة القديمة كانت الأم محور حياة أطفالها.

وربما لهذا السبب كنت قلقة خلال السنوات الاثنتي عشرة التي ربيت ابنتي، لأن مهنتي حرمتها الأشياء التي لا تستطيع تقديمها سوى الأم ذات الدوام الكامل في المنزل. الأمر الذي لم ألاحظه هو ان العالم حولنا تغير بسرعة وأن موقف ابنتي من وظيفتي يختلف عن موقفي انا قبل ثلاثين سنة لو كانت أمي تعمل.

وعلى رغم ذلك يلازم القلق كثيرات منا. كيف نحرم اطفالنا ما منحتنا اياه امهاتنا؟ ولا يخطر في بالنا ان اطفال اليوم قد لا يحتاجون الى هذا الانتباه الزائد الذي تعودناه نحن، بل هم قد لا يريدونه.

هذا لا يعني انهم ليسوا في حاجة الى الحب والنظام والارشاد والانتباه، بل ان الرعاية التي يحتاجون اليها تختلف عن الرعاية التي نتصورها لهم. فمع اننا نستطيع اعادة تركيب هذه الصورة القديمة لأنفسنا، فيبدو ان اطفالنا يجدونها غريبة.

لذلك نبقى ممزقات بين القديم والجديد. نترنح بينهما باحثات عن التركيز والوضوح. قد يكون مفيداً لنا تقبل هذه الازدواجية فينا ببساطة، لأنها لا تختفي بسهولة. سيبقى فينا جزء ينتشي برواية شاعرية. لكننا ايضا نساء ذوات حيوية، وفي وسعنا تولي أصعب الوظائف على وجه الأرض. نحن النساء قويات وسريعات التأثر مثل الرجال. ونحن مزيج من الصور القديمة والجديدة. الجزءان مهمان، وكلاهما جدير بالبقاء.

■ بايتون بايلي بودنغر

يا ضيفنا!

لا يزال أهالي مقاطعة ويلز البريطانية يحيون الضيف بقولهم المأثور: "أنت ضيفنا، كائناً من تكون. فان كنت صديقاً صافحناك بالأيدي والافئدة. وان كنت غريباً فلن تبقى هكذا. اما اذا كنت عدواً، فان حبنا سيغلبك."

وقد قال شاعر عربي:

"يا ضيفنا لو زرتنا لوجَدتَنا
نحن الضيوف وأنت رب المنزلِ."

سند الظهر

عندما عادت امي الى حيث أوقفت سيارتها ذات يوم، وجدت شرطي سير يسند ظهره اليها. وادراكاً منها أنها لم ترتكب أي مخالفة، سألته "ما المشكلة يا حضرة الشرطي؟"

فأجابها بلياقة: "سيدتي، ألسنا نحتاج الى مكان نلقي ظهورنا عليه؟"

ج.هـ.

فندق الشام

أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة. بَل إنه مدينة قائمة بذاتها ... صُمّم على أحدث طراز فني ليوفّر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت تَرتاح في غرفتك، أو كنت منهمكاً في عمَلك ... فندق الشام يوفّر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحّي وحمّام السبَاحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة الى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجاريّة ... ولا تنسَ المطعم الدوّار المطِلّ على مدينة دمشق التاريخيّة بأكملها التي تُعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميّز بآثار قديمة تُظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لا زلنا نفاخر بها ونحافظ عليها.

للحجز: فندق الشام - ص.ب: ٧٥٧٠
تلكس: ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف: ٢٣٢٣٠٠ (٥٠ خط)
تلكس الزبائن: ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد

تأمّلات معَاصِرة

حبات الرمل

هل حاولتَ ان ترفع قبضة رمل وأحسست ان يدك تنطوي على شيء؟ ثم تشد وتشدّ، وكلما شددت أكثر فر الرمل من بين اصابعك حتى لم يبقَ في يدك سوى حبات قليلة. وتحاول ابقاء هذه الذرات أطول وقت ممكن، لكنها تختفي فجأة ولا يبقى في يدك شيء.

ساشا كارنيغي، كتاب "الليلة المظلمة"

صيد السمك

أصطادُ السمك لأني أحب هذه الرياضة وأجد فيها متعة، كما احب الطبيعة الفاتنة التي يرتع فيها السمك وأمجّ الأمكنة المكتظة بالناس لأنها، في العادة، قبيحة. وفي عالم يبدو ان معظم أهله يفعلون ما لا يريدون، يسرني كثيراً ان أفعل ما ارغب فيه. واني أقصد الغابات لأنها منعزلة ولا خطوط هاتف فيها، ولأني في الغاب أجد الوحدة من غير وحشة. ولا يتبادرن الى القارىء أني احب صيد السمك لأني أعده عملا مهماً. الا ان كثيراً من اهتمامات الآخرين تضاهيه في عدم الأهمية، من غير ان تكون مصدر متعة كما هو.

روبرت ترافر

العنف الصيني

وقف حمالان صينيان يتجادلان بعنف وسط شارع مزدحم. وكان هناك سائح اجنبي أبدى عجبه من ان احداً من العاملين لم يلجأ الى العنف الجسدي. فأجابه صديقه الصيني: "الذي يضرب اولا يسلّم بعدم جدوى افكاره".

فرانكلين روزفلت

رجال الامة

الامة تفصح عن نفسها ليس بالرجال الذين انجبتهم فحسب، بل بالرجال الذين تجلهم وتتذكرهم ايضاً.

جون كينيدي

السعادة

معظم الناس ينظرون الى السعادة خطأ إذ يرونها مشروطة. فانت تسمعهم يقولون: "لو كنت غنياً لكنت سعيداً"، او "لو احبتني هذه الفتاة لنلتُ السعادة"، او "لو كانت لي الموهبة او الشهرة او الصحة الجيدة لكانت لي السعادة". والواقع ان هؤلاء يحصلون على اهدافهم، الا انهم لا ينفكون يكتشفون شروطاً جديدة. اما انا فأحب الحياة بحلوها ومرّها، واحبها هكذا، من غير شروط.

آرثر روبنشتاين، عازف بيانو

كتاب الشهر

أربعاء الرماد

بقلم ديفيد مور

لورن في ليل أربعاء الرماد.
John White/Photographic Agency of Australia

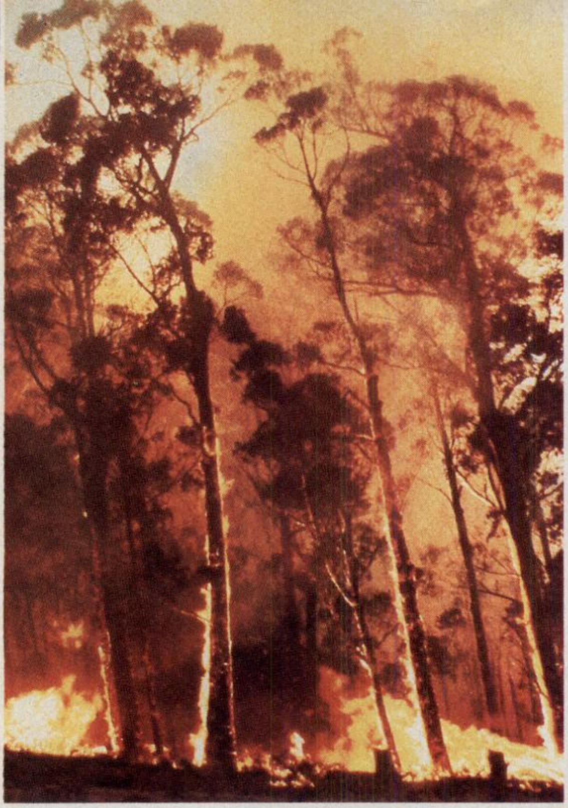

Jean-Pierre Zajac/Sydney Freelance

أربعاء الرماد

اشجار الصمغ المتوهجة في كوكاتو.

كثيرون ينظرون الى اوستراليا على أنها «البلاد المحظوظة». فقد أنعم الله عليها بالمساحات الواسعة والثروة المعدنية. الا ان حرائق الأدغال الهائلة تهب عليها أحيانا بفعل الريح والحرّ والنبات القابل للاحتراق.

ومن اسوأ هذه الحرائق طرّا ما طرأ يوم اربعاء الرماد في ١٦ فبراير (شباط) ١٩٨٣؛

وكانت نتيجة الحرائق مقتل اكثر من سبعين شخصا وهدم ٢٢٣٦ منزلا وبناية واتلاف الف سيارة ونفوق ٢٨٠ الف رأس ماشية، فضلا عن احراق ٣٦٠٠ كلم٢ من الغابات والمزارع.

ظلّ بـوب بوتـس أيامـاً يتوقع الشدائد. وهو رجل ناحل طويل في التاسعة والثلاثين مـن عمره. ولسنوات بقي موظفاً في دائـرة الاطفـاء التابعة لبلدة مالفيرن في ضواحي مدينة ملبورن الاوسترالية. لذلك كان مؤهلا كي يعرف، أكثر من سواه، آثار الجفاف الذي شهدته المنطقة في السنوات الثلاث الأخيرة والذي أدّى الى نضوب البحيرات والسدود وأنقص مياه الأنهار والسواقي بنسبة ثمانين في المئة.

وفي الغابات الكثيفة كانت آلاف الأطنان من الاوراق والأماليد والغصون اليابسة تنتظر الشرارة الاولى. وقد عرف بوتس أن شجر الاوكاليبتوس الصمغي، إذا تعرّض لحرّ النار، تحوّل زيته غازاً سريع الالتهاب لا يلبث أن يؤدّي الى انفجار في الشجرة. وهكذا يمكن أن تغتذي النار النهمة بذاتها، فيمتدّ الحريق من رأس شجرة الى رأس شجرة ومن واد الى واد.

وتوقع الخبراء شبوب حرائق ضخمة في ٨ فبراير (شباط) ١٩٨٣. ولكن عوضاً عن ذلك هبت ريح شمالية حارّة تولـدت منهـا عواصـف غبـار قويـة اقتلعت نحو ١٤٠ ألف طن من التربة السطحية الغنية وحملتها من شمال غرب فيكتوريا الذي ضربه الجفاف الـى ملبـورن وسواهـا مـن مناطـق الجنوب. وغدا النهار ليلا. ولم يعد في استطاعة السائقين أن يروا أضواء الشـوارع. أمـا الذيـن تمكنـوا مـن الخـروج، وهـم قلائـل، فقـد لفـوا رؤوسهم اتقـاء للغبـار. وقـد ظـنّ بعضهم أنه يشهد نهاية العالم.

وفي منزلها في سانبوري الذي يبعد ٣٥ كيلومتراً شمال ملبورن أوكلت جاني، زوجة بوتس، الى اولادها، باستثنـاء رابعهـم الصغيـر، ازالـة الغبار الأحمر الناعم الذي سدّ منافذ الهواء وتخلل ثقوب النوافذ.

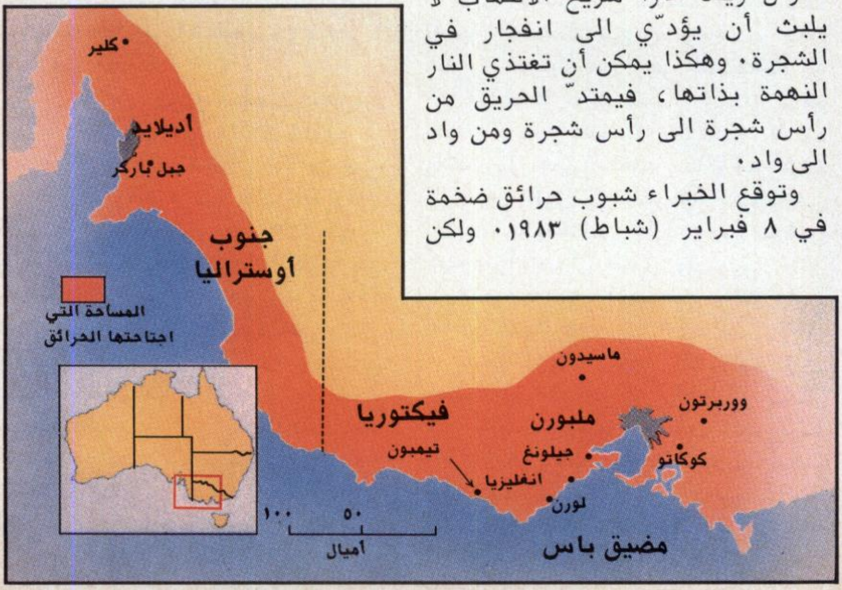

أما التوقعات الجوية بالنسبة الى السادس عشر من ذلك الشهر، وهو أربعاء الرماد، فلم تكن بأفضل حالا. وكان يُنتَظَر من ريح الشمال الحارّة الجافّة ان ترفع الحرارة الى أربعين درجة مئوية وتخفض الرطوبة الى أقلّ من ١٥ في المئة. وفي السابعة من صباح ذلك اليوم أعلنت دائرة الاطفاء حظراً تاماً لاضرام النار خارج البيوت، سواء أكان ذاك لشيّ اللحوم في الهواء الطلق أم لاشعال مواقد اللّحام أم للمشاعل التي يتسلى بها الاطفال.

وفي جنوب اوستراليا الذي أتى عليه الجفاف سفعت الشمس الاعشاب في حقول كثيرة وأحالت خضرتها بياضاً.ويبست الاشجار والخببات وحملت ريح الشمال الغبار نحو مدينة اديلايد. ولاحظ العديد من السائقين الذين انطلقوا الى أعمالهم جوّاً حارّاً وجافاً غير معهود.

وكان بوتس، الذي انقضت عشرون سنة على تطوعه في دائرة سانبوري لاطفاء الحرائق، يعلم تماماً ما هي حال دوائر الاطفاء في تلك الظروف، وعددها ١٤٣٣ دائرة في الولايتين. وهي ظروف يتخلف فيها الكثير من زملائه المتطوعين، وهم نحو ١١٨ ألفاً، عن أعمالهم ويتوجّهون الى دوائر الاطفاء المحلّية. وهناك يخلعون ملابسهم العادية ويرتدون الملابس الصفراء العازلة والخُوذ بعد تفقّدهم العدّة، ثمّ يخابرون زملاءهم الذين لم يحضروا ليروا إن كان في إمكانهم الحضور، ويصغون الى الاذاعة الخاصة بمكافحة الحرائق.

وما برحت الدائرة تجتذب إليها المتطوّعين من فئات المجتمع جميعاً. ويتولى هؤلاء انتخاب رئيس لهم مع هيئة إدارية كلّ سنتين. وفي بعض حالات الطوارىء يُسمح لقائد مفرزة الحرائق بأن يعطي أوامر لرجال الشرطة. وفي حين أن الشرطي لا يستطيع إرغام شخص يتهدّده الحريق على مغادرة بيته، فهذا ممكن بالنسبة الى آمر فريق الاطفاء. كما يمكنه، لدى الضرورة، أن يقتحم المنزل بدبابة أو جرّافة. وقد شاعت عادة مكافحة الحرائق في أوستراليا.

وفي صباح ذلك اليوم الموافق أربعاء الرماد أدرك بوب بوتس أن فرق المكافحة ستضطر الى الانتظار في مراكزها، لكنه تمنى ألا تنشأ حاجة إليها.

وظل بوتس في مكتبه طوال ذلك الصباح منهمكاً في وضع تقارير حول عشرين حريقاً شبت في المنطقة، إلا أنّ أياً منها لم يَستَدعِ إرسال فرقة إطفاء. وفي الثانية والدَقيقة الثالثة والعشرين عصراً بلغته رسالة من غرفة الراديو تقول ان حريقاً نشب في ايست ترينتهام على بعد سبعين كيلومتراً شمال غرب ملبورن، وان سرعته صُنفت "متوسطة" ولكن خارج نطاق السيطرة.

ومع اشتداد الريح الشمالية عرف بوتس أن الحريق لن يلبث أن ينتقل الى غابة ولاية ومبات الجنوبية المجاورة. وهذه الغابة ملأى بالاشجار القصيرة الجافة. ولا يُستبعَد أن تنفجر ويتعذر دخولها على رجال الاطفاء. وقال بوتس لزميله ديفيد

جوردان: "في تقديري أن حريق الغابات بدأ على نطاق واسع."

أبعد من التصديق

في تلك الاثناء كانت النار تضطرم أيضاً في تلال اديلايد. وفي طريقه الى اذاعة تقرير حول الحادث عبر إحدى محطات الارسال، سمع موراي نيكول، وهو نيوزيلندي في التاسعة والثلاثين، نداء عبر الراديو في سيارته يدعو جميع اطفائيي المنطقة الى التلال المنكوبة.

وأسرع نيكول الى محطة الاذاعة. وكان بيته يقوم على تلك التلال، وهو متطوع في فريق غرينهيل الاطفائي. وكانت عدّته كلها في سيارته التي أوقفها خارج مبنى الاذاعة، وهي "لاندروفر" صفراء قديمة.

وانتابه الغضب وهو يتجه نحو غرفة الاخبار. وراح يعتذر لزملائه لاضطراره الى الانصراف. وهي المرّة الاولى خلال عمل إذاعي دام ٢٣ سنة يتخلف عن واجبه. لكنه شاء أن يلبي نداء واجب آخر نابع من دوره كاطفائي. ولم ينسَ أن يحمل معه جهاز إرسال صغيراً.

وفي ذلك الوقت كان روبن كامينز يسرع نحو التلال في سيارة "هولدن" يعود صنعها الى العام ١٩٥٨. ولم يراود كامينز، وهو شاب ملتح في العشرين يبلغ طوله ١٩٠ سنتيمتراً، أي شك حول قوّة سيارته التي أعاد بناءها بنفسه، فركب لها محرّكاً أكبر وعجلة قيادة وسوى ذلك من أجزاء. وهي لم تخذله قطّ.

وصادف في الثالثة من عصر أربعاء الرماد أنه كان متجهاً مع أخيه بروس (٣٠ سنة) الى منزل بروس القريب من سمرتاون لحمايته. وما ان قطعا مسافة قصيرة على طريق غرينهيل المتعرّجة عبر التلال حتى شاهدا دخاناً كثيفاً. وكانت السيارات التي أنارت مصابيحها الامامية تنحدر عن التلة، لكن روبن قرّر المضيّ في طريقه.

وبعد منعطفين اصطدمت السيارة بحاجز من حجار، فانعطف روبن يساراً عبر طريق يارابي ليعود الى طريق غرينهيل على ارتفاع أعلى. ولما انحرف عند المنعطف التالي رأى النار تشرئبّ الى السيارة عن اليمين. وأدرك الشقيقان، وقد أحاطتهما النار من كل جانب، أن طريق العودة مستحيلة. وكانت الحرارة داخل السيارة لا تطاق. وبعد قليل شاهدا في الطريق هيكل سيارة محروقة.

ومع ازدياد كثافة الدخان لم يعد في استطاعة روبن تبيُّن الطريق. وكان صوت السيارة تحته دليله الوحيد على وجوده فوق الطريق. وفجأة سمع صوتاً غريباً أحدثه ثقب في آلة تبريد المحرّك. وانتظر روبن هنيهة ثم أدارَ مفتاح الاشعال. واستأنفت السيارة طريقها عبر التلال، لكن الأبخرة بقيت تتسرّب من المحرك حتى خشي روبن ان يلتقط النار. ولكن لم يكن للأخوين بد من متابعة الطريق.

وفجأة برز طيف في الدخان يلوّح بشدّة. وكان أسوأ ما في الأمر فتح نوافذ السيارة وأبوابها. إلا أن بروس

لم يستطع غضّ النظر عن الناس الذين كانوا في الخارج. وما أن فتح الابواب حتى تدفقوا الى السيارة مثل حيوانات مذعورة. وقفز أحد الاطفائيين الى المقعد الأمامي بجانب بروس. وفوق درّاجة بروس على المقعد الخلفي جلست امرأة وصبي صغير وثلاثة اطفائيين آخرين. كان الارهاق يكاد يفقدهم الوعي عندما ظهرت سيارة روبن في الطريق.

وحين همّ روبن بالانطلاق صاح فيه أحد الاطفائيين: "اصبر قليلا أيها الصديق! هناك اطفائيان آخران." وانطلق روبن من غير أن يجسر على عَدّ الرؤوس في سيارته. وفيما بلغهم صوت الحريق من الخارج لم يجرؤ أحد على الكلام إلا روبن الذي ما انفكّ يقول: "هيا أيتها السيارة! هَيا يا عزيزتي! إني أعرف جيداً أن في استطاعتك قطع المسافة المطلوبة... انك لَن تخذلينا."

وبعد ٤٠٠ متر انقشع الدخان قليلا وأمكن الركاب أن يروا سيارة اطفاء أمامهم. وقفز جميع الاطفائيين خارج سيارة روبن باستثناء واحد. وتابع روبن طريقه نحو ملعب كرة القدم في أورايدلا التي تبعد خمسة كيلومترات عن تلك النقطة. وهناك ترك سيارته كي تبرد. وسد ثقباً في خزان التبريد بعلكة ثم ملأه ماء. وفي المساء قاد السيارة ومعه بروس الى منزل أخيه ليجداه قائماً حيث هو. لكن سقفه الحطبي سقط.

وبعد أيام أصلح روبن مبرد السيارة وجدّد الكابح وركب بطارية جديدة وسدّ ثغرات الطلاء. وقد بات فخوراً بتلك السيارة التي ساهمت في إنقاذ حياة عشرة أشخاص.

في تلك الاثناء كان المذيع موراي نيكول يتشبث بجدار من حجر لحماية نفسه من النار والدخان. وتعجب للسرعة التي وصل بها الحريق الى مرتفعات اديلايد. وكان مع زملائه الاطفائيين وجهوا السائقين الهاربين نحو الطرف الجنوبي لطريق يارابي. ولكن ما هي إلا هنيهة حتى اسودّ الهواء بالدخان والرماد. وارتفع وهج أحمر على الافق الغربي. وسمع نيكول صوتاً يشبه هدير طائرات حربية مجتمعة. وهو صوت لم يعرف مثيلا له من قبل.

وهبت ريح صرصر من ناحية الحريق اقتلعت القارورة التي كان يحملها نيكول وفيها عشرون كيلوغراماً من الماء ورمتها مسافة ستة أمتار على درب فرعية. ووقف دي كالاهان، وهو مدير مزرعة قريبة، يصيح بأعلى صوته داعياً كل شخص هناك الى الاحتماء بجدار المزرعة الحجري. وكان عدد الناس يفوق العشرين، وبينهم الاطفائيون والنساء والاطفال. ومع اقتراب الريح التي تحمل النار طلب نيكول من اطفائي أن يرشّ الاطفال بالماء. ومع ازدياد عويل الريح أخذت امرأتان تزعقان.

والتقط نيكول جهاز الارسال وقد عقد العزم على وصف بعض جوانب تلك الفاجعة للمستمعين. وخابر غرفة الاخبار في أديلايد، فجاءَه الجواب بأن يباشر إرساله. وراح تقنيو الاذاعة يصلون غرفة الأخبار بجميع

أنحاء اوستراليا: ملبورن وسيدني وكانبيرا وبريسبن، حتى شمل البث ٤٥ محطة تابعة لشبكة "مكاري".

وانطلق صوت نيكول عبر المذياع: "السماء تبدو حمراء ثم تستحيل بيضاء كما لو أصابها مَسّ من جنون. وها هي النار ترتفع ثلاثين متراً، لا بل أربعين، فوق طريق غرينهيل. وهناك ١٢٠ منزلا في تلك المنطقة تحت رحمة النار. ولا أدري كم منزلا منها قوضه الحريق... إنها لكارثة رهيبة حقاً."

وأخذ نيكول نَفَساً وسط الدخان الكثيف ثم تابع: "ليس في وسعنا أن نتبين أي منزل. والطريق غابت عن الانظار. ونحن نكاد نختنق من الرماد. وننظر حولنا، فيبدو الهواء أبيض بفعل الحريق الهائل."

وأخيراً سقطت عاصفة النار على المكان. وتداعى سطح المزرعة وهوى، غير أن أحد الذين كانوا يحتمون بالجدار لم يُصَب بأذى. أما المزرعة التي تبلغ مساحتها ٤٠٠ هكتار فاحترقت في عشر دقائق. وكان نيكول يحاول إطفاء حريق شب في كومة حطب حين أسرع دي كالاهان نحوه صائحاً: "لقد احترق منزلك."

وقطع نيكول مسافة ٤٠٠ متر الى طريق ياروبي ووصل الى منزله في خمس دقائق. ورأى أحد زملائه على سلم وهو ينضح السطح المحترق بخرطوم ماء. وتسلق نيكول السلم وهو حريص على ألا يدوس السطح المعدني. وأدرك أن منزله لن يلبث حتى تأتي عليه النار.

وسرعان ما نفد الماء لدى الاطفائيين. ولم يكن هناك خط مياه رئيسي في ذلك الجزء من أديلايد. ومع انقطاع التيار الكهربائي لم تبق ثمة وسيلة لضخّ الماء من الخزّان الخاصّ الذي تبلغ سعته ٢٢ ألف ليتر.

صعوبة الاتصال

ما أن نزل نيكول عن السلم حتى انتابه الأسى. فمنزله لن يصمد سوى لحظات. ولما رأى ستائر غرفة الجلوس تلوح قال لنفسه: "مسكينة فرانك"، وهي زوجته التي أمضت وقتاً طويلا لاختيار أنسب الستائر. وقد أنفقا أخيراً مبلغ ٣٠ ألف دولار أوسترالي (٢٧ ألف دولار أمريكي) على إصلاح المنزل الذي يعود الى ١٣٠ سنة خلت، وبذلك يشكل معلماً معمارياً في تاريخ اوستراليا. وهو المنزل الوحيد الذي اقتناه وزوجته فرانك خلال ١٥ سنة من الحياة الزوجية، والبيت الوحيد الذي عرفته ابنتاهما تيا (١٠ اعوام) وبيتا (٨ اعوام). وليس أمامه الآن إلا "التخلي عنه."

والتقط نيكول المذياع من جديد ليعلن أساه على ملايين المستمعين غير المرئيين: "أنا جالس على الطريق خارج بيتي الذي عشتُ فيه ثلاث عشرة سنة. ها هو السطح ينهار وألسنة النار تمتد الى الداخل، وليس في وسعي أن أفعل شيئاً... يا لها من تجربة مرّة تفوق التصديق. لقد ولى منزلي، ولا أستطيع النظر إليه وهو يهوي حجراً حجراً الى التراب."

وظل نيكول يجول المنطقة ساعة

ونصف ساعة وهو في شبه غيبوبة. وقد مات أربعة أشخاص من معارفه وتهدّم ثلاثون منزلا من المنازل المئة على جانبي طريق يارابي. وكان نيكول يعرف أن ابنتيه أخذتا مع أولاد الجيران الى أديلايد. ولكن ماذا عن فرانك التي تعمل مذيعة في محطة غرينهيل للاطفاء؟ أيكون الحريق ضرب المحطَّة أيضاً.

وغدت الاتصالات عسيرة جدّاً. وكانت النار قطعت خطوط الهاتف واختلطت الرسائل عبر الشبكة الاذاعية لدائرة الاطفاء. وأصدر نيكول نداء أخيراً الى زوجته: "إذا كنتِ تستمعين الي يا فرانك، فاعلمي أني وابنتينا في حال جيدة. فاذا كانت حالك أنت أيضاً جيدة، هان الأمر وتمكنا من بناء منزلنا مرّة اخرى."

وفي منتصف عصر أربعاء الرماد كان عشرون حريقاً رئيسياً امتدّت مسافة ألف كيلومتر من بلدة كلير شمال أديلايد الى تلال داندينونغ شرق ملبورن، عبر جنوب أوستراليا وفيكتوريا. ولكن كيف اندلعت تلك الحرائق؟

هناك أسباب مختلفة، كالاهمال وإضرام النار المتعمد والاحتراق التلقائي واصطدام أعمدة الكهرباء بعضها ببعض وسط الريح. وبانطلاق النار تعسر السيطرة عليها، خصوصاً مع هبوب تلك الريح الشمالية بسرعة ١١٣ كيلومتراً في الساعة. وفي بعض المناطق بلغت الحرارة ٤٣ درجة مئوية وهبطت الرطوبة حتى ٦ في المئة.

وبلغ عدد الاطفائيين الذين هبوا لمكافحة الحرائق في الولايتين ٢٠ ألفاً، يعاونهم ١٥٠٠ من موظفي الغابات. وقد استخدم هؤلاء ٨٠٠ سيارة إطفاء، مع الاستعانة بأي نوع من السيارات التي يمكنها نقل الماء عند الحاجة. وفي الجوّ انطلقت نحو ٢٥ طائرة مروحية تحمل المراقبين الذين حاولوا تنظيم العمليات. إلا أن الدخان والرياح العالية أبعدت معظم الطائرات عن خطها. أما النار فظلت تهدر في كل مكان وقد حملت غاز الاوكاليبتوس ودخان الاوراق والاغصان عالياً في الهواء. وتولدت حرائق فرعية من الحرائق الرئيسية حتى غدت النيران المضطرمة كابوساً ثقيلا. وحوّل الاطفائيون اهتمامهم من الممتلكات الى الناس.

وأخذ المواطنون يهربون بالالوف. ووجد المحظوظون بينهم وقتاً لارتداء الأحذية الثقيلة والسراويل الطويلة وكنزات الصوف ذات الأكمام، علماً أن الصوف أفضل عازل للنار. كما تركوا الماء يجري على سطوح منازلهم وحملوا مجوهراتهم ووثائق الملكية والتأمين والمعاملات القانونية قبل أن يتجهوا الى منبسطات واسعة من الارض، وهي في معظم الاحيان ملاعب كرة القدم المحلية. أما الاقل حظاً فلم يجدوا مناصاً من الهرب كما هم. وكالحيوانات المذعورة، هرع الكثير منهم الى الاقبية وخزّانات المياه والمستنقعات. وفي يارا العليا من اعمال ولاية فيكتوريا وجد ٨٣ شخصاً ملاذهم في قناة أحد السدود.

والأقلّ حظاً كانوا أولئك الذين واجهوا الحريق وهم خارجاً.

وسط الريح المندفعة بسرعة ثمانين كيلومتراً في الساعة اضطرّ مفوّض الشرطة ستيفن وليمس الى أن يدفع درّاجته النارية بجسده القوي عند المنعطفات ليبقيها على الطريق. وكان المفوض، ذو الشعر الادكن والبالغ الثامنة والعشرين، في نوبة خدمة على ساحل فيكتوريا الغربي. وفي توجّهه نحو الداخل سمع خبراً إذاعياً عن حريق في بلدة دينز مارش القريبة. وخفف سرعته وتناول مذياعه اليدوي وقال: "اني على بعد عشرة كيلومترات جنوب دينز مارش، وفي إمكاني المساعدة."

ثم أسرع نحو تقاطع ماونت سابين، ومن هناك تابع طريقه انحداراً بين التلال التي تغطيها الغابات. وأقبلت نحوه شاحنة اخترقت أنوارها القتام. وأطلّ منها أحد حراس الغابات وقال: "خير لك أن تعود أدراجكَ يا صاح. فالنار صاعدة عبر هذه التلال." وعلى بعد كيلومترين الى أسفل كانت تقوم بيوت للمزارعين. وسأل وليمس حارس الغابات عما إذا كانوا أخلوها، فقال إنه لا يعرف. وعندئذ طلب منه وليمس أن يذهب الى تقاطع ماونت سابين ويمنع كل سائق من نزول تلك الطريق.

أما هو فتابع طريقه نزولا. وبعد قطعه ٨٠٠ متر استدار عند زاوية وأحسّ انقباضاً في معدته. وداس كابح دراجته النارية على نحو عفوي، ونظر ليرى على بعد مئة متر أمامه جداراً من النار يرتفع أربعين متراً ويعلو عشرة أمتار فوق أشجار الاوكاليبتوس. وإذ لم يجد تتمة للطريق أمامه، أدرك أنّ الحريق أتى عليها والتهمَ القار (الاسفلت).

وأدار الدرّاجة في الاتجاه المعاكس وانطلق بسرعة خمسين كيلومتراً في الساعة، فسبعين فثمانين فمئة. وأحسّ ضعفاً في جسده. وفكر وليمس في السنوات الثماني التي أمضاها في شرطة فيكتوريا وصادف خلالها أهوالا، منها أنه طُعن بقنينة وبسكين وصادر بندقية من رجل أطلق النار على خصم له. لكنه في تلك الظروف جميعاً شعر ببعض الامان إذ كان في استطاعته السيطرة على مصيره. ولكن فيما هو يتابع طريقه صعوداً سمع صوتاً داخلياً يقول: "أهرب! أهرب! أهرب."

وما لبث يذكر نفسه بأنه ضابط في الشرطة وانه مسؤول تجاه مؤسسته ومواطنيه.

وشاهد شاحنة صفراء تسرع نحوه. ولعن وليمس سائقها المغفّل الذي عبر التقاطع من غير أن يلاحظ شيئاً. وأصدر إشارة ضوئية من درّاجته، لكن سائق الشاحنة ظل متابعاً طريقه. فتعقبه وصاح به: "عد من حيث أتيت، وإلا أتى عليك الحريق في أسفل الطريق." واعترض الرجل بحجة أن عليه الذهاب الى دنيز مارش. لكن وليمس أمره: أدرِ شاحنتك الى الوراء، وأنا سأتبعك للخروج من هذا المكان."

وما أن فعلا حتى شاهد وليمس حريقاً على بعد ٣٠٠ متر أمامه. وخفف سائق الشاحنة سرعته، لكن وليمس عرف أنه لا خيار سوى اقتحام النار،

لأن الحريق الآخر أشدّ هولا. وقال للسائق: "تابع طريقك يا أخي، واتبعني أنت هذه المرّة."

ولما دنا وليمس من الحريق زاد سرعة درّاجته وكاد أن يسقط عنها. ورأى شجرة اوكاليبتوس محترقة تهوي بثقلها نحو الطريق. وفكر في زوجته كاترين التي مرّ على زواجه إياها ثلاث سنوات. وأسف إذ لم يترك لها ولداً.

وسقطت الشجرة العملاقة وأحدثت دوياً عظيماً. وارتفع الشرر من أغصانها المحترقة. واخترق وليمس النار بسرعة ١٦٠ كيلومتراً. في الساعة فوجد نفسه خارجاً بعد انعطافه يَساراً.

وعلى مسافة ٥٠٠ متر صعوداً رأى نحو عشرين شخصاً متجمعين حول خمس سيارات عند تقاطع ماونت سابين. وأوقفت وليمس الدرّاجة وصاح بهم: "أخرجوا من هنا حالا، فالنار تشقّ طريقها." ووسط الذعر الذي خلفه الانذار سقطت إحدى السيارات الصغيرة في حفرة، فقفز أربعة رجال من شاحنة ورفعوها.

ونظر وليمس الى الطريق التي سلكها ثم قال عبر المذياع: "لقد أبعدت قافلة سيارات عن تقاطع ماونت سابين. فالحريق يشتدّ شمال هذا التقاطع ويتجه نحو لورن."

وعاد وليمس بحذر الى أسفل لكي يراقب الحريق من جديد. ولم يعثر على أثر للشاحنة الصفراء. ورأى شجرة اخرى تهوي. ولم يسعه أن يفعل شيئاً، فعاد قاصداً لورن الى الجنوب.

وفي وقت لاحق من ذلك اليوم شوهد جون ميرلا، وهو في الحادية والخمسين، ميتاً بجانب شاحنته المحترقة.

وبعد ثلاثة أسابيع سمع وليمس وزوجته كاترين خبراً طيباً، وهو أن كاترين حبلى وان حملها بدأ قبل أربعاء الرماد.

"إنه ابني!"

شقّ صبي طريقه عبر الدخان وأسرع نحو الرقيب دون ويلسون فاتحاً ذراعيه وهو يطلب الامان. الا أن ويلسون لم يستطع احتضان الصبيّ، لأن كل لمسة من شأنها مضاعفة عذابه. وكانت ثياب الصبي احترقت والتصقت ببدنه، وأخفت النار ملامح وجهه. وكان مع غاريث اندرسون (١٠ اعوام) رجل تأكل النار ثيابه. ولم يجد ويلسون مناصاً من فكّ سرواله في محاولة اطفاء الحريق الذي خلف يدي الرجل وذراعيه وصدره وظهره في حال يُرثى لها. ووضعه ويلسون على مقعد سيارته الامامي ومدد الصبيّ في الوراء.

وطلب سيارة اسعاف وحدد موقعه عند تقاطع طرق على بعد ١١ كيلومتراً غرب تيمبون في ولاية فيكتوريا. وكانت الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة والعشرين مساء. وفكر الرقيب الطويل البالغ الثانية والثلاثين في اولاده الثلاثة. ولم يكن في خبرته ما يجعله مؤهلا لسماع أنين طفل محروق. وراح ويلسون يهدىء روع الاثنين ما استطاع الى ذلك سبيلا.

ومن خلال سحب الدخان الكثيفة أبصر سيارة "لاندروفر" آتية نحوه. ولوّح للسائق كي يقف وقال له: "معي صبي أصابته حروق كثيرة. فهل تعرف طريقاً بعيدة عن النار لأسلكها؟"

وتقدم السائق من سيارة الشرطي ونظر الى الداخل. وظناً منه أنه يرى ابن اخيه قال: "أهذا أنتَ يا مارك؟" فأجابه الصبي: "لا، بل هذا أنا يا أبي، هذا أنا يا أبي." واستغرق في البكاء.

وتنهد ماكس اندرسون وقال: "يا إلهي! انه ابني." وكان جسم الفتى انتفخ اكثر من حجمه الطبيعي كثيراً. وحاول والده الصعود الى السيارة. ولكن لما رأى ابنه يتلوى ألماً سمع كلمة ويلسون ألاّ يصعد. وقال الشرطي: "لقد استدعيتُ سيارة اسعاف، وهي على الطريق." واذ ذاك عاد أندرسون الى شاحنته.

وفي سيارته، تلقى الرقيب ويلسون مكالمة تقول ان سيارة الاسعاف أبعدت بسبب الحريق. وفي تلك اللحظة ظهرت سيارة "لاندروفر" أخرى. ولما سأل ويسلون السائق عن طريق تيمبون، قال هذا ان في امكانه ان يوجهه الى هناك. وفيما ويلسون يقود سيارته وراء اللاندروفر سأل الرجل المنكوب الى جانبه عن اسمه، فقال انه كيفين غريغ من تمبلستو في ملبورن، وانه في الخامسة والاربعين وتاجر معدات زراعية وجرّافات.

وكانت الحرائق على جانبي الطريق. وأحسّ ويلسون ان عجلات سيارته تنغرز في القار الذائب. لكن غريغ الذي زادت النار حروقه ألماً رجاه قائلا: "تابع طريقك ولا تتوقف." ومن الوراء قال الصبي: "يا إلهي! اني سأموت."

وانفرج الجو قليلا بفعل انحسار الدخان. ولكن ما هو الا قليل حتى عادت سحب الدخان أكثف مما كانت. وتوقفت السيارتان. وفجأة سُمع صوت قوي وارتفعت سيارة ويلسون في الهواء. ونظر ويلسون ليرى سيارة أخرى وراءه وقد صدمته بفعل السرعة. غير ان أياً من السائقين لم يصبه أذى. وجُرح رأس غريغ لاصطدامه بالزجاج الامامي أما غاريث فلم يتحرّك. لكن سيارة الشرطة تعطلت تماماً.

وطلب ويلسون النجدة عبر جهاز الارسال. وأصابته قشعريرة اذ لم يتبيَّن منفذاً من النار. وكان معه مصابان ويحتاجان الى اسعاف سريع. لكن كثافة الدخان أخذت تزداد والريح تَعْوِل. وأخيراً وجد سيارة شرطة تتوقف في محاذاته. وتولى الشرطيان نقل المصابين بعناية فائقة.

ولما وصلوا الى المستشفى في تيمبون قال غريغ للمرّضين: "اعتنوا بالصبي أولا، اذ ان اصابته تفوق اصابتي." وصعدت طبيبة شابة الى السيارة لتعاين الفتى. وبعد لحظات عادت نحو زملائها لتعلن بأسف أنه قضى...

أما بالنسبة الى الوالد ماكس اندرسون، البالغ الرابعة والثلاثين، فقد بدأ الكابوس. وكان بعد مشاهدة ابنه في سيارة الشرطة توجه الى مزرعة أخيه جون وأخبره أنه رأى غاريث وقد أتت عليه الحروق وأنه بدا

مائتاً. ونصح جون أخاه بأن يبقى لديه في المزرعة، لكن ماكس تابع طريقه نحو مستشفى تيمبون. وهناك أكد له أحد الاطباء أن ابنه مات. ووقف يبكي وهو يفكر كيف سيفضي بالنبأ الى زوجته نيلي. وكانت نيلي مع غاريث لدى مغادرة المزرعة.

وبينما هو يقود سيارته نحو منزله في نيراندا ايست أوقفه صديق ورجاه ألا يعود على طريق تيمبون ـ نولاوار. ولكن لم يجد ماكس بداً من عبور تلك الطريق لأن الطرق الأخرى أتت عليها النار. وقبيل حلول الظلام مرّ بجانب سيارة سوّد الحريق هيكلها. وعلى جانب الطريق تحلَّق الرقيب دون ويلسون وعدد من المساعدين حول جثة نيلي. ولم يتوقف ماكس، بل أسرع نحو مزرعته ليكون مع ابنته لويز ذات السنوات الثماني.

وأخبرها لاحقاً بشجاعة غاريث في اليوم الأخير من حياته. فحين أتى صوت النار من بعيد جال على دراجته حول المزرعة التي تبلغ مساحتها ٢٠٠ هكتار لتفقّد الماء في جميع الاحواض. وأعان أمه في سوق القطيع المؤلف من خمسين رأس بقر الى مرعى أكثر أمناً. وبعدما قرأ الحزن في وجه والده على أثر الحريق الذي أتى على جزء من المزرعة أدرك ان عليهم التخلي عن فكرة العطلة على الشاطىء.

قائمة النكبات

كانت السيدة ماري ادواردز (٦٩ عاما) متطوعة في الصليب الاحمر ممتلئة الجسم لا يفارقها الابتسام. وهي من أوائل الناس الذين ظهروا على مسرح الحرائق. واتجهت على الفور الى مركز الانقاذ الذي أقامته مصلحة الانعاش الاجتماعي في بناية عصرية في بلدة ماونت بيكر على بعد ٢١ كيلومتراً جنوب شرق أديلايد. وعلى رغم كونها رئيسة اقليمية لفروع الصليب الاحمر العشرين في مرتفعات أديلايد، فان السيدة ادواردز كانت على استعداد تام لتأدية أي عمل.

وجاءتها امرأة بستاني تقول ان زوجها نُقل الى المستشفى بعد اصابته بجروح بالغة مما اقعده عن العناية بالبستان الذي يملكانه. وقد حملتها احدى بناتها الى المركز. لكن الصدمة حالت بينها وبين الاجابة عن أسئلة السيدة ادواردز.

وكانت السيدة رأت اناساً كثيرين في أوضاع مماثلة بدءاً من العام ١٩٣٦. وفي معظم الحالات كانت الحرائق سبباً لمحنتهم. وطالما أخبرت السيدة ادواردز أولادها الثلاثة وأحفادها الخمسة أنها نشأت "وسط الحرائق" في مسقط رأسها غيبسلاند شرق ولاية فيكتوريا. وكان زوجها محللا كيميائياً في مناجم الذهب. وعاشا طويلا في منطقة تينانتس كريك الشمالية. وهناك ساعدت في ادارة مؤسسة لعمال المناجم المتقاعدين وقدمت خدمات جلى الى ضحايا ثلاثة اعصارات حلزونية قوية. وبعد اصابة زوجها بداء رئوي انتقلا الى مرتفعات أديلايد. ومات زوجها قبل ثلاث سنوات. وذاقت السيدة ادواردز طعم المأساة مباشرة.

وطالما استطاعت أن تأخذ المعلومات من احدى ضحايا الحرائق بوضعها يداً حانية على الضحية. أما المرأة التي كانت أمامها في المركز فلم يمكنها ان تجيب عن معظم أسئلة البطاقة الخاصة بالمنكوبين، وعددها ستة عشر سؤالا.

والبطاقة مؤلفة من نسخ ثلاث، احداها صفراء يحتفظ بها الشخص المنكوب ويقدمها الى مصلحة الخدمة الاجتماعية للحصول على تعويضاته القانونية، كذلك للحصول على الغذاء من الصليب الاحمر وعلى الكساء من مؤسسة "جيش الخلاص". وهناك نسخة خضراء يحتفظ بها مركز المنكوبين المحلي ونسخة بيضاء تذهب الى سجلات الصليب الاحمر في أديلايد وملبورن. وكان هناك فريق من خمسين متطوعاً يتولى الاجابة عن المخابرات والاستعلامات الآتية من أوستراليا والعالم الخارجي.

وفي الخامسة والربع عصر اربعاء الرماد أعلن حاكم جنوب أوستراليا، السير دونالد دنستان، حال طوارىء. وفي مثل هذه الحال تتيح قوانين الولاية للمسؤولين الاشراف على جميع الممتلكات والمقتنيات واخلاء الناس ووقف حركة السير وقطع التيار الكهربائي. وقالت التقارير الواردة من فيكتوريا ان الكثير من المتطوعين انضمّ الى الاطفائيين لدى اشتداد الحريق.

وبين التاسعة ليلة أربعاء الرماد والثانية فجر اليوم التالي تلقت قيادة الشرطة في ملبورن ٥٧،٥٠٠ مخابرة هاتفية حول الحرائق. وانقطعت خطوط الهاتف في بعض المناطق لاشتداد الضغط عليها. لكن الخبرة علمت الشرطة ان تحيل الكثير من المخابرات على الصليب الاحمر الذي تلقى ٣٢،٥٠٠ مخابرة وسجل أسماء ٢٢ ألف ضحية. لكن قلة من الناس، بينها السيدة ادواردز التي كانت تحاول اخراج الاجوبة من صدر المرأة المنكوبة أمامها، أدركت مقدار الوقت والجهد اللازمَيْن لملء تلك القسائم.

البلدة الممزّقة

بالنسبة الى بيل بوب (٣٦ عاما) كانت محاولة الوصول الى لورن من أمرّ الخبرات التي عرفها طوال سنواته العشرين في فرقة انغليزيا للاطفال التي بات آمراً لها. وانطلق بوب في سيارته غرباً تتبعه ١٤ شاحنة أخرى على طريق غرب فيكتوريا الساحلية. وقد جمعت القافلة من أماكن عدة وجاءت بعض الشاحنات من مسافة ٦٥ كيلومتراً. وكان بينها شاحنات عصرية تزن الواحدة منها ١١،٥ طناً وتتسع لـ ٢٧٠٠ ليتر من الماء.

لكن الانطلاق جاء متأخراً. وعلى بعد ثلاثة كيلومترات شرق لورن ووجه الاطفائيون بالنار التي قطعت عشرين كيلومتراً من دنيز مارش الى البحر مباشرة. واضطرّوا الى الوقوف على الطريق الساحلية، ولم يتمكنوا من فعل شيء سوى الاصغاء الى الراديو للاطلاع على سير العمليات التي ينفذها ثلاثون اطفائياً في لورن في محاولتهم انقاذ البلدة.

وفي السادسة والدقيقة العشرين أذاع أحد المسؤولين بياناً جاء فيه أن تبدلا سيطرأ على وجهة الريح الجنوبية نحو الساعة الثامنة. وهذا يعني أن السنة الحريق التي اندلعت من الشمال يمكن ان تتجه شرقاً، ولكن على جبهة أوسع تبلغ خمسة عشر كيلومتراً عرضاً.

وعقد الاطفائيون العزم على التوجه شرقاً على الطريق الساحلية نحو موغز كريك. وفي السادسة والدقيقة الخامسة والثلاثين تلقى بوب رسالة عاجلة من محطته: "من قاعدة انغليزيا الى آمر الفريق: منارة أوتواي تتوقع تبدلا في وجهة الريح عند السادسة والنصف مساء. ستكون الريح غربية، وسرعتها نحو مئة كيلومتر في الساعة."

وكانت منارة أوتواي على بعد ٥٧ كيلومتراً الى الجنوب الغربي. وهذا يعني ان التبدل في حركة الريح حصل قبل الوقت المتوقَّع. ومع انطلاق القافلة اسوَّدت السماء. ورأى بوب النار تسرع شرقاً على قمم التلال المجاورة ثم تنحدر نحو الطريق الساحلية.

وقبل بلوغ موغز كريك شاهد الاطفائيون النار وقد سبقتهم الى هناك. وقرّ رأيهم على متابعة الطريق الى فيرهافن، وهي بلدة أخرى تبعد كيلومتراً شرقاً. وبينما هم يتقدمون خاطب آمر احدى الفرق الرديفة جماعته قائلا: "لقد قررتُ الانسحاب من القافلة. واني أطلب منكم التوجه الى قاعدتنا في آريز اينلت."

وفي فيرهافن وجدت بقية القافلة أنها وصلت متأخرة أيضاً. وفيما بوب يعاين المنازل المحترقة جاءه صوت جاك ريتشاردسون آمر فرقة آريز اينلت عبر المذياع: "هناك حرائق تهدد منازل ريفر رود في منطقتنا. ونحن في حاجة الى مساعدتكم." وأتاه جواب بوب: "نحن في الطريق اليكم، اذ لا شيء يمكننا فعله في فيرهافن."

وسقطت كرات النار على آريز اينلت مع وصول القافلة وسط ريح بلغت سرعتها ١١٠ كيلومترات في الساعة وهي تحمل معها كتلا من العشب وأكواماً من الحصى والحجار ضربت الشاحنات فكسرت مراياها الخارجية ونوافذها. وضربت الريح المنازل، وأمكن بوب ان يرى أربعة سطوح تطير في الهواء. وعلى بعد ثلاثين متراً أمامه صدمت كتلة حديد مصباحاً على الطريق ثم التفت حوله كأنها ورقة. والواقع ان الحريق الذي أصاب آريز اينلت خربها. وهوى ١٥٠ منزلا من أصل منازلها الثلاثمئة والسبعين بفعل النار والريح.

واذاع بوب الرسالة الآتية: "من آمر فريق انغليزيا الى القاعدة: يستحيل الوقوف في أي مكان في آريز اينلت. وعلى جميع السيارات العودة الى انغليزيا." وما أن انطلق بوب حتى شعر ان سيارته تطير. وحاول السيطرة عليها طوال ٢٠٠ متر من الطريق. وبعد قليل توقفت. فنزل منها لمساعدة رفقائه في اخماد بعض الحرائق الجانبية.

في انغليزيا ظنّ آلان مكفرلين،

وهو معماري قويّ البنية في السادسة والثلاثين ويبلغ طوله ١٩٣ سنتيمتراً، أنه سوّى خلافاً عائلياً صغيراً. وكان ابنه غرانت (١٣ عاماً) رفض أن يذهب على درّاجته الخفيفة الى ملعب الغولف وراء المنزل ليتفقد وضع الحريق. وأعان مكفرلين زوجته وندي وابنه ستيوارت (١٥ عاماً) وابنته مليسا (١٠ اعوام) على جمع كل ما أمكنهم الوقوع عليه من أشياء ثمينة قبل مغادرة المنزل. وكانت الساعة السابعة والدقيقة العشرين مساء.

وبعد دقائق سألت وندي زوجها: "أين غرانت؟" وأسرع مكفرلين خارجاً حيث وجد الدراجة مكانها، لكنه لم يجد ابنه. وناداه بأعلى صوته لكنه لم يسمع جواباً. فدخل وقال لزوجته: "اسمعي، ليس ثمة ما يدعو الى القلق.خذي ستيوارت ومليسا الى الشاطىء، وسأتبعكم مع غرانت." إلا أن وندي رفضت الذهاب من غير أن يكون غرانت معها. وعاد مكفرلين يلحّ: "إنّ شخصاً واحداً يكفي للعثور على غرانت."

في تلك الاثناء مرّت سيارة شرطة وهي تذيع النداء الآتي: "على كل شخص أن يُخلي هذه المنطقة... النار تزحف نحو انغليزيا بسرعة ستين كيلومتراً في الساعة."

وتوجهت وندي وولداها على مضض الى سيارة العائلة. وقفز مكفرلين الى شاحنته الصغيرة. وقبل أن يقطع مسافة كيلومتر واحد أوقفه حاجز على الطريق. وقال للشرطي انه يبحث عن ابنه. فواكبته سيارة شرطة الى ملعب الغولف وهي تذيع الآتي: "أين هو غرانت مكفرلين؟ أين هو غرانت مكفرلين؟" وبعد خمس دقائق قال المسؤول للأب: "اعذرنا، إذ عليك أن تجد ابنك بوسائلك الخاصّة. فهناك الكثير من المواطنين الذين يجب تنبيههم الى إخلاء منازلهم."

وأسرع مكفرلين الى منزله، فلم يعثر على أثر لابنه. وأخذ طريقاً أخرى الى ملعب الغولف، وهناك صادف حاجزاً آخر. وما أن قال له الشرطي: "لا يمكنك التقدم، فالنار زاحفة على التلة" حتى اندلعت النار في قمة التلة كأمواج بحر متلاطمة. وعاد من جديد الى المنزل وهو يحسّ تشنجاً في معدته. ورأى نوراً في الداخل هذه المرّة حيث كان غرانت يجهز عدّة صيد السمك. وتمالك الأب انفعالاته وقال: "سنترك البيت في هذه اللحظة." وجمع ما أمكنه الوقوع عليه من أغطية وأكياس نوم ودفع ولده الى الشاحنة.

وبينما هما متجهان نحو الشاطىء شاهدا السيارات مصطفة عند ضفة النهر وفي كل خلاء ممكن. وظل مكفرلين دقائق حتى وجد سائر أفراد عائلته وسط المرأب العمومي الكبير الذي تجمهر فيه أكثر من خمسمئة شخص. وسرعان ما زال فرح اللقاء حين نظروا وجهة انغليزيا فلم يروا إلا ألسنة النار. وقالت وندي لزوجها: "اذا حدث شيء للمنزل، فسنمكث عند والديّ في ملبورن، ولن أفكر مطلقاً في العودة."

وبعد قليل باشر رجال الشرطة إبعاد الناس عن المرأب خوفاً من أن يمتدّ الحريق الى السيارات، وسألوهم أن

يقتربوا ما أمكن من الشاطىء. وذهل مكفرلين وخارت قواه. فهو عاش في انغليزيا طوال السنوات الاربع عشرة الاخيرة، وبنى بيديه نحو مئة من منازلها. وها هي تلك المنازل، بما فيها منزله هو، مهدَّدَة بالحريق. وهو أحبّ انغليزيا كثيراً ولم يصدّق أن الحريق يمكن أن يأتي عليها عام ١٩٨٣.

وازداد عويل الريح وباتت تنذر بأسوأ العواقب. وسكبت الرمل على جميع الواقفين في العراء. وحين رفع مكفرلين وأفراد عائلته الاغطية الى أجسادهم وهم على الشاطىء انصبّ الرمل من كل جانب على عيونهم وأنوفهم وآذانهم وشعرهم. ولم يستطيعوا التنفس إلا بعد كَمّ أفواههم بالاغطية.

وحين نهض مكفرلين بعد ساعة لنفض الرمل عنه لم يتبين أول الأمر أفراد عائلته. ثم رآهم تحت تلال الرمل الذي ذرته الريح. وأيقظ وندي وأخبرها أنه ذاهب لتفقد المنزل.

وراح ينظر مشدوهاً الى المنازل المحترقة في طريقه. وعرف لاحقاً أن النار أتت على ١٤٢ منزلا من أصل ١٦٠٠ منزل في انغليزيا. ولما دخلت سيارته الشارع حيث يقوم منزله لم يجد أثراً للخراب. وغمره الفرح حين رأى بيته كما تركه. وظلّ ساعتين يرشّ الماء عليه وعلى بيوت الجيران.

لا مهرب

في الثامنة والدقيقة الخمسين مساء أُطفئت جميع الأنوار في قاعة الطعام داخل فندق غيزبورن الذي يبعد خمسين كيلومتراً شمال غرب ملبورن. وكان أعضاء الهيئة الادارية لنادي "الليونز"، وعددهم ١٤ شخصاً، اجتمعوا هناك مساء تلك الاربعاء للنظر في طريقة توزيع ١١ ألف دولار من المساعدات على ضحايا حريق وقع في بلدة ماسيدون القريبة قبل اسبوعين. وما أن بلغوا تلك النقطة في حديثهم حتى انطفأت الأنوار.

وانتاب القلق أمين سرّ النادي نيفيل فري (٤٧ عاماً) الذي يلاحق الشؤون القانونية لضحايا أحداث الطرق في مستشفيات ملبورن. وكان قلقه مسوَّغاً، إذ لاحظ قوّة الريح وهو يقود سيارته من المدينة ذلك العصر. ولا بدّ من أن يكون انقطاع التيار نشأ عن سقوط بعض أعمدة الكهرباء. واستؤنف الحديث في ضوء الشموع. وبعد دقائق دخل اطفائي وقال: "إذا كان أحدكم يعيش في نيو غيزبورن أو ماسيدون، فنرجوه أن يذهب الى بيته حالا. ذلك بأن الحريق وصل الى طريق كالدر الرئيسية."

وفُضّ الاجتماع على عجل. وبينما كان فري يقود سيارته في اتجاه المنزل لم يصدّق ما سمع. وكانت زوجته دالسي أخبرته عن حريق يتجه جنوباً من ايست ترنتهام. لكن ذلك كان على بعد ١٤ كيلومتراً غرباً، ولا يمكن أن تكون النار عبرت الطريق.

وأخذ فري جهاز الارسال وقال: "هنا الوحدة ٣٢٣، ما هي حال الحريق في جوار ماسيدون؟" وجاءه جواب سائق شاحنة يتجه نحو الشمال: "منشرة الخشب تحترق، وبعض منازل

ماسيدون بات ركاماً." وسأله فري: "أيمكنك، والحال هذه، عبور طريق كالدر الرئيسية؟" فقال سائق الشاحنة: "في إمكانك أن تحاول يا صاح، وإني أتمنى لكَ حظاً سعيداً وأطلب أن يكون كل شيء على أحسن حال."

وإذ ذاك زاد فري سرعة سيارته وهو يشكر الله لأن أولاده الثلاثة في ملبورن. وصادف حاجزاً وأوقف سيارته وراء أربع سيارات أخرى. وهرع نحو شرطي وقال له: "زوجتي في ماسيدون، وعليّ متابعة طريقي فوراً." وأجابه الشرطي: "ليس في امكاني أن أردعك عن ذلك. ولكن كن حذراً الى أقصى الحدود."

واكتست السماء وهجاً زهرياً. وانطلق فري بسرعة مئة كيلومتر في الساعة. لكن حاجزاً آخر أوقفه وقد أقامه اطفائيون. وقال له آمر الفريق: "آسف إذ لا يمكنني السماح لكَ بالمرور." ورجاه فري: "لكنّ زوجتي في كوركس رود في ماسيدون." وهزّ الآمر رأسه. وفي تلك اللحظة تقدّم عدد من الاطفائيين ومعهم شرطي يعرفه فري واسمه هنري ستيغلر. إلا أنه أصرّ على أن يطيع فري الاوامر.

وحاول فري الارتفاع بقامته البالغة ١٦٠ سنتيمتراً نحو ستيغلر البالغ ١٩٣ سنتيمتراً وصاح فيه: "اذا لم تسمح لي بمتابعة طريقي يا هنري، فاني... سأرميك أرضاً." واعترضه اطفائي لتهدئة روعه، لكنه كان مضطرباً كثيراً.

وأخيراً قال له آمر فريق الاطفاء: "سأرافقك الى كوركس رود. ولكن إذا وجدنا الوضع سيئاً، فسنعود الى هنا. وإذا استطعتَ بلوغ المنزل، فاحمل زوجتك واخرجا حالا."

فاجعة ماسيدون

عندما وصل فري الى منزله رأى دالسي تسرع نحو سيارتها وفي يدها صندوق يحوي وثائق تأمين كانت نسيته حين خرجت للمرة الاولى. وكان معها في السيارة كلب الحراسة الالماني شيبا وكنار داخل قفصه و١٦ مجموعة من الصور الفوتوغرافية. ولما وصل فري برز الهرّ السيامي ميتزو فحمله ووضعه في السيارة. إلا أن سوكس، وهو هرّ ابنتهما، ظلّ مفقوداً.

وسأل فري زوجته: "كيف حالك؟" وقبل أن تجيب أضاف: "كيف حال باميلا وكلير؟" وفي تلك اللحظة فتحت جارتهما باميلا باب منزلها الخلفي وظهرت في رداء النوم. وصاح فري: "النار تزحف نحونا وعلينا الخروج من هنا سريعاً." وهرعت باميلا الى الداخل وأيقظت ابنتها كلير من النوم. ثم أسرعت الاثنتان الى سيارة فري. واتفق هذا مع دالسي على أن تتبعه الى فندق ماسيدون العائلي، وهو نقطة التلاقي التي حدّدها آمرو فرق الاطفاء.

وتذكر فري وهو على الطريق كيف كان وزوجته يتندّران مع أولادهما: "إذا شبّ حريق في ماسيدون وأضاع أحدنا الآخر، فاللقاء يكون في حانة الفندق." ولكن ها هي السخرية تستحيل حقيقة. وأوقف سيارته وراء الفندق، وشقّ طريقه مع الجارة

وابنتها وسط الريح القوية الى المدخل.

أما النار التي كانت تزحف نحو ماسيدون من الغرب فقويت حتى غدت عاصفة هوجاء ملتهبة. والتهمت الاوكسيجين في طريقها وحوّلت الهواء فرناً. وانطلقت منها أعاصير حارقة بسرعة ٢٤٠ كيلومتراً في الساعة قضت في طريقها على الاوراق والاماليد والاغصان وقذفتها مسافة ١٥٠٠ متر في الهواء، فيما ارتفع الدخان ٦٠٠٠ متر. وهوت الطيور محترقة من عليائها.

وكان معظم أهالي ماسيدون أخلوا منازلهم. لكن الاقلية التي تخلفت والتي صدّتها زوابع النار شقت طريقها الى فندق ماسيدون العائلي المؤلف من طبقة واحدة. وهو من المباني القليلة التي صمدت وسط الحريق في مركز البلدة التجاري. وكان في الداخل ٢٥٠ شخصاً. وإذا قضى عليهم الحريق، فستكون هذه أكبر مأساة بشرية في تاريخ أوستراليا.

وكان النور الوحيد منبعثاً من مصباح في الحانة يعمل على الغاز. وبقي نيفيل ودالسي وقتاً قبل أن يعرفا أن قاعات الطعام والشراب تغصّ بمئتين وخمسين شخصاً مع كلابهم وقططهم وطيورهم.

إلا أن هدوءاً غريباً هيمن على المكان الذي غابت عنه الفوضى وحلّ النظام. وقد حرص على ذلك مدير المقصف، وهو بريان نيش القويّ البنية والبالغ الثانية والثلاثين. وأوقف رجلا قوياً على كل من مداخل الفندق العشرة ليصدّ الريح العنيفة باتكائه على الباب. ووُضعت على كلّ عتبة منشفة مبلّلة بالماء. وطُلب من اثنين أن يراقبا الجمر الذي يحترق من غير لهب والذي يمكن أن يكون تسرّب من الفتحات. وأنزلت جميع الستائر الى الارض خوفاً من احتراقها.

وفي الداخل عمدت والدة نيش وصديقة لها الى تنظيم الاولاد في فرق، وراح الجميع ينشدون الاغنيات، وإن في غير أوانها، مثل "ليلة عيد" و"سنة حلوة". وراحت إحدى النادلات توزّع المرطبات مجاناً على الناس حتى فرغت الزجاجات جميعاً. وطفق صبي في الخامسة عشرة يحمل قطع الثلج الى الناس ليبرّدوا بها وجوههم.

وكان نيفيل ودالسي فري من الذين وصلوا متأخرين. لكنهما وجدا مكاناً في آخر قاعة الاحتفالات. ولم تتذكر دالسي إلا بعد حين أنها رأت ذلك المكان من قبل. وحملتها الاصوات التي انطلقت وسط الظلام أربعين سنة الى الوراء. وهي ولدت في بلدة كوفنتري الانكليزية في سبتمبر (أيلول) ١٩٤٠ قبل سبعة أشهرُ من انهيار معظم المدينة تحت القنابل خلال الحرب العالمية الثانية. وقد أمضت ليالي كثيرة في حداثتها داخل أحد الملاجىء مع امها واختين تكبرانها سناً. ولم يتبدّل شيء عليها في تلك الغرفة. وأيقنت أن اهتمام الناس بعضهم ببعض هو اليوم كما كان سابقاً، وأن الجميع يتوقعون كارثة .

ووقف نيفيل بجانبها وهو يدري أنّ عليه أن يفعل شيئاً كي يطمئن الناس. وسمع في الظلام حديث امرأة لصديقتها عن منزلها الذي فقدته: "يخيل اليّ أني سأبدأ كل شيء من جديد. لكني لا أعرف كيف ستتدبر جارتي أمرها." وعندئذ عصفت النار خارجاً وأنارت المكان، فتبين فري أن تلك المرأة في مطلع سبعيناتها.

وفجأة اندلعت النار في إحدى بنايات شارع فيكتوريا على الجانب الآخر من الطريق، وحملت الريح بعض شظايا النار الى الفندق عبر باب من زجاج. وهبّ بعضهم يطفىء الجمر بالأقدام. وأُلقيت المناشف المبللة على العتبة أمام الباب.

وبلغت حرارة نوافذ الفندق الأمامية المطلة على شارع سميث درجة لا تطاق. وأبعد الناس عنها خوفاً من تكسُّر الزجاج. وتسرّب الدخان من المنافذ، فانبطح الناس أرضاً للحصول على المزيد من الاوكسيجين ولفوا رؤوسهم بالمناشف. وجلس فري وشدّ يد زوجته وقال: "إذا اقتحم الحريق هذا المكان، فلا تحاولي الهرب، إذ لا مكان يمكن الهروب إليه."

على حافة الكارثة

في التاسعة والنصف من ليلة أربعاء الرماد كان خارج فندق ماسيدون العائلي اسوأ مكان يمكن ان تطأه قدم انسان في اوستراليا. غير ان غاي بيرس كانت هناك، وهي امرأة قصيرة قوية ذات عينين زرقاوين هادئتين. وكانت في الثلاثين وأما لولدين، وقد قررت قبل زمن طويل ألا تتحكمَ المخاوف غير المنطقية بحياتها. وانضمت قبل اربع سنوات الى فريق ماسيدون الاطفائي.

وكان زوجها جو، وهو سائق شاحنة في الثامنة والثلاثين، متطوعاً في الفريق نفسه. وخرج عصر ذلك اليوم ليساهم في اطفاء حريق. وكانت شاحنة ماسيدون الوحيدة لمكافحة الحرائق في مكان آخر مع طاقمها. وأدركت غاي بيرس ان عليها العمل بمفردها في ماسيدون.

ولكن ما هو الا قليل حتى ظهر متطوعون آخرون أمام الفندق وعددهم يزيد على عشرة. ووزعت غاي المسؤوليات عليهم. وكان كل منهم يحمل حقيبة جلدية ملؤها الماء ومنشفة مبللة لاطفاء جُذى النار. إلا ان الحماية الرئيسية ستؤمَّن من أنبوبي ماء في شارع سميث غرب الفندق.

ووصل الاطفائيون المواسير بالانبوبين، وبكل فتحة ماسورة وصلوا خرطوماً بطول ثلاثين متراً وعرض ستة سنتيمترات. وسلمت غاي امر كل خرطوم الى رجلين، وأخذت مكانها عند الخرطوم الأقرب الى مدخل الفندق حيث يتلاقى شارعا سميث وفيكتوريا. ووقف وراءها الاطفائي جيم كيلي. وأُطلق الخرطومان الرئيسيان في اتجاه الفندق والمباني المجاورة.

ومع هبوب الريح بسرعة ٩٥ كيلومتراً في الساعة امتدت النار في التاسعة والدقيقة الأربعين ليلا من الاعشاب الجافة على خط القطار الى وسط البلدة كما من فتيل واحد طويل.

John LeFevre/Australian Photographic and News Service

اطفائي متطوع يكافح الحريق في فيكتوريا.

وسرعان ما احترقت احدى مباني محطة السكة الحديد وانطلقت حممها نحو دائرة الاطفاء الخالية المبنية بألواح الخشب. وهبت النار فيها وفي مستودع مجاور للورق. واصطخب الهواء بأوراق الشجر والحمم الملتهبة. وامتد الحريق الى سراويل بعض الاطفائيين. وطلبت غاري من احد الزملاء ان ينضحها بالماء هي وجيم كيلي.

وظل مدير المقصف بريان ناش يرتقي سلماً بحذر وسط الريح الهوجاء ويفرغ الدلاء على سطح الفندق بعد حمله الماء من البركة التي يلعب فيها أولاده. ولما أوشكت بركة التجذيف تلك على النضوب، وهي تبلغ مترين ونصف متر عرضاً، رفعتها الريح الى الهواء وطرحتها بعيداً كما لو كانت كيساً من ورق.

وفجأة اشتعلت النار في مكتب البريد الواقع قبالة الفندق مباشرة في شارع فيكتوريا. واصاخت غاي بيرس حسناً علها تسمع صوت استغاثة. وكانت اليانور غراي، صديقتها وزوجة مدير مكتب البريد، اخذت لها ولديها نيكولاس (١٩اعوام) وتانيا (٧ اعوام) في وقت باكر من ذلك العصر، ولا بد من ان يكونا وجدا طريقهما نحو الفندق أسوة بالآخرين.

ولم تسمع غاي إلا صوت النار تلتهم الحجر والقرميد والخشب والزجاج. ثم علا صفير تلاه ارتفاع النار المتقدة ثلاثين متراً في الهواء. وكان ذلك ناتجاً من اصطدام النار بمستودع لوقود التدفئة يحوي ٤٥٠ ليتراً من المحروقات. كما هبت النار في قوارير الغاز التي انفجرت وارتفعت حممها عالياً في سماء

الليل. وعلى مقربة من مكتب البريد انفجر دكان الجزار كما لو كان محشواً قنابل.

وأحست غاي بيرس الماً في ذراعيها من فرط الشدّ على خرطوم الماء. ورأت النار تندفع نحو بناء آخر في شارع فيكتوريا يقوم على جانب الفندق. وراحت تتساءل كيف يمكن اخلاء الفندق اذا هددته النار، وما الذي يمكن فعله اذا نفد الماء بفعل تكسُّر الأنابيب.

وحصل دوي عنيف طرد تلك الأفكار من ذهنها. وكان آتياً من اصطدام سيارة وسط الدخان الكثيف بصف سيارات موقوفة أمام الفندق. وخرج راكبا السيارة منها وأسرعا داخلا. لكن سيارتهما كانت بعجت أربع سيارات أمامها وفجرت خزانات الوقود فيها. وتدفق البنزين في القناة الجانبية. ورأت غاي، لهولها، النار تهب في الوقود ثم تطير خزانات الوقود عالياً واحداً بعد الآخر.

وفيما هي تنضح هياكل السيارات بالماء سمعت زميلا يشهق خوفاً. وأخبرها ان النار زاحفة من الجنوب عبر شارع سميث. فنظرت لترى المنازل تلتقط النار واحداً واحداً. ومن أجل صَدّ زحف النار سلطت الماء على أقرب المنازل الى الفندق. وفي تلك الأثناء سقط سطح محطة الاطفاء محدثاً صوتاً هائلا.

وأتى الارهاق على جسد غاي كله. وعشى الدخان والرمل بصرها. ومرّ بعض وقت قبل ان تدرك ان الخطر خفّ قليلا. وحين عرفت ذلك، وكانت الساعة ١١،١٥ ليلا، وجدت أنه لم يبقَ شيء كثير ليحترق في جوار فندق ماسيدون العائلي.

وإذ ذاك شقت طريقها الى داخل الفندق وقد وسخها الدخان وبللها الماء واحمرّت عيناها حتى كادتا ان تحترقا. وسمعت صوتاً يقول: "يا غاي، معي من يودّ مشاهدتك." وانحنت تحت الطاولة لتبصر ولديها تيانا ونيكولاس يحدّقان اليها بعيونهما الزرقاء.

وخرج نيفيل فري ليتفقّد سيارته خلف الفندق. وهاله ان يرى الخراب حوله وهو ينظر حيث كانت البيوت فلا يجد سوى المداخن فوق الركام المدخن بلا لهب. وتبين لاحقاً ان النار، التي قدّر العلماء حرارتها بألف درجة مئوية، أتت على ٢٣٠ منزلا من منازل ماسيدون، وعددها ٤٩٠ منزلا.

وفي وهج النار المنحسرة تبين فري ملامح رجل عجوز جالس تحت شجرة وهو يربت رأسي فرسين بهدوء. ولم يصدّق فري عينيه. ويبدو ان الرجل بقي مكانه وسط الحرائق التي حصلت حوله. ولكن لماذا لم يأت الى الفندق كالآخرين؟

حمل فري ذلك السؤال وذهب به نحو العجوز الذي قال: "لقد شئتُ ان أبقى مع هذين الصديقين."

صراع من أجل الحياة

توجهت سيارة الاسعاف البيضاء شمالا من طريق الامراء الى ملبورن بسرعة ٨٠ كيلومتراً في الساعة. وكان سائقها كينغسلي داون (٢٤ عاماً)

يعرف تلك الطريق بتفاصيلها. وفي الجزء الخلفي من السيارة، وهو غير منفصل عن المقعد الأمامي، أبقى زميله ليندسي روبنسون (٢٧ عاما) عينيه مفتوحتين على المريض الذي ينقلانه الى المستشفى. وينبغي في حال ضحايا الحروق ان يحرص المرء على ألاّ يحدث أي ارتجاج او اصطدام من شأنهما انقاص المزيد من السوائل في جسد المصاب.

وكان المريض كيفين غريغ عانى عذاباً شديداً. وبعد نقله الى المستشفى في تيمبون مع الفتى غاريث أندرسون الذي قضى وهو في السيارة، سلخ الاطباء ما امكنهم من ثيابه المحترقة. ثم نظفوا جروحه وطلوها بالمساحيق الضرورية وعلقوا له حقنة وريدية امدّوه عبرها بالمورفين المسكن. واستغرقت الطريق الى مستشفى كولاك الذي يبعد ٥٥ كيلومتراً تسعين دقيقة وسط سحب الدخان. وهناك اعطاه الأطباء المزيد من المورفين، لكنهم وجدوا ان حاله تستوجب نقله الى مستشفى ملبورن الملكي.

وانطلق روبنسون وداون في العاشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين ليلا. وتوقفا مرتين عمد خلالهما روبنسون الى ملء الحقنة بمصل الدم (بلازما) بعد فحصها. كما مسح وجه غريغ باسفنجة مبللة ماء بارداً ورطب شفتيه بالليمون. وكانت ذراع غريغ اليمنى انتفخت حتى غدت ضعفي حجمها الطبيعي. وظهرت القروح على يديه وذراعيه وصدره وظهره. وحاول الشابان ان يخففا عنه ما أمكن.

ولما دخلا المدينة وأرغمتهما حركة السير على تخفيف السرعة قال داون: "لا تقلق يا كيفين حين تسمع صفارة الخطر عما قليل." وأجابه غريغ: "أرجوك الا تفعل ذلك من أجلي." إلا ان داون لم يمتثل له، بل أطلق الصفارة وشق طريقه. وفي الساعة ١١،٣٣ ليلا وصلت سيارة الاسعاف الى مدخل المستشفى في ملبورن. وما ان رفع غريغ على الحمالة وسط حرّ الليل حتى غاب عن الوعي.

مفقودان

في مبنى فريق اطفاء فيكتوريا نظر بوب بوتس الى ساعة يده، فاذا بالوقت يقترب من منتصف الليل. وكانت غرفة العمليات التي يبلغ طولها تسعة امتار وعرضها عشرة مليئة بالخرائط التي تفصّل الحرائق الاثني عشر الرئيسية. وكان رئيس المركز لورنس نيوويل ومعاونوه يأتون كل ساعتين الى بوتس ليسألوه عما استجد في مختلف المناطق المنكوبة وعن فرق الاطفاء الخمسمئة.

وكان بوتس وزملاؤه صنفوا حريق أربعاء الرماد في عداد الحرائق التي "تجاوزت كل حد معقول." فالحرائق في بعض الشوارع اتت على ثلاثة منازل متلاصقة ثم قفزت عن الرابع لتحرق المنزلين الخامس والسادس. وفي بعض المناطق احترقت المنازل المبنية بالحجر ولم تمَسّ المنازل الخشبية.

وأدرك آمرو فرق الاطفاء ان ذلك النوع من الحرائق لا يخمد الا بالتمام

نفسه او بسقوط خمسة سنتيمترات من المطر على الأقل. والواقع ان الامطار التي هطلت في جنوب اوستراليا أطفأت جميع الحرائق الكبيرة في أول الليل. لكن المطر الفعال لا يأتي إلا بعد تبدل في الريح، كذلك الذي حصل في فيكتوريا في وقت سابق ذلك اليوم. الا ان التبدل الذي طرأ على الريح في ملبورن ملأ الجوّ بالدخان ورائحة الاوكاليبتوس المحترق في الثامنة والنصف من مساء ذلك اليوم. وفي مركز الاطفاء خلعت الريح احدى النوافذ وملأت المبنى المبرّد بالدخان الخانق.

إلا أن صدمة أقوى كثيراً حصلت بعد ساعتين، حين ورد تقرير مفاده ان شاحنتي اطفاء فقدتا في أخدود في تلال داندينونغ نحو الساعة التاسعة ليلاً. ومنذ ذلك الحين لم يستطع احد الاتصال بتينك الشاحنتين اللتين ظُنّ أنهما تحملان أحد عشر اطفائياً. وران صمت مطبق على مركز الاطفاء.

وذكر بوتس نفسه ان الكربون في الهواء لا بد من ان يكون عطل اجهزة الارسال، وربما امتد أثره الى الاجهزة داخل الشاحنتين المفقودتين.

أما كيفين غريغ فقد أصعد الى الطبقة السادسة في مستشفى ملبورن الملكي. وهناك قرر المسؤولون نقله الى غرفة ضحايا الحريق التي تتسع لثمانية اسرة. وبقوا ساعتين يحاولون نزع ما تبقى من ثيابه الملتصقة بجلده. وبعد ذلك غسلوا الجروح وطلوها بمطهر ديازين الكبريت الأبيض.

وفي الثانية فجراً أتى الجرّاح جون آلسوب بردائه الأخضر المعقّم ساتراً وجهه بقناع. والجرّاح رجل طويل اشقر في السابعة والثلاثين وهو رئيس قسم الحروق في المستشفى. وحزّ جميع اصابع يد غريغ اليمنى بمبضعه، كما شقّ ذراعه اليمنى في بضعة مواضع. والجلد المسفوع والمحروق من شأنه عرقلة الدورة الدموية وتسبيب الأكال المميت (الغنغرينا) ما لم تُفْتَح فيه المنافذ.

وفيما هو يشخص حال مريضه لاحقاً في غرفة العناية الفائقة في الطبقة الثانية، عرف آلسوب أن الخطوة الرئيسية التالية تقتضي إمداده بالسوائل، ثم اعطاءه الأغذية بالطرق الطبية. غير ان كل شيء قائم على ارادة المريض في الحياة. وكان آلسوب يدري تماماً ان المريض الذي يخضع لزرع الجلد باستمرار يبلغ نقطة لا يتحمل بعدها المزيد، بل يقول لطبيبه: "أرجوك ان تدعني أموت." وكان الحريق أتى على ٥٣ في المئة من جلد غريغ ولم يترك له سوى ٣٠ في المئة من احتمالات الحياة.

أما الاطفائيون في مرتفعات داندينونغ فقد طافوا وسط ركام بلدة كوكاتو بحثاً عن الأحياء. وكان ١٢٠ مواطناً من الذين لم يستطيعوا الهرب في الوقت المناسب توجهوا الى حديقة الأطفال، وهي تحتل مبنى عصرياً دائرياً تملأه النوافذ من كل ناحية. واستطاعوا من هناك ان يراقبوا الجحيم حولهم. وقد حصدت النار دار البلدية مع كنيسة ومطعمين

وثلاثة محلات و٣٣٠ منزلا من أصل ٦٠٠ منزل في البلدة.

وفي الساعات الاولى من ١٧ فبراير (شباط) كان معظم الرجال والنساء والأطفال المئة والعشرين الذين لاذوا بحديقة الأطفال يقتعدون أرضها المفروشة بالسجاد. والعديد منهم لم يبقَ له منزل يأوي اليه. وكانت العائلات تفرّقت لحظة الهرب العشوائي. لكنهم على رغم الارهاق والقلق والنعاس ابتهجوا لكونهم أحياء. وكانت النار في الخارج تكسر شجرة أو عمود كهرباء أو سياج حديقة.

مأساة وسط التلال

شقّ المفتش لين تايمويل (٥٣ عاماً) طريقه صعوداً نحو بيكونزنفيلد العليا وهو يدوس تلال الغبار بحذائه الجلدي الثقيل. والواقع ان الحريق حوّل الطين والتراب غباراً أسود في نعومة مسحوق الوجه وبارتفاع سبعة سنتيمترات. وأدرك تايمويل، وهو شخص كئيب العينين عميق التفكير، انه يسير في اتجاه العاصفة النارية.

Ron Ryan/Photographic Agency of Australia

حوضا سباحة وسط دمار كوكاتو.

Ron Ryan/Photographic Agency of Australia

أطلال تركتها نار ماسيدون.

كانت الساعة السابعة والنصف صباحاً، وقد وعد الطقس بصباح رائع. ولم يصدّق تايمويل ما حدث في تلك المرتفعات حيث امضى معظم ايامه السابقة. وطالما خيم بين التلال مع ابنيه خلال السنوات الخمس عشرة التي امضاها قائداً للحركة الكشفية المحلية. ولكن ها هي الالوان الخضراء والزرقاء الزاهية تختفي من

وكان رجال الاطفاء قبل ساعة شاهدوا شاحنتي اطفاء تسقطان في أخدود قريب من غير ان يخرج احد من طاقمهما حياً. وكمدير معاون لمختبر شرطة فيكتوريا القضائي في ملبورن، ارتأى تايمويل ان من واجبه اعلام مركز تسجيل الضحايا بالأمر.

وللحال تبع تايمويل ستة من معاونيه. ووقفوا جميعاً ينظرون

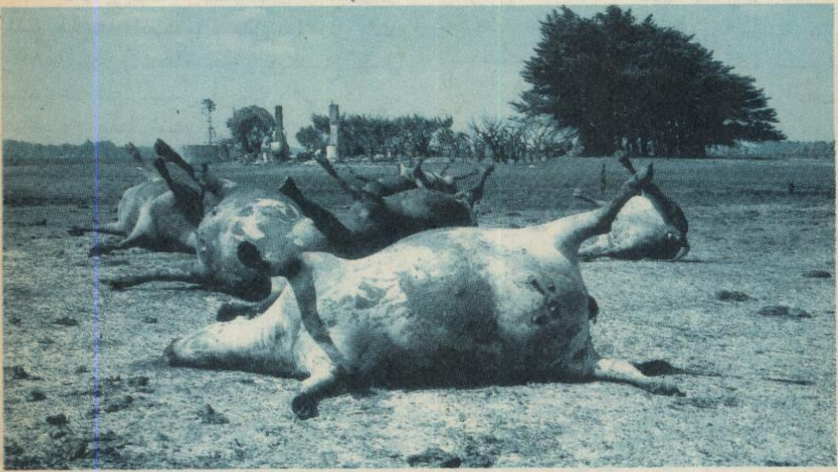

Ken Stepnell/Photographic Agency of Australia

ماشية نافقة قرب تيمبون.

تلك التلال. وتذكر وهو ينظر حوله الرسوم التي التقطت بالأسود والأبيضِ خلال الحرب العالمية الاولى. ولم يرَ سوى بقع جرداء من الارض سوّدها الرماد وتناثرت فوقها هياكل الاشجار. وقد فلعت بعض الاشجار نصفين وارتفع الدخان من الجذوع السوداء. وفضلا عن السواد والبياض لم يظهر ايّ لون آخر إلا مع سقوط غصن شجرة محترق.

امامهم بأسى. وهي المرة الاولى تخسر اوستراليا فريقي اطفاء كاملين، بينهما امرأة. وهي الاطفائية الاوسترالية الاولى التي تقضي اثناء تأدية واجبها.

وعندما رأى تايمويل الشاحنتين وقد تصاعد الدخان من عجلاتهما، ثم رأى الجثث المتراصة بالقرب منهما، أدرك ان الموت اتى على اولئك الشهداء سريعاً. وكان اطفائيان زحفا

تحت احدى الشاحنتين، لكن الموت لم يخطئهما. ولم يكن سهلا اخراجهما وقد احترقت أُطُر العجلات وبقيت هياكلها، الأمر الذي خفض مستوى الشاحنة. واخيراً هبّ عدد من المتطوعين مع جرافات ورفعوا الشاحنة من الأمام والوراء على مهل فيما سحب الآخرون الجثتين. وراح فريق تايمويل يلتقط الصور ويقيس المسافات ويجمع المقتنيات الشخصية التي خلفها الضحايا، مثل ساعات اليد والخواتم والمفاتيح، ويضع كل مجموعة في كيس نايلون الى جانب صاحبه. ولما انهوا عملهم وجدوا ان عدد القتلى ١٢ شخصاً وليس ١١ شخصاً كما قيل لهم. وتبين لهم من بقايا ساعة يد انها تعود الى كيث بسبريدج (٣٥ عاما) الذي قرّر التطوع مع الاطفائيين مساء أربعاء الرماد.

وفي تلك الاثناء عاد كولن كوك الى كوكاتو بعد انهاء العمل مع فريق الاطفاء المحلي. وشاهد وزوجته جوي مشهداً يفوق التصديق. فقد ذابت مصابيح الشارع حتى غدت كالجليد المدلى. ولم يبق من منزلهما الخشبي سوى حديد الارضية والسقف. وفي الاسطبل الذي اخلياه من الجياد تقلصت أوعية الماء من ٧٥ الى ٣٠ سنتيمتراً، لكن الماء بقي فيها.

وكانت أكياس الخيش التي تحمل الشوفان رمدت فيما بقي الشوفان محافظاً على هيئته. ولكن ما ان تلمسه اليد حتى يتحوّل غباراً. وفي ما تبقى من خزانة لحفظ الأوراق وجدت جوي وثائق أمكنها قراءة كل كلمة منها. لكنّ لمس تلك الاوراق كان كافياً لجعلها رماداً هي الاخرى. وغدت مسامير الفولاذ في طراوة العجين. وذاب فرن المطبخ ولم يبق اثر للثلاجة التي تسع ٤٠٠ ليتر.

وراحت جوي تنقب الركام الأسود علها تعثر على اثر من الماضي. ووقعت يدها على سلسلة منقَّرة تدلى منها وسامان حصلت عليهما هي وكولين لفوزهما في مباراة كبرى لركوب الخيل جرت في الثالث من سبتمبر (أيلول) ١٩٧٨، يوم تعارفهما. الا ان الحرّ اذاب الوسامين وجعلهما واحداً. وفرحت جداً لوقوعها على ذلك الأثر الجميل.

وفي ماسيدون لم يجد نيفيل ودالسي فري شيئاً يحتفظان به. ولم يقوَ اي منهما على التنقيب في بقايا بيتهما المسوَّدة. وحين هَمّا بالانصراف سمعا مواء حنوناً. ونظرا ليجدا سوكس، هرّ ابنتهما، جالساً على جدعة محترقة وقد اجتثت النار مخالبه حتى بات عاجزاً عن الحراك. وحملته دالسي وظلت تمرّضه اسابيع حتى زال عنه الخطر.

وهكذا، في يوم واحد مروّع، محت الحرائق جزءاً لا يستهان به من ميراث اوستراليا القومي. وفي مرتفعات أديلايد اتت النار على كلية سانت مايكل الانكليكانية، بما فيها المكتبة التي تحوي خمسين الف مجلّد بينها كتب نادرة تعود الى القرن السادس عشر.

وبالقرب من هاندورف جنوب اوستراليا احترقت المنازل الثلاثة الباقية مما بناه المستوطنون نحو

العام ١٨٤٠. وفي آريز اينلت (فيكتوريا) اندلعت النار في منزل مغنية الأوبرا المتقاعدة جوان هاموند وجعلت من كتبها، وعددها خمسة آلاف، ومن اشرطتها واسطواناتها ومفكراتها التي لا تُعَوَّض رماداً. وهي مقتنيات جمعتها طوال حياتها الفنية الحافلة.

قلق مزارع

اليوم الذي تلا أربعاء الرماد كان عذاباً لبعضهم، ومن هؤلاء مربي البقر جون بل (٣٩ عاماً) الذي بقيت له زوجته كورال واولاده الأربعة ومنزله في ايكلن، غرب فيكتوريا، ولكن لم يبقَ من مزرعته التي تبلغ مساحتها ١٠٧ هكتارات سوى ثمانية هكتارات. واحترق المنزل المجاور الذي عاش فيه والداه وجدّاه وهو ايضاً في طفولته. وفقد آلة لرش المخصبات مع معداتها ومحراثاً وقطيرة تزن ثلاثة اطنان ومشغلا وحظيرة للماشية وأخرى للتبن. وترمدت بالات التبن جميعاً وعددها ٣٥٠٠ بالة تزن الواحدة منها ٤٠ كيلوغراماً. وذابت أنابيب الماء البلاستيكية على عمق ١٥ سنتيمتراً تحت الارض. وطفت العقاعق وطيور الماء النافقة، ومعها البط البري، فوق مجمعات الماء التي تسع ٤٥ الف ليتر.

لكن اسوأ ما في الأمر محنة الماشية. واكثرها حظاً تلك التي نفقت على الفور. اما المنكودة بينها فما زالت منتفخة البطون وقد اضطجعت على ظهورها ورفعت قوائمها في الهواء لتقدد لفحها الشمس اللافحة.

في ذلك الصباح وصل طبيب بيطري ومسؤول من وزارة الزراعة وشرطي ورجلان يحمل كل منهما بندقية الى مزرعة بل. وبعد فحص الرؤوس واحداً واحداً قرر الطبيب ايها ينبغي ارساله الى المسلخ وأيها يجب قتله حالا. وفيما اخذ الرجلان يطلقان النار على الحيوانات ادار بل ظهره وعاد الى المنزل. وفي النهاية بقي له ٧٨ رأس بقر من اصل ١٨٥.

وفي وقت لاحق من ذلك اليوم: اتت خمس شاحنات وحملت أبقار بل النافقة. وكانت الجرّافات حفرت خندقاً عند تقاطع طرق قريب بطول مئة متر حيث تم طمر الأبقار الميتة. وحين هال العمال التراب على تلك المقبرة الجماعية كانت تحوي ٢٥٠٠ بقرة والف رأس غنم.

وطوال الاسبوعين اللذين تليا الحرائق اقفل بريان نيش فندق ماسيدون العائلي في وجه الزبائن وجعل منه دار بلدية غير رسمية ومركزاً للاسعافات الأولية وتوزيع المساعدات على ضحايا الحريق. كما حوّل مهجعاً ومطعماً على مدار الساعة لأعضاء فريق سانت جون للاسعاف وجيش الخلاص والصليب الأحمر ورجال الاطفاء الذين ما برحوا يكافحون الحرائق الجانبية ولعمال التنظيف والكهرباء. ومع انقطاع خطوط الهاتف راح العمال يتصلون بمراكزهم عبر أجهزة الارسال التي ركبها الهواة المحليون.

وكان سائقو الشاحنات يأتون يومياً

بأحمال مجانية من الخبز واللحم والبطيخ والعنب. وسأل احدهم نيش ان كان يعاني مشكلة في حفظ الهوالك، فعبر له عن صعوبة الوضع. وكان ذلك كافياً كي يعود الرجل بشاحنة ضخمة مبردة تزن ٢٥ طناً باتت الأطعمة تُحفَظ فيها.

وتبرّع المواطنون في أوستراليا بأسرها بالطعام واللباس وعدة النوم والأثاث والسيارات والخيم، كذلك بالرحلات والاقامة المجانية. وبلغ ما قدّموه من أموال ٣٠ مليون دولار أوسترالي (٢٧٠ مليون دولار امريكي).

وبعد ايام من وقوع الكارثة خصصت الحكومة الاوسترالية مبلغ ١٦ مليون دولار للاغاثة الأولية. وفي الاشهر القليلة التالية أمنت حكومتا الولايتين المنكوبتين مبلغ ٣٥ مليون دولار لأعمال الاغاثة اللاحقة.

وفي مستشفى ملبورن الملكي حمل كيفين غريغ حوالة مالية بين ابهامه والاصبع الاخرى الباقية من يده اليمنى. وكانت الحوالة بقيمة ٤٥٠٠ دولار سلمته اياها الممرضة. لكن غريغ ظن ان في الأمر خدعة او طرفة. الا انه ما لبث ان عرف حقيقة الأمر، وهي ان زميلا في العمل نظم حفلة اجتماعية تخللها التبرع بالمال. وكان ان جُمع ذلك المبلغ لتغطية مصاريف استشفاء غريغ. والواقع انه كان يحتاج الى المبلغ ليدفع ما عليه للمستشفى خلال خمسة اشهر تخللتها خمس عشرة جراحة.

أما في غرفة العمليات التابعة لدائرة الاطفاء في فيكتوريا فقد انتظر بوب بوتس بقلق ليتابع أخبار السيطرة على الحرائق الاثني عشر الرئيسية. واخيراً، في السابعة من صباح الأحد ٢٠ فبراير (شباط) بلغته الرسالة الآتية من غرفة الراديو: "لقد تمت السيطرة على حريق ووربرتون." وهكذا انتهى أربعاء الرماد الطويل.

وفي الخامسة من مساء الأحد ٢٧ فبراير (شباط) تجمع نحو ألف شخص في ملعب كرة القدم في بانتون هيل شمال شرق ملبورن. وهم جاؤوا لتكريم الاطفائيين الاثني عشر الذين انطلقوا من جيرتهم ولقوا حتفهم على مقربة من شاحناتهم المحترقة. واقيم احتفال تذكاري مؤثر تحت سماء زرقاء خالية من الغيم. وراح افراد العائلات الذين فقدوا ابناً او زوجاً او اباً او خطيباً، يعزي بعضهم بعضاً.

ووقف ٢٠٠ اطفائي يؤدون التحية لذكرى رفقائهم وقد احمرت اعينهم من الارهاق والدخان والحزن. وما ان انتهى الاحتفال حتى هبوا جميعاً لاخماد البقية الباقية من محرقة أربعاء الرماد.

■ ديفيد مولر

سجادة الحياة

تشبه حياة المرء سجادة محاكة من ألوف الخيوط. وان سحب خيط من مكانه يفسد السجادة كلها، كما يسلب الخيط قيمته.

ل.هـ.

أصداء من عالم الطب

زرع النخاع العظمي

النخاع العظمي هو أخطر أنسجة الجسم من ناحية زرعه لأنه يكون خلايا دموية، بما فيها تلك التي تؤدي الى مقاومة الانسجة. وهذا الاثر السلبي لا يقتصر على نبذ الشخص المتلقي للمادة الجديدة، بل في إمكان النخاع العظمي أيضاً نبذ بيئته الجديدة، مما يؤدي الى وفاة الشخص. وهذا يعني أن زرع النخاع العظمي غير ممكن عموماً إلا بين الأقرباء الذين يتمتعون بأنسجة مماثلة. غير أن الباحثين يعكفون حالياً على اختبار طرائق من شأنها إنجاح هذه العملية من غير أن تتم بين قريبين. فهذا النجاح يؤدي الى إنقاذ ألوف المصابين بسرطان الدم وفقر الخلايا الدموية المنجلية وسوى ذلك من أمراض.

ورفض النخاع المزروع بيئته الجديدة يحصل عندما تشن خلايا الدم البيضاء لدى المتبرع - وهي تدعى الخلايا "ت" - هجوماً على انسجة المتلقي. والطرائق الحديثة تقوم على استئصال الخلايا المذكورة الناضجة من عينة المتبرع، مبقية على الخلايا الصغيرة التي لا تشكل أي خطر لدى نضجها لاحقاً. وقد وجد الباحث يير رايزنر من مستشفى سلون كيتيرينغ للسرطان في نيويورك، ان مادة اللكتين المستخرجة من فول الصويا، ومن خصائصها جذب السكر، تلتصق بمعظم خلايا "ت" الناضجة في النخاع العظمي وتفصلها من هناك.

وفي مستشفى سلون كيتيرينغ تم حتى الآن زرع النخاع العظمي المنظف بمادة اللكتين في أجساد ثمانية أطفال يعانون نقصاً وراثياً في المناعة يجعلهم عاجزين عن مقاومة العدوى والالتهابات. ويقول الدكتور ريتشارد اوريلي رئيس فريق الزرع في المستشفى ان سبعة من هؤلاء يعيشون اليوم حياة طبيعية بفضل العلاج المذكور.

مجلة "نيوزويك"

مكافحة الخرف

أعلنت مارغريت هكلر وزيرة الصحة والخدمة الانسانية في الولايات المتحدة أن وزارتها شكلت لجنة لمكافحة مرض ألزهايمر، أشد أنواع الخرَف فتكاً. وهو يأتي في المرتبة الرابعة بين الاسباب المؤدية الى وفاة المتقدمين في السن في الولايات المتحدة، ويفسر

امتلاء مأوي العجزة. وتقول الوزيرة ان عمل اللجنة "تقرير الابحاث المفيدة في هذا النطاق، والانطلاق منها لرسم خطط عملية لتحسين أوضاع المسنين الأمريكيين."

وتضيف هكلر أن ثمة عقاراً اختبارياً باسم "نالوكسون" يؤمل أن يسفر عن ثمار طيبة. وفي اختبار أجراه مستشفى جامعة نيويورك في هذا المجال، تم حقن سبعة مرضى بهذا العقار. وجاءت النتيجة ايجابية لدى معظمهم، "وأظهر ثلاثة منهم تقدما ملحوظاً أدهش أفراد عائلاتهم." وتمكنت واحدة من الثلاثة، وهي في الثالثة والسبعين، من عدّ الارقام عكساً بعدما كانت تجد صعوبة بالغة في ذلك، كما استطاعت تذكر عنوان منزلها واسم الرئيس الأمريكي الحالي.

إلا أن الدكتور باري رايزبيرغ من المستشفى المذكور يقول "ان النتائج لا تزال أولية، ونحن لم نصل بعد الى علاج." والباحثون متفائلون في اكتشاف علاج لمرض ألزهايمر، وإن ارتأوا انه لا علاج واحداً يلائم المرضى جميعاً.

صحيفة "واشنطن بوست"

العداء والموت

الحسّ العدائي يمكن أن يؤذي القلب بالمقدار نفسه الذي يسببه التدخين وارتفاع ضغط الدم. هذا ما يقوله الدكتور ردفورد وليمس من جامعة ديوك في ولاية كارولينا الشمالية الأمريكية. وفي مؤتمر للاتحاد الأمريكي لأمراض القلب قدم الدكتور وليمس تقريراً عن الابحاث الجارية في هذا الحقل تبعاً لطريقة مينيسوتا في قياس الشخصية الشامل، وهي طريقة معتمدة على نطاق واسع. وقد أجرت جامعة ديوك الاختبار على ٢٥٥ طبيباً في مرحلة دراستهم الطبية الجامعية، فتبين أن نسبة الوفاة خلال السنوات الخمس والعشرين اللاحقة بلغت ١٤ في المئة بين اولئك الذين أظهروا حساً عدائياً قوياً، فيما اقتصرت على ٢،٥ في المئة لدى الآخرين. وتبين كذلك أن أمراض القلب لدى الفئة الاولى هي خمسة أضعاف أقوى منها لدى الاخرى.

ويصف وليمس حسّ العداء بكره الآخرين وعدم الثقة بهم. والذين يمتلكون هذا الحسّ أسرع الى الغضب من سواهم. وربما كان هذا الموقف مفسراً لعنصر الخطر لدى المعرضين لمرض القلب. ويبلغ معدل الوفاة بالسكتات القلبية لدى هؤلاء ضعفي نسبته لدى اولئك الذين يتمتعون بهدوء الاعصاب.

وكالة "اسوشيتدبرس"

السرطان على بعد خطوتين

عندما أعلن فريق من الباحثين اكتشافه خلايا وراثية سرطانية منشأنها اصابة ما حولها، وقف العديد من المعنيين بالامر موقف شك حيال ذلك الاكتشاف، مستبعدين أن تؤدي خلية واحدة الى هذا الفساد.

وفي مقال نشرته مجلة "الطبيعة" البريطانية أخيرا، وصفت ثلاث مجموعات من الباحثين اختباراتهم على خلايا سليمة. وتبين لهم أن خلية سرطانية واحدة لا تكفي لبث المرض في الخلايا الصحيحة، بل هناك حاجة الى خليتين على الاقل، وأحيانا الى ثلاث أو أكثر.

وقد أجري الاختبار على الجرذان في معهد مساتشوستس للتكنولوجيا وفي مختبر كولد سبرينغ هاربور في لونغ آيلند (نيويورك). وفي اختبار مماثل أجراه فريق طبي بريطاني، أكدت النتيجة الاولى، وهي أن وجود خلية سرطانية وراثية واحدة لا يكفي لاحداث السرطان فعلا.

مجلة "تايم"

KONISHIROKU PHOTO IND. CO., LTD.

Shinjuku Nomura Building, No. 26-2, Nishishinjuku 1-chome, Shinjuku-ku, Tokyo 160, Japan